

العدد الثانى عشر / فبراير ١٩٩١ م / رجب ١٤١١ هـ/الثمن جنية مصرى



اسرائيل العضو ٢٩ فى التحالف

من الذى اغتال "أبواياد" و"أبوالهول"؟

برنامج "الألف يوم" عودة لفوضى الرأسمالية

نواب التجمع واليسار يواجهون حالة الطوارئ

العدوان الأمريكي على العراق
المتواطئون.. المعارضون.. الضحايا

اليسار

ديمقراطيـة / عقلانيـة / اشتراكيـة

فى هذا العدد

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆




اليسار : منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى والوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر .

AL YASSAR 3 MIDAN EL MALEKA ZOBAIDA IMBABA GIZA A.R.E

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة

مصر :

١٢ جنيها للأفراد ٣٠ جنيها للهيئات .

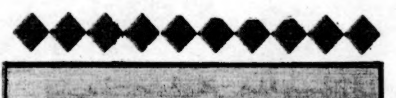
الوطن العربى : ٥٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها .

العالم : ١٠٠ دولار أمريكى أو ما يعادلها .

ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حواله بريدية إلى إدارة المجلة .

الإدارة والتحرير : ٣ ميدان الملكة زبيدة شقة ٣ - مدينة الطلبة - رقم بريدى ١٢٤١١ - إمبابة جيزة .

ت : ٣٤٤٧٩٤٠ فاكس ٣٤٤٢٠١٣



◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

موقفنا

الشعوب العربية والقوى الوطنية المصرية ترفض الدور المصري في الخليج

حسين عبد الرازق

ماكاد العدوان الأمريكي على العراق يبدأ، حتى انفجرت مظاهر الغضب والاحتجاج فى أغلب عواصم العالم ومدنه، من الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا وإيطاليا وكندا وفرنسا وهولندا في الغرب، إلى باكستان والهند واستراليا وأندونيسيا وبنجلاديش وايران.. مرورا بأغلب العواصم العربية بإستثناء تلك المشاركة فى التحالف مع أمريكا ضد العراق. وانصبت أغلب المظاهرات- إن لم تكن جميعها- على المطالبة بوقف الحرب، وإدانة بوش وشركائه للجوئهم إلى تدمير العراق ، من أجل البترول ومصالحهم الاستراتيجية.. بينما تميزت المظاهرات فى كافة العواصم والمدن العربية تقريبا بإدانة الحكومة المصرية ومشاركتها فى هذا التحالف المعادى للعراق، حيث تمثل قواتها العسكرية المتواجدة فى الخليج(٣٥ ألف جندى-٦٠٠ دبابة-٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة- صواريخ- مدفعية..) القوة العسكرية الثالثة فى التحالف بعد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وتقوم قياداتها الرسمية وإعلامها الحكومى، بأبرز الادوار- بعد إسرائيل- فى التحريض على استخدام القوة والحرب، ومساندة السياسة والمصالح الأمريكية فى المنطقة.

وفى القاهرة نفسها عبرت عديد من الأحزاب والقوى السياسية عن مواقفها الرافضة للحرب، وللدور المصرى الرسمى فيها.

إن هذه الحقيقة المؤلمة وأعنى بها الإجماع الشعبى العربى المعادى للسياسة المصرية والرافض لها- ومهما قيل عن دور بعض الحكومات العربية فى تسيير هذه المظاهرات يستند فى الواقع، إلى الدور الرسمى المصرى الغارق حتى النخاع فى تنفيذ السياسة الأمريكية فى المنطقة والدفاع عن مصالحها ، بل ومنافسة حليف أمريكا الاستراتيجى- اسرائيل- على القيام بالدور الأساسى فى تطبيق السياسة الأمريكية.

لقد لعبت السياسة المصرية فى ظل إدارة الرئيس «حسنى مبارك» الدور الرئيسى فى تنفيذ السياسة الأمريكية بعد الغزو العراقى الأخرق للكويت من ٢ أغسطس الماضى، والتى يمكن تلخيصها فى:

- سيطرة الولايات المتحدة الامريكية على مناطق البترول وتحكمها فى طرق الملاحة من هذه المناطق إلى أوربا والولايات المتحدة...«فالمصالح الأمريكية فى المنطقة، مرتبطة أيضا بمسألة من يسيطر على إمدادات العالم من الطاقة فى السنين المقبلة، كما قال بوش.
- توجيه ضربة قاصمة للعراق بهدف تصفية قوته العسكرية والاقتصادية والسياسية، ومنع تحويل العراق إلى دولة اقليمية كبرى تهدد الهيمنة الاسرائيلية.
- إنشاء حلف عسكرى فى المنطقة يضم الدول التابعة والحليفة للولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا ذاتها..
- إعادة رسم الخريطة السياسية للمنطقة على ضوء الاستراتيجية الأمريكية ورؤيتها للنظام العالمى الجديد.. وبما ينهى مراكز عدم









الاستقرار وخاصة الانتفاضة الفلسطينية، والصراع الاسرائيلى.

- إنقاذ الصناعات العسكرية الأمريكية من الأزمة فى ظل نهاية الحرب الباردة والعلاقات الأمريكية السوفيتية الجديدة، ومعالجة العجز المالى فى الموازنة الامريكية وتراجع نصيب أمريكا فى التجارة الدولية... وكان لابد من استبدال خطر الشيوعية المزعوم، بخطر العالم الثالث.

وشكل العدوان العراقى على الكويت، فرصة ذهبية لتنفيذ هذه الأهداف الاستعمارية للولايات المتحدة.

وهنا برز دور السياسة المصرية، التى لعبت دورا رائدا فى تسهيل الدور الأمريكى. بداية من تقديم تسهيلات للقوات الجوية والبحرية الأمريكية فى طريقها للخليج والدعوة لمؤتمر قمة عاجل يتولى تقديم مظلة عربية للوجود العسكرى الأمريكى فى المنطقة، وغطاء للاستجابة للطلب الأمريكى إرسال قوات مصرية إلى السعودية والامارات.. وصولا إلى التخديم على الأهداف الأمريكية خطوة خطوة، بإعلان الحكومة المصرية أنه لاسلام ولا استقرار فى المنطقة «مادامت هناك، أسلحة كيماوية وصاروخية ذات قوة تدميرية كبيرة لدى العراق»، ورفض أى نوع من الارتباط بين أزمة الخليج والسلام فى الشرق الأوسط، ومضاعفة القوات المصرية فى الخليج كلما طلبت أمريكا ذلك.. إلى آخر الممارسات المصرية المعروفة..

ومع بداية العدوان الأمريكى الوحشى على العراق فى الساعة ٣٠ر٢ من فجر يوم الخميس ١٧ يناير ١٩٩١، تأكد الموقف الرسمى للإدارة المصرية، المتحالف والتابع للسياسة الأمريكية.

فرغم وضوح أهداف الضربات الجوية والصاروخية على العراق والتى أعلنت أمريكا بوضوح أنها ترمى إلى تدمير البنية العسكرية والاقتصادية والبنية التحتية عامة للعراق، وبالتالى تجاوزها لقضية الغزو العراقى للكويت ودفع العراق للانسحاب تنفيذا لقرار مجلس الأمن.. فقد أيدت مصر الرسمية بحماس و«شماته» هذا العدوان.

وعندما وقع القذف ببعض الصواريخ العراقية لاسرائيل، محققا بذلك عدة نتائج سياسية هامة، أبرزها تأكيد التحالف الاسرائيلى- الأمريكى فى المنطقة، وأولويته على أية تحالفات أخرى، ودوره فى الحرب الحالية العدوانية ضد العراق.. أعلنت الحكومة المصرية أنها لن تعيد النظر فى موقفها من التحالف الأمريكى (الاسرائيلى) الغربى و(العربى) المعادى للعراق.

بل يؤكد الرئيس مبارك إصراره على الزج بالقوات المسلحة المصرية فى الحرب العدوانية ضد العراق، فيرد على رئيس تحرير الواشنطون تايمز عندما سأله حول إحتمال عدم مشاركة مصر فى القتال..» هذه مجرد دعاية، فقد أرسلت أفضل فرقتين فى الجيش المصرى، وسوف تشارك هذه القوات فى الحرب...»

ومن المثير أن الرئيس مبارك أعلن عند إتخاذه لقراره الفردى بإرسال القوات المسلحة المصرية إلى السعودية أنها ذهبت للدفاع عن السعودية ضد خطر العدوان العراقى، تم عاد بعد زيادة بوش ليعلن أنها ستشترك فى عملية «تحرير الكويت»، وها هو يؤكد اليوم أنها ستشارك فى هذه الحرب العدوانية التى تشنها أمريكا فى العراق.

وتبدو مصر الرسمية، حكاما، وصحافة. وإعلاما الآن وأمام الشعب المصرى والشعوب العربية والعالم كله، طرفا فى تحالف أمريكى اسرائيلى أوربى يهدف لضرب منجزات شعب عربى شقيق لحساب المصالح الاستعمارية الأمريكية الاسرائيلية.. بل وأعلى الأصوات التى تحرص على إستمرار هذه الحرب، إلى حد مسارعة وزير الخارجية إلى نفى (إشاعة) أن مصر ستطلب من مجلس الأمن وقف الحرب.

وقد تصدت لهذا الموقف التابع قوى سياسيه عديدة. وصدرت بيانات من أحزاب التجمع والعمل ومصر الفتاة والناصرى والشيوعى والاخوان المسلمين والخضر، وسبع نقابات مهنية، ولجنة الدفاع عن الثقافة القومية، وجموع المثقفين المصريين.. تجمع جميعها على ضرورة وقف الحرب، وعدم مشاركة القوات المسلحة المصرية فى هذه الحرب العدوانية، والعمل على الوصول لحل سلمى يحقق انسحاب القوات العراقية من الخليج والقوات الأمريكية والأجنبية من المنطقة إنسحابا متزامنا.

ولكى تكتسب هذه الدعوة قيمة حقيقية، فإن قيادات هذه الاحزاب والقوى السياسية، مطالبة بتحرك فعال فى الشارع لتشكل مع الجماهير المصرية، التى ترفض تدمير العراق، والتواجد فى جبهة واحدة مع اسرائيل، قوة ضغط فعال يسقط هذه السياسات التابعة، ويعيد لمصر وجهها العربى التحررى.



المعارضة ترفض العدوان وتورط مصر

رغم أن كل الدلائل كانت تشير إلى أن الحرب ستقع فى الخليج لامحالة، إلا أن الجميع فى مصر عدا الحكومة طبعا- كانوا يحاولون إقناع أنفسهم أن هناك مخرجا سيكتشف فى اللحظة الأخيرة، وينتشون بإلحاح عن حجج تؤكد أمنياتهم.

وعندما بدأ العدوان الأمريكى على العراق فجر الخميس، أصيب الجميع فى مصر بصدمة، خاصة إزاء غياب أى رد فعل عراقى فى اليوم الأول.

ولم تكد تمضى ٧٢ ساعة حتى كانت القوى السياسية والنقابة والمنظمات الديمقراطية تتحرك بسرعة ضد العدوان

وكان أول بيان يصدر عن حزب سياسى فى مصر، وهو بيان «حزب الخضر المصرى» قال البيان

عشية هذا اليوم الحزين من أيام الأمة العربية والتى ترقب فيه الجماهير العربية هذه الحرب التى حشدت لها قوى الأطراف المتنازعة أعظم ترسانة عسكرية نووية وتكنولوجية وكيماوية تفوق فى حجمها تحقيق الهدف المعلن من هذه الحرب، وانطلاقا من قناعة حزب الخضر المصرى والذى يرفض الحرب كوسيلة للسلام أو كحل للقضايا الدولية واستشرافا من الحزب لما سوف تؤدى إليه هذه الحرب من تدمير شامل لمنظومة البيئة العالمية والانسان والتى قد تدخل العالم بأسره فى عصر جليدى جديد، وقناعة من الحزب لحقوق المواطن المصرى فى المحافظة على أرضه وعرضه ومقدساته وموارده وصون الحياة والمحافظة على البيئة من كل آثار التلوث وحقه فى حياة إنسانية كريمة والمشاركة فى إتخاذ القرارات المصيرية.

فإن حزب الخضر المصرى ممثلا للجماهير الواعية يناشد كل شعوب العالم المحبة للسلام والحق وكذا كل حركات وأحزاب الخضر العالمية بالوقوف معا فى هذه اللحظات الحرجة لوقف هذه الحرب والضغط على حكوماتهم ومتخذى القرار فيها لإيقاف هذه الحرب فوراً وانسحاب جميع القوات العسكرية وتنفيذ جميع قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لإحلال السلام فى المنطقة لجميع دولها وتأكيد سيادتها على أراضيها وإعلانها منطقة نظيفة خالية من جميع انواع الأسلحة.

لا.. للعدوان الأمريكى

وفى يوم الأحد ٢٠ يناير ١٩٩١ إجتمعت الأمانة العامة لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى برئاسة خالد محيى الدين، وأصدرت بيانا جاء فيه:

واليوم وبعد أن وقع ماكنا نخشاه فإننا نهتم أساسا بحماية شعب العراق فهو جزء لايتجزأ من الأمة العربية، وإنقاذه هو الهدف العاجل لكل الجهود السياسية فى الوقت الراهن. خاصة وأن عوامل جديدة تستجد فى الموقف فالشعب المصرى وكل الشعوب العربية

العدد القادم

صلاح عيسى

القتل فى تشريفة الحليف الوطنى

ترقب باهتمام احتمالات اشتراك فى العمليات العسكرية وليكن مفهوما للكافة أن اشتراك اسرائيل فى أى عمل عسكرى ضد العراق أو أى بلد عربى آخر لابد أن يغير المعادلة السياسية، وأن الجماهير العربية وكثير من الحكومات سوف تغير موقفها تجاه الأزمة، فالجماهير العربية فى كل مكان لاتزال ترى أن الامبريالية الأمريكية رغم تمسحها بالشرعية الدولية لازالت هي العدو الأول للشعوب العربية وهى تدعم اسرائيل العدو الأكبر للشعوب العربية.

إن مصر التى قامت فى تاريخها الحديث بدور رائد فى النضال العربى المعادى للاستعمار والوجود الاجنبى فى الوطن العربى وضد الصهيونية لايمكنها أن تقبل بالوجود الأمريكى فى الخليج ولابالعمليات العسكرية التى تعمل وبوحشية على تدمير العراق شعبا ووطنا ومنجزات.

واحتراما لدور مصر التاريخى فإن الحكومة المصرية مطالبة اليوم بأن تعيد النظر فى موقفها وأن تعمل من أجل:

١- المطالبة بإيقاف القتال فورا ووضع حد للغارات العسكرية على العراق.

٢- الالتزام بالهدف من وجود القوات العسكرية المصرية فى السعودية وهو الدفاع عنها ضد أى عدوان خارجى وألا تشترك القوات المصرية فى أى عمل عسكرى ضد القوات العراقية سواء فى الكويت أو العراق.

٣- ضرورة اتخاذ مايلزم لحماية المصريين العاملين فى العراق والكويت من أخطار الحرب.

٤- أن يضع الإعلام المصرى فى الاعتبار أننا جزء من الأمة العربية وأن احترام مشاعر الجماهير العربية ومصالحها هو الذى سيحدد علاقات مصر بأشقائها العرب فى المستقبل مما يستدعى تغيير أسلوب أجهزة الإعلام المصرية فى تغطية أخبار حرب الخليج.

٥- الدعوة فورا لعقد مؤتمر دولى لحل مشاكل المنطقة وخاصة قضية شعب فلسطين بعد أن أثبتت الأحداث ارتباط كل مشاكل المنطقة ببعضها.

وقف الحرب فورا

وفى نفس اليوم أصدرت لجنة الدفاع عن الثقافة القومية بيانا، قالت فيه:

يشهد الوطن العربى عملا عسكريا وحشيا، شنه حلف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، بحجة تحرير الكويت، وقد أصبح واضحا- باعتراف قيادة هذا الحلف- أن هدف هذا العمل هو تخريب العراق وتدمير قدراته.

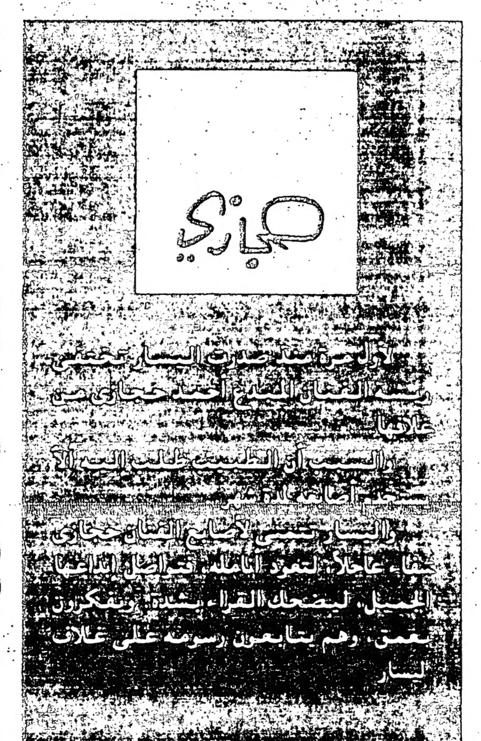
وحيث لا خلاف على إدانة غزو العراق للكويت، والذى يمكن معالجته فى إطار عربى- إلا أن العدوان الأمريكى يتجاوز الإدعاء بتحرير الكويت بمراحل.

وترى اللجنة أن من واجبها بيان أن الخاسر الحقيقى من تداعيات الأمور، هو الأمة العربية برمتها، ومن بينها مصر العربية، وأن الكاسب الحقيقى هو القوى الإستعمارية، وربيبتها إسرائيل.

لقد إستفز العدوان على العراق، الشعوب العربية وشعوبا مختلفة فى العالم أجمع، وتأسف اللجنة أن غاب عن ردود الفعل الشعبية، إحتجاج الشعب المصرى على هذه الحرب الشرسة، تحت تأثير إعلام يزيف الوعى، ويساند المعتدين، فى حين أن واجب الإعلام في بلد يفاخر بالديمقراطية، أن يقدم الحقائق، وأن يعكس تعدد وجهات النظر.

كما تأسف اللجنة للمشاركة المصرية الرسمية فى الحلف المعادى للعراق، على العكس من الدور الطليعى الذى طالما لعبته







مصر فى حركة التحرر العربى. ذلك أنه لا يقبل أن تشارك مصر فى تحرير شعب عربى عن طريق تدمير شعب آخر.

وتطالب اللجنة بوقف الحرب فى الخليج فوراً، وبأن تكون مصر- حكومة وشعباً - عنصرا فعالا فى مبادرات السلام المطروحة لوقف الحرب ، وتدعو الشعب العربى إلى الكفاح من أجل حل عادل لكل مشكلات المنطقة، وفى مقدمتها فلسطين والخليج.

سحب القوات المصرية

وأصدرت السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى المصرى بيانا يوم الاثنين ٢١ يناير قالت فيه:

شنت الولايات المتحدة الامريكية، والدول المشاركة فى التحالف الاستعمارى الرجعى، فى الساعة الثانية فجر الخميس الماضى، عدوانا ضد وطننا العربى فى العراق، يهدف إلى تدمير قوة العراق العسكرية والاقتصادية وبنيته الاساسية، كما أكد «جورج بوش» القائد الأعلى لهذا التحالف وصاحب قرار الحرب.

وتستر هذا التحالف العدوانى بالمظلة العربية التى قدمتها له الحكومات «الحليفة» والتابعة وبصفة خاصة حكومات مصر والسعودية وسوريا ، وبغطاء واه من قرارات مجلس الامن، الذى خرقه«بوش» وتجاوزته حكومته، عندما ركز على تدمير العراق بحجة دفعها للإنسحاب من الكويت.

وهكذا وقعت الكارثة التى حذر منها حزبنا منذ بيانه الاول بعد الغزو العراقى والذى وزعه يوم السبت ٤ أغسطس ١٩٩٠، كما حذر منها كل الأحزاب والقوى التقدمية والوطنية والقومية فى مصر والعالم العربى للسعودية ودولة الامارات العربية، وتحرير الكويت.

إن حزبنا الشيوعى المصرى، وفى مواجهة هذه الأخطار المحدقة بالمنطقة وبأمتنا العربية وشعبنا الفلسطينى وبوطننا، والتى تهدد بفرض السيطرة الامريكية الصهيونية بصورة كاملة على المنطقة العربية والشرق الاوسط.. وإقامة نظام أمنى يكرس الهيمنة الاسرائيلية، ويصفى الشعب الفلسطينى وانتفاضته وقضيته، ويحول الدول العربية إلى دول تابعة.

يدعو جماهير الشعب المصرى وأحزابه وقواه السياسية ونقاباته العمالية والمهنية، ومنظماته الديمقراطية لرفع صوتها وتنسيق حركتها الديمقراطية.. من أجل:

* وقف الحرب فورا ، ومطالبة الامم المتحدة بإصدار قرارها بذلك.
* إدانة العدوان الامريكى الصهيونى الأطلسى ضد العراق.
* سحب القوات المسلحة المصرية- قوات حرب اكتوبر الباسلة- من السعودية والخليج ، والتى أرسلت بحجة الدفاع عن السعودية.. حتى لاتشارك فى العدوان على شعب عربى وجيش عربى، تحت قيادة التحالف الامريكى الاسرائيلى.
* مساندة الجهود العربية والدولية المختلفة التى تدعو لوقف الحرب فورا والعمل من أجل حل سلمى للنزاع.
* مطالبة الرئيس صدام حسين أن يعلن

الحزب الناصرى
تحية لشعب
العراق ولقيادته

مرة أخرى وبعد أكثر من ثلاثين عاماً على حرب السويس عادت قوى الغرب وزبانيته بأساطيلها وطائراتها وجيوشها تضرب فى قلب الأمة العربية.. تضرب بغداد عاصمة الرشيد.

بالأمس كانت الحجة هى اغتصاب مصر لقناة السويس المصرية.. واليوم أصبحت الحجة هى حماية الشرعية الدولية.. ولكن أين كانت هذه الشرعية الدولية المنتهكة منذ أكثر من أربعين عاماً فى فلسطين ومنذ أكثر من ثلاثة وعشرين عاما فى الجولان والضفة الغربية.

لماذا تنتظر قوى الغرب كل هذا الوقت عندما يتعلق الأمر بإسرائيل ولاتستطيع الانتظار أكثر من خمسة أشهر عندما يتعلق الأمر بدولة عربية

الرد بسيط وواضح فالهدف اليوم كما كان بالأمس.. هى الأمة العربية حاضرها ومستقبلها وأيا كان الرأى فى قضية العراق والكويت فليست هذه هى القضية الآن.. فالقضية اليوم هى أن هناك شعبا عربيا.. ودولة عربية يتعرضان لأخطر عدوان عسكرى عدوانى لقوى الغرب فى تاريخنا المعاصر.. تجمع لم تشهد الأمة العربية له مثيلا منذ الحروب الصليبية.

ومن ثم لم يعد هناك مجال لاى تردد.. فجماهيرنا الناصرية التى كانت وستبقى طليعة الأمة العربية فى معاركها ضد قوى الغرب المعادية تقف بصلابة ووضوح مع شعب وجيش العراق المناضل ومع قيادته... فى معركتها التاريخية .. تلك المعركة التى أسقطت كل أقنعة الزيف التى كانت تخفى حقيقة أنظمة التبعية للغرب ولربيبته إسرائيل.

تحية لصمود شعبنا العربى
فى العراق ولجيشه وقيادته
والنصر لأمتنا العربية.
الحزب الأشتراكى العربى الناصرى

قراره بالإنسحاب من الكويت بمجرد وقف الحرب، وعلى أساس القرارات الدولية والحل العربى السلمى والانسحاب المتزامن للقوات العراقية والقوات الامريكية والأجنبية، والتفاوض فى إطار الجامعة العربية لحل النزاع العراقى الكويتى، والشروع الفورى فى عقد المؤتمر الدولى الفعال الخاص بالقضية الفلسطينية والشرق الاوسط.

* إدانة موقف الحكومة المصرية المنحازة للعدو الاسرائيلى
* إدانة أجهزة الإعلام الحكومية التى تحرض على الحرب وعلى تدمير العراق، وتلتمس الأعذار لاسرائيل، وتكاد تنطق باسم اكثر الدوائر عدوانية فى امريكا واسرائيل.

فلنوحد جهودنا وننسق حركتنا ونرفع صوتنا، ضد هذه

الحرب وضد امريكا واسرائيل وأتباعهم... قبل فوات الأوان...

الدفاع عن الحلف الصهيونى

وأصدر الاخوان المسلمون بيانا نشر فى الشعب يوم الثلاثاء ٢٢ يناير قالوا فيه:

إن من اشد ما يحزن القلب موقف حكومتنا المنحاز لامريكا حليفة العدو الصهيونى التى تهدد مصيرنا وتنذر باستعبادنا والتى تعمل بكل قوة مع امريكا على تهجير أكثر من مليون صهيونى إلى أرض فلسطين المحتلة لتزداد قوة وجبروتا.

إن مما يثير الاسى والاستياء موقف الإعلام الرسمى المصرى المتهالك فى الدفاع عن الحلف الصهيونى الاستعمارى ومحاولة خداع شعبنا وتبرير العدوان على الشعب العراقى الشقيق.

أنه أيا كانت خطيئة حاكم العراق ونظام حكمه المستبد الكريه فإن ذلك لا يمكن أن يغير من حقيقة أن الملايين من أبناء الشعب العراقى هم جزء هام من أمتنا العربية المسلمة ورافد من أهم روافد قوتها وهلاكه هلاك للأمة كلها.

إن جميع الشعوب الإسلامية فى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب والسودان وموريتانيا والأردن واليمن وإيران وباكستان وبنجلاديش وتركيا واندونيسيا وماليزيا والفلبين والهند بل إن شعوبا غير إسلامية مثل شعوب استراليا والمانيا وامريكا وفرنسا وانجلترا وهى المشتركة فى الحرب كلها قامت وتظاهرات تدين الحرب البشعة التى تقودها أمريكا ضد شعب العراق فكيف لايتاح لشعب مصر أن يعبر عن رأيه وأحاسيسه بصورة صادقة وطبيعية؟! وكيف تستحوذ السلطة على جميع أجهزة الإعلام من تليفزيون وإذاعة وصحف يومية ومجلات إسبوعية تسخرها لإبراز رأى واحد ووجهة نظر بعينها. إن وسائل إعلام الدول المشتركة فى الحرب تجعل مساحة للرأى الآخر المعارض ولو كان من غير أهل وطنها.

إننا نطالب رئيس جمهورية مصر أن يسحب قواتنا العسكرية المصرية من منطقة الخليج خاصة بعد انتفاء كل زعم باحتمال وقوع عدوان عراقى على هذه الدول بل وأصبحت هى قاعدة القوات العسكرية التى تهاجم الشعب العراقى.

إننا نطالب رئيس الجمهورية أن تكون وسائل الاعلام منصفة بأن تتضمن مساحة متساوية للآراء المختلفة ولجميع وجهات النظر.

إننا نطالب جميع ملوك وأمراء ورؤساء الدول الإسلامية والعربية أن يعملوا على وقف هذه الحرب فورا. فلن يخرج أحد منهم منها إلا وهو خاسر كل الخسران ولن يستفيد منها إلا العدو الصهيونى وحلفاؤه من الامريكان والانجليز والفرنسيين وغيرهم من أعداء الأمة الإسلامية.

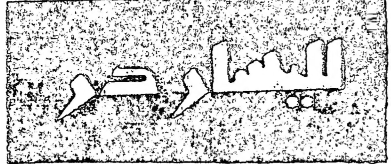
إننا نضم صوتنا إلى أصوات الشعوب والحكومات التى تنادى بإيقاف هذه الحرب فورا فالحل السلمى ممكن ومتيسر. وحل القضية الفلسطينية وانصاف الشعب الفلسطينى ضرورة لازمة حتمية.

إننا نعذر إلى الله تبارك وتعالى نحمل حكوماتنا وشعوبنا مسئوليتهم أما م الله وأمام التاريخ وأمام الأجيال المقبلة التى ستتحمل أوزار هذا البلاء الذى لامثيل له فى التاريخ والذى نزل بأمتنا فأحاط بها من كل جانب وأدخلها فى متاهات وظلمات لامخرج منها إلا أن نعود إلى ربنا ونثوب الى رشدنا ونزكى أنفسنا ونخضع لحكم الواحد القهار العدل الحكم ملتزمين شريعته الغراء التى تأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

وصلى اللهم على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وتوالت البيانات... حزب العمل.. المنظمة المصرية لحقوق الانسان.. النقابات المهنية... نقابة الصحفيين الذين دعوا إلى إعتصام احتجاجى يوم الثلاثاء ٢٩ يناير ١٩٩٠...

وبدأ التفكير فى ضرورة القيام بعمل فعال....



بهذا العدد تختتم اليسار عامها الأول.. لتبدأ بعدد مارس المقبل عامها الثانى..

وخلال العام الذى انقضى، قدمنا لك- ياعزيزى القارئ- مايزيد على ألف صفحة، من المقالات والتقارير والتحقيقات، والرسوم والتحليلات، طافت بكل المتغيرات الهامة التى شهدتها خلاله مصر والمنطقة والعالم ومعظمها تغيرات زلزلت أركان عالم مستقر، وإن لم تتكشف بعد، ملامح العالم الذى سيقوم مكانه..

ومع أننا حرصنا فى طوافنا بأحداث العالم فى خلال العام الذى انقضى من عمر اليسار، على أن نقدم لك الحقيقة كما هى، إلا أننا حرصنا كذلك على أن نفسرها ونحللها، بما يسمح بأن نشترك معا فى الربط بين الجزئيات والكليات، وفى إضفاء معنى على التفاصيل، لايكرهها على أن تقول مالاتعنيه، ولايتركها لكى تساهم فى تشويش عقولنا، وفى تجزئة إدراكنا، وفى سلب يقيننا بأن الوحيد الذى لاتتغير فى مسيرة البشرية، هو التغير ذاته.. والتقدم الدائم الى الأمام.

وهكذا جمعنا فى سياق واحد بين المطبوعة الحريصة على أن تقدم الحقيقة كما هى، والحريصة كذلك على أن تشرك قارئها فى تحليلها ومنهما، ليتخلق من ذلك وعى جديد يجمع بين العلم والموقف.. ولايضحى بأحدهما فى سبيل الآخر.

وعندما صدرت هذه المطبوعة، قلنا فى تقديم عددها الأول أننا نسعى لكى نقدم مطبوعة لها رائحة فى مناخ تزدحم فيه الأسواق بالمطبوعات التى لاتضيف إلى مايصدر إلا القليل..

وقد توقع كثيرون أن نتوقف بعد عددين، لكن القارئ المصرى والعربى أثبت أنه أوعى وأحصف من أن يخدعه أحد..

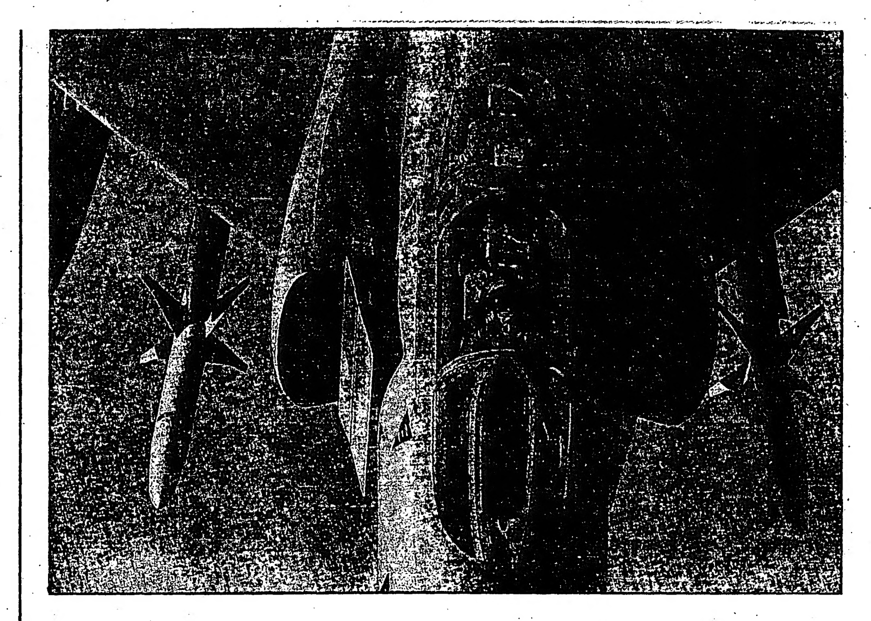
أما وقد استطعنا أن نستكمل عامنا الأول، فنحن نقبل على عامنا الثانى وكلنا ثقة وتفاؤل فى أن اليسارية، على عكس مايتوهم البعض، لم تدخل متحف التاريخ، ولم تعد فعلاً ماضياً.

إذ لوصح ذلك فى أى مكان من العالم.. فلن يكون صحيحاً فى منطقة تنتمى إلى الجنوب الفقير، الوريث الشرعى لليسار... وصاحب المصلحة فيه.

وكل سنة وأنت- ياعزيزى القارئ- بخير

«اليسار»

حرب الخليج



العراق يواجه "عاصفة الصحراء"

مع إقتراب منتصف ليلة ١٥-١٦ يناير ١٩٩١ كان العالم يخوض غمار سباق محموم، فى محاولة لمنع قيام الحرب فى الخليج ، من مواجهة رفض «صدام حسين» لقرار مجلس الأمن، ورفض «بوش » لأى مبادرات سلمية وإصراره أن يوم ١٥ يناير موعد لبدء الحرب ضد العراق . وازداد إحساس العالم بالخطر بعد فشل لقاء جنيف بين وزير الخارجية الأميريكى «جيمس بيكر» ووزير خارجية العراق «طارق عزيز».

فى أعقاب لقاء جنيف الذى استغرق ٦ ساعات وعقد يوم ٩ يناير ، عقد جيمس بيكر مؤتمرا صحفيا أعلن فشل المباحثات الأمريكية العراقية، وقال أنه لم يلمس « أى مرونة عراقية للإنصياع للأمم المتحدة. وأكد أنه لم يجتمع بعزيز ليتفاوض «بل للاستماع والحديث وهذا مافعلناه معا». وأضاف بيكر.. «بدأت بالقول إننى لست هنا للتفاوض ، بل لنقل موقف. وعليهم ألا يتوقعوا أن نتراجع عن قرارات الأمم المتحدة.. وقلت له ألا يسيئ تقدير عزم الشعب الأمريكى. إن الأمريكيين يغضبون ببطء، لكنهم يرفضون بحزم مكافأة المعتدى. إن الدول القوية عسكريا ليس مسموحا لها باحتلال جيرانها وتدميرهم». وختم بيكر تصريحاته «النقاش كان طويلا ومتزنا ومسئولا بلا صراخ، وحاولنا أن نجد حلا سلميا إلا إننى لم أشعر بأى مرونة من جانب العراق».

وبعده بقليل عقد «طارق عزيز» مؤتمره الصحفى. وقال وزير خارجية العراق «لقد تحدثت طويلا عن إفتراضات بلده فى شأن سوء تقدير العراق. نقلت له إننا لم نسئ التقدير. إننا نعى الموقف منذ البداية ، وإننا نفهم ماذا يعنى إرسال قواتكم إلى المنطقة، وماذا يعنى فرض إرادتكم على مجلس الأمن.. وبالنسبة إلى النظام العالمى الجديد، قلت له ليست لنا مشكلة معه. نريد أن نكون جزءا منه. إلا أنه يجب أن ينفذ بعدل وفى جميع القضايا وليس باستخدامه إنتقائيا وفرضه على قضية واحدة حسب وجهة نظر الولايات المتحدة.. وشرحت له تاريخ إهتمام العراق بالقضية الفلسطينية، وقلت له أنها مسألة أمن قومى لنا ، فإذا لم تحل لانشعر بالأمن فى بلادنا.. وتحدثت طويلا عن الربط بين قضايا المنطقة، وقلت له إننا نتكلم بإخلاص ،لأن ماحدث قبل ٢ أغسطس ١٩٩٠ مرتبط بماحدث بعده. وقلت له إن الولايات نفذت حظرا على العراق قبل ٢ أغسطس كان لنا تعامل مع الولايات المتحدة، وكنا نشترى أغذية بمليون دولار، ونفذنا تعهداتنا بدقة. وفى بداية ١٩٩٠ (منذ عام) علقت الولايات المتحدة الصفقة التى كانت مربحة للطرفين، وحرمنا مواد غذائية. ثم قررت أميركا منع العراق من شراء قائمة طويلة من البضائع ، وشاركتها بريطانيا وغيرها، وكان ذلك قبل ٢ أغسطس... التهديد للفلسطينيين، كان هناك قبل ذلك التاريخ. وكذلك التهديد لأمن الأردن.. إذا كان لنا أن نحل السلام علينا البحث فى جميع القضايا. نحن لنا مجموعة قرارات عن قضية فلسطين أهملت من عقود. القراران ٢٤٢ و٣٨٣ لم ينفذا بعد . الولايات المتحدة ومجموعة التحالف لم ترسل قوات لتنفيذ القرارات، ولم تفرض أى إجراءات على إسرائيل لتنفيذ القرارات.. لدينا حساسية قوية ضد الازدواجية فى التعامل مع المنطقة. مع اسرائيل انتم هادئون وتنتظرون أشهرا وسنوات، وإذا رفضوا لاتفعلون شيئا، أما بالنسبة للعرب فأنتم ترفعون العصا.. إذا كانت الولايات المتحدة مستعدة للبحث فى كل قضايا المنطقة على الأسس والمبادئ نفسها ، فنحن مستعدون..»

محاولات.. اللحظة الأخيرة

وبفشل محادثات أولقاء جنيف، ومن بعده فشل زيارة الأمين العام للأمم المتحدة «خافيير بيريز ديكويار» لبغداد، والتى رافقها موافقة الكونجرس الأميركى بمجلسيه تخويل الرئيس الأمريكى «بوش» إعلان الحرب ضد العراق. ونص القرار على..

«* تخويل الرئيس استعمال القوات الامريكية لتنفيذ قرارات مجلس الأمن ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٩ ٦٦، ٦٧٠، ٦٧٤، ٦٧٧، ٦٧٨.

* على الرئيس بوش أن يؤكد لرئيسى مجلسى النواب والشيوخ أن الولايات المتحدة استعملت كل الوسائل الدبلوماسية والسلمية الأخرى لدفع العراق إلى تنفيذ قرارات مجلس



الأمن، وبأن هذه الجهود قد فشلت

* يؤكد الكونجرس صلاحياته الدستورية في إعلان الحرب.

* يطلب من الرئيس بوش أن يبلغ الكونجرس مرة كل ٦٠ يوما، وضع الجهود المبذولة لدفع العراق إلى التقيد بقرارات مجلس الأمن»

جرت محاولات متعددة للوصول إلى مخرج اللحظات الأخيرة. تقدمت القيادة اليمنية بمبادرة جديدة سلمتها إلى حكومات مصر والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا والمانيا وعمان... وحملها وفد برئاسة «حيدر أبو بكر العطاس» رئيس وزراء اليمن إلى بغداد، وتتألف المبادرة من ستة نقاط:

١- إنسحاب القوات العراقية من الكويت

٢- تحل قوات عربية دولية في المنطقة المتنازع عليها بين كل من العراق والكويت بإشراف جامعة الدول العربية والأمم المتحدة.

٣- إنسحاب القوات الأجنبية الموجودة في المنطقة بمجرد قبول العراق مبدأ الإنسحاب من الكويت.

٤- يلتزم مجلس الأمن تنفيذ قراراته في شأن النزاع العربي الاسرائيلي من خلال التعجيل في عقد المؤتمر الدولي للسلام في منطقة الشرق الأوسط.

٥- تتعهد الدول التي لها قوات في المنطقة بعدم استخدام القوة ضد العراق.

٦- إذا قبلت أطراف النزاع هذا الاقتراح ينتهي الحصار الاقتصادي ضد العراق.

وقبل أن يعرف مصير هذه المبادرة، تقدمت فرنسا بمبادرة أخرى رغم قرار المجلس الوطني العراقي يوم ١٤ يناير ١٩٩١ «دعمه الكامل لسياسة الرئيس صدام حسين «وموافقته على مشروع قانون يستبعد أي تنازل من العراق في شأن الكويت.

ونصت المبادرة الفرنسية التي قدمت قبل ساعات من منتصف ليلة ١٥-١٦ يناير بتوقيت نيويورك على أن «أعضاء مجلس الأمن، وقد استمعوا إلى تقرير الأمين العام للأمم المتحدة في شأن المهمة التي إضطلع بها في العراق يومي ١٢ و١٣ يناير ١٩٩١، عقدوا العزم على ألا يألوا جهدا لصيانة السلم. ويوجهون نداءً أخيرا إلى قادة العراق. وهم يدعون هؤلاء القادة إلى أن يعلنوا من دون أي أبطاء إعتزام العراق الانسحاب من الكويت، وفقا لجدول زمني مقر، وأن يبدأو فورا الانسحاب السريع والشامل.

وبمجرد إعلان هذا الالتزام، يقوم الأمين العام للأمم المتحدة تعاونه في مراقبة إنسحاب القوات العراقية والتحقق منه، عن طريق إيفاد مراقبين دوليين وإنشاء قوة لصون السلم تدعى البلدان العربية لتكوينها.

ويمكن أن يقدم إلى العراق ضمان بعدم الاعتداء. وفضلا عن ذلك تتخذ كل التدابير اللازمة بالتنسيق مع البلدان العربية للعمل على إجراء كل المفاوضات المفيدة بغية دعم عملية التسوية السلمية.

وفور التوصل إلى هذه التسوية وفقا لقرارات مجلس الأمن، يقدم أعضاء هذا المجلس مساهمتهم النشطة من أجل تسوية المشاكل الأخرى في المنطقة، لاسيما النزاع الاسرائيلي- العربي والمشكلة الفلسطينية، وذلك بعقد مؤتمر دولي ذي هيكل مناسب في الوقت الملائم، وفقا لإعلان رئيس مجلس الأمن بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠، بغية كفالة الأمن والاستقرار والتنمية في هذا الجزء من العالم».

ورفضت أميركا وبريطانيا المبادرة الفرنسية. وقال «توماس بيكريج» السفير الأميركي لدى الأمم المتحدة... أن المبادرة الفرنسية» تبدو متناقضة مع ماقرره الأوربيون، ولا مستقبل لها.. إن أحد الأسباب العديدة لرفضنا لها أنها تنطوي على الربط مع أزمة الشرق الأوسط».

وحاول الرئيس السوفييتي جورباتشوف قبل ذلك بأيام حث الرئيس الأمريكي بوش تقديم عرض جديد للسلام (١١ يناير ١٩٩١) ولكن الرئيس الأمريكي، كما قال (مجلة نيوزيك)، رفض الطلب السوفييتي، وقال الرسميون في الإدارة الأمريكية، إن الاقتراحات السوفييتية تتكون في أغلبها من «حزمة من المقترحات القديمة»

أسباب بوش وصدام للحرب

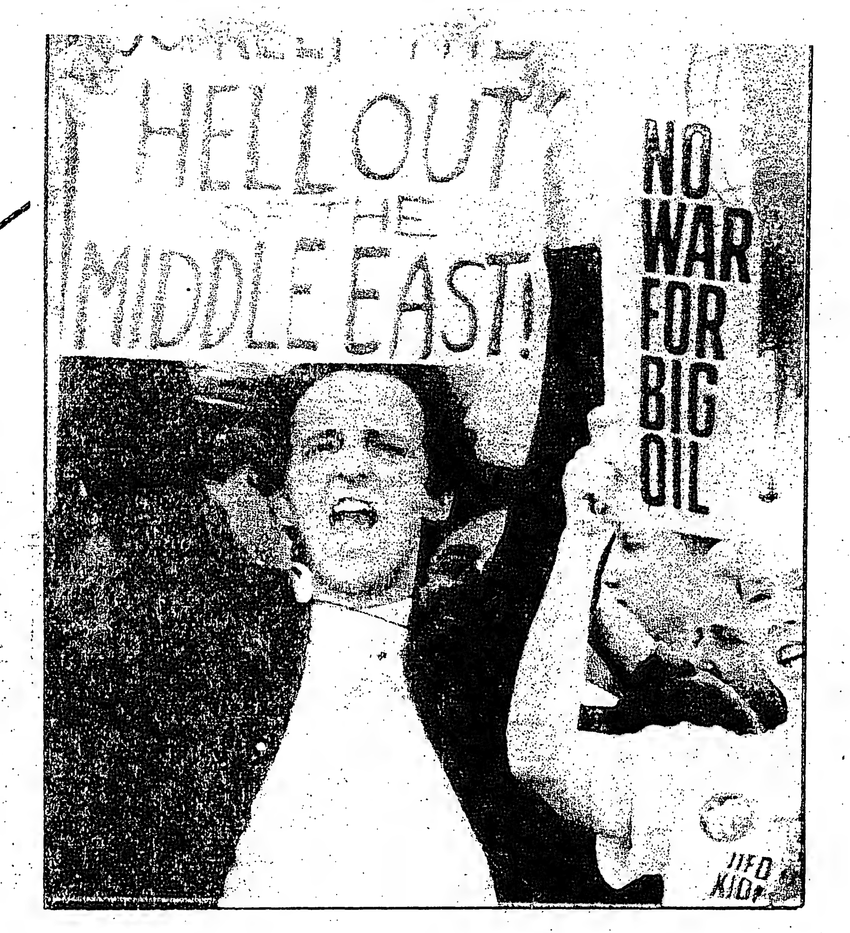
كان من الواضح أن «بوش» يريد الحرب لأسباب تتعلق بالمصالح الأمريكية في المنطقة ودورها القيادي المنفرد في النظام العالمي الجديد الذي تسعى لترسيخه ولحماية النظم العربية التي تورطت في التبعية للسياسة الأمريكية في المنطقة حتى النخاع، ولأسباب سياسية وإقتصادية داخلية.

وراهن «بوش» على استحالة تقديم «صدام حسين» لأية تنازلات فطبقا للمصادر الأمريكية، فإن تنازل «صدام حسين» وتراجعه إلى الوضع قبل ٢ أغسطس، سيكون بالنسبة له أسوأ من خوض مغامرة الحرب «فقد تجمد الاقتصاد العراقي منذ ٢ أغسطس ولم يكسب شيئا.. وستنخفض أسعار البترول مع السلام وسيواجه مئات الألوف من الجنود بلاعمل ولن يجدوا مايفعلونه، وينظرون إلى الاتجاه الخطأ الذي دفعهم إليه». وكما قال طارق عزيز، فالعودة إلى الوضع قبل ٢ أغسطس «تعني أننا سنكون خاضعين للتهديد، أومقاطعين، وسيستمر شن الحملات السياسية


شوارزكوف


بوش

حرب الخليج



والسيكولوجية والإعلامية الخطيرة ضدنا.. فماالفارق؟!»

وتضيف هذه المصادر ، أنه بالرغم من أن الحرب قد تشكل تهديدا لنظام الرئيس العراقى صدام حسين ولشخصه، فربما يعتقد صدام أن حربا خاسرة، بشرط أن تستمر بعض الوقت، ضد أمريكا التى يكرهها العرب، ستحوله إلى بطل قومى، ومن ثم قائد للعرب...» فمواجهة دولة كبرى وإجبارها على القتال لعدة أسابيع، وربما عدة أشهر، فربما تجعله يفوز بلقب البطولة. إن أحدا لايتوقع انتصاره عسكريا فى الحرب. ولكن القتال بنجاح يكفيه. ومجرد الاستمرار يعتبر نصرا».. «وهناك نماذج - فى العالم العربى- لقادة خرجوا مهزومين عسكريا، ولكنهم أصبحوا أبطالا منتصرين فى أوطانهم».

ويقول «ريتشارد مورفى» مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق لشئون الشرق الأوسط «٨٧-١٩٨٨».. «إن صدام حسين يريد الحرب، وأن تمسكه بها يعود إلى ثلاثة أشياء..

- ثقته بوجود دفاعات قوية لديه
- أنه يريد الكويت
- أن الولايات المتحدة الأمريكية والتحالف، سيأتيان فى النهاية للتفاوض معه بشأن الانسحاب».

خسوف جزئى للشمس

وبصرف النظر عن مدى صحة هذه التحليلات،فقد بات واضحا فى منتصف ليلة ١٥-١٦ يناير ١٩٩١ (السابعة صباح ١٦ يناير بتوقيت القاهرة) أن باب الحرب قد فتح. وأصبح تحديد الساعة أمرا تقرره الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، ورئيسها «جورج بوش» القائد الأعلى لهذا التحالف، وما على الدول السبعة والعشرين الداخلة فى هذا التحالف إلا الإستجابة والخضوع والتنفيذ.

وبعد ساعات من انتهاء ليلة ١٥-١٦ يناير، وقف آلاف من المتظاهرين المعادين للحرب أمام البيت الأبيض يحملون الشموع ويطالبون بعدم اللجوء للحرب. ووجه البابا «يوحنا بولس» رسالتين إلى بوش وصدام ناشدهما فيهما منع وقوع الحرب. وقال لصدام «إنى أنا شدكم القيام بمبادرة كريمة تتيح تفادى الحرب، وتكون خطوة تاريخية» وأعلن الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران فى رسالة وجهها إلى الفرنسيين..» إن السلاح سيتكلم إذا لم يحدث شيئا غير متوقع، يبدو حصوله مستبعدا». وحذر وزير خارجيته «رولان دوما».. من أن الحرب فى الخليج ربما بدأت فى غضون ساعات. وقالت الصحف الأمريكية، أن هناك إعتقاداً سائداً أن الحرب ستبدأ ليلا نظرا إلى التفوق الأمريكى فى القتال الليلى الذى يعطى دول التحالف مزيدا من القدرة على إلحاق الضرر بالقوات العراقية، بأقل نسبة من الخسائر، وأن بدء الحرب بعد إقفال أسواق الأسهم وغيرها من الولايات المتحدة (بعد الظهر بتوقيت نيويورك وليلا بتوقيت بغداد والمنطقة) سيساعد على استيعاب الصدمة الأولى على سوق المال والأسهم.

وفى الرياض عقد الكولونيل «جريج بيبين» مؤتمرا صحفيا، أعلن فيه أن عدد القوات الأمريكية فى المنطقة وصل مساء ١٥ يناير إلى ٤٢٥ ألف جندى بزيادة حوالى ١٠ آلاف على ماأعلنته وزارة الدفاع يوم الثلاثاء السابق (منذ أسبوع) ، وتتوزع هذه القوات على النحو التالى: الجيش ٢٤٥ ألفا، مشاة البحرية ٧٥ ألفا، البحرية ٦٠ ألفا، الطيران ٤٥. ولدى القوات الأمريكية فى المنطقة ١٢٠٠ دبابة و٢٢٠٠ عربة مصفحة ، و١٧٠٠ طائرة هليوكوبتر وأكثر من ١٨٠٠ طائرة قتالية، وأكثر من ١٠٠ سفينة . وأضاف أن القوات الأمريكية تجرى حاليا تدريبات ومناورات خصيصا للقتال الليلى.



حرب الخليج



صدام حسين

وأشارت مراكز أمريكية متخصصة ،أن لدى الولايات المتحدة الأمريكية بحلول ١٥ يناير مايقرب من ١٠٠٠ رأس نووى فى منطقة الخليج، و٣٩ قطعة بحرية تابعة للأسطول الأميركى تمتلك قدرات نووية، من بينها سفينتى القتال «ميسورى» و«ويسكنن» مزودتين ب ٣٢ صاروخا من طراز كروز «توماهوك» تطلق من البحر، يحمل بعضها رؤوسا نووية. وأن الولايات المتحدة تحتفظ فى قواعدها التركية بـ ٢٠٠ قنبلة نووية تطلق من الجو، بالإضافة إلى ١٠٠ قذيفة نووية»

وقالت هذه المصادر إن مع بداية الحرب، ستنطلق الطائرات الأمريكية من ٦ حاملات طائرات و ٣٠ قاعدة جوية فى السعودية ومصر وتركيا وقبرص.

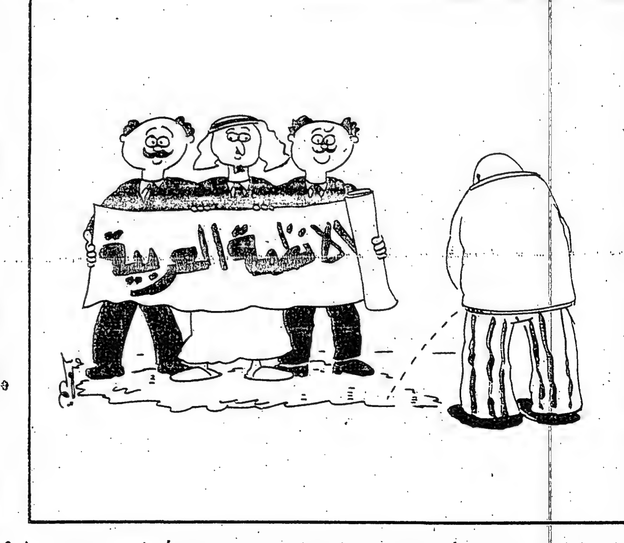
وتبارت الصحف والمجلات الأمريكية فى رسم صورة تفصيلية لسيناريو الحرب التى أصبحت وشيكة. واتفقت جميعا على أن الولايات المتحدة وحلفائها، سيلجأون فى بداية الحرب باستخدام ١٨٠٠ طائرة فى «سلسلة من المراحل الاستراتيجية والتكتيكية لضرب أهداف رئيسية منتقاة، وضرب القوات البرية العراقية وأن هذه المرحلة ستستغرق من ٣ أيام إلى ٣ أسابيع (أو اكثر) من القصف المستمر بلا توقف ثم تصدر الآوامر فى مرحلة تالية ببدء الهجوم البرى عن طريق تقدم المدرعات تدعمها القاذفات وطائرات الهليوكوبتر فى شكل مباشر ضد المواقع العراقية المتقدمة فى الكويت أو جنوب العراق».

وأضافت هذه المصادر «ومن المتوقع أن تتم مرحلة القصف الاولى بصواريخ كروز «توما هوك» من على متن السفن والغواصات الأمريكية فى الخليج وشمال بحر العرب، وشرق البحر الأبيض المتوسط..»

وقدمت الصحف الأمريكية وصفا لهذه الحرب الوشيكة ،فقالت أنه لم يحدث من قبل أن حشدت مثل هذه القوة فى مثل هذا الميدان الصغير للمعركة. فقد تجمع أكثر من مليون جندى عبر الحدود فى مساحة لاتتجاوز ٦٤٠٠ ميل مربع ومعهم ١٥٠٠٠ سيارة مدرعة و ٤٠٠٠ مدفع. وفى السماء ٢٥٠٠ طائرة قتالية من بينها طائرات (ب ٥٢) القاذفة الثقيلة. وأنها ستكون أكبر معركة مسلحة فى التاريخ، وربما تؤدى كثافة الطائرات فى السماء إلى حدوث «خسوف جزئى للشمس». وقالت أن هناك خشية مع بدء المعارك البرية إلى وصول الخسائر الأمريكية وفى القوات الحليفة إلى أكثر من ٢٠٠ قتيل كل ساعة فى ميدان المعركة. وأكثر من ذلك بكثير إذا استخدمت الأسلحة الكيماوية.

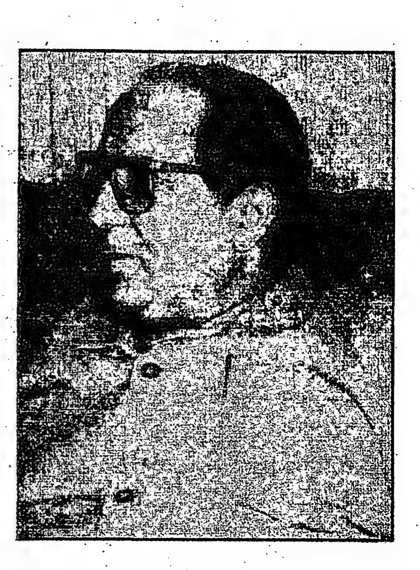
أحزان.. اليوم الاول

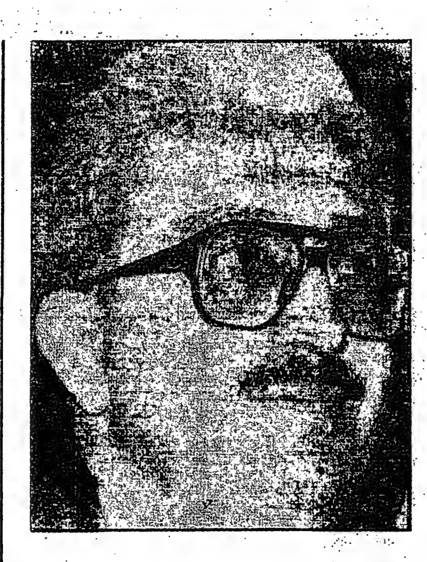
وفى تمام الساعة الثانية والنصف بتوقيت القاهرة من فجر يوم الخميس ١٧ يناير ١٩٩١، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية (وحلفائها) عدوانها العسكرى على العراق. وبدأ الهجوم عبر إطلاق موجة من الصواريخ الموجهة (١٠٠ صاروخ) من السفن الحربية الأمريكية فى المنطقة ، وكانت رؤوسها التى تزن ٥٠٠ كلجم، مبرمجة لضرب أهداف عسكرية عراقية. وشكلت بعد ذلك الطائرات المقاتلة«إف-١٥» من طراز «سترايك إيجل» والتى تحمل قنابل زنة طن وصواريخ مضادة للهجوم الليلى، رأس حربة الهجوم الجوى. وتلتها موجات من طائرات «إف-١١٧» المعروفة باسم الشبح، وطائرات «أى-٦» الهجومية التابعة للبحرية الأمريكية واشتركت فى العمليات طائرات «إف-٤-جى» و«أى-أى-٦ب» وأعلن وزير الدفاع الأميريكى «ريشارد تشينى» أن قوات الحلفاء شنت خلال الساعات الاربعة والعشرين الأولى ١٨٠٠ غارة جوية. وقال الجنرال «باول» إننى











مرتاح لأننا حققنا السيطرة على الأجواء العراقية».

ووجه الجنرال «نورمان شوارزكوف» رسالة إلى القوات الأمريكية فى الخليج بعد ساعتين من بدء الهجوم ، دعا فيها «إلى إنجاز هذا العمل بسرعة» وقال«قضيتنا عادلة، عليكم أن تكونوا الرعد والبرق فى عاصفة الصحراء».

وفى نفس الوقت أعلن «جورج بوش» «قبل ساعتين شنت أسلحة الجو الحليفة هجوما على أهداف عسكرية فى العراق والكويت، وهذه الهجمات مستمرة... إن الولايات المتحدة مصممة على تدمير إمكانات صدام حسين النووية وستدمر أيضا منشآت صنع الأسلحة. إن هدفنا حماية أرواح قوات التحالف ضد العراق بإستهداف ترسانة العراق العسكرية» وأكد بوش أن الحرب مع العراق«لن تكون فيتنام أخرى» وأعرب عن أمله أن لايستمر القتال طويلا، وأن تكون الخسائر ضئيلة.

وقالت وكالة الأنباء الفرنسية فى تقرير لها من واشنطون..» كان الهدفان الرئيسيان للهجوم: المنشآت النووية والكيماوية العراقية من جهة ، وبطاريات الصواريخ المتوسطة المدى، وبخاصة تلك التى تستهدف اسرائيل من جهة أخرى.. ولاحظ بعض المحللين أن تدمير القدرات النووية والكيماوية للعراق يتجاوز النص الحرفى لأهداف قرارات الأمم المتحدة. ولكن معظم الخبراء الاميريكيين فى شئون الشرق الأوسط، مثل وزير الخارجية الأميركى السابق هنرى كيسنجر يشددون منذ أسابيع، على أن العراق «سيبقى خطرا على استقرار منطقة الخليج، إذا إحتفظ بإمكانات أسلحته التدميرية».

وساد العاصمة الأمريكية فى اليوم الأول للعدوان موجة من التفاؤل، وتوالت التصريحات المتفائلة التى تؤكد تدمير قوة العراق العسكرية والاقتصادية. وبدا وكأن المعركة قد حسمت ، وأن «عاصفة الصحراء» قد اقتلعت القوة العراقية. وقال الناطق باسم البيت الأبيض..» إذا رغب صدام حسين في تغيير طريقه فى أى لحظة ،فما عليه سوى الاستسلام والتقيد بكل قرارات الأمم المتحدة».وساعد على شيوع هذا الإحساس بالنصر السريع، الصمت الذى لف العاصمة العراقية، وغياب أى رد عسكرى أو تصدى من أى نوع.

وسارعت الصحف الرسمية فى القاهرة والرياض والعواصم الحليفة للبيت الأبيض تزف «بشرى» تدمير العراق.

فما نشيت صحيفة مصرية يقول...

«دك» بغداد بعد تدمير محطات الرادار وبطاريات الصواريخ العراقية وصحيفة أخرى تقول...

«قنبلة كل دقيقة تسقط على المواقع الاستراتيجية فى بغداد»

«طائرات الشبح ضربت بغداد.. فأطلقوا صفارات الإنذار بعد الغارات، وصحيفة ثالثة تقول...

«٢٥٠٠ طائرة أغارت على بغداد والبصرة والكويت»

«قنبلة كل دقيقتين... والدخان يغطى بغداد»

First 6 hours: One scenario

Tomahawk cruise missiles: Couple of hundred launched from Navy cruisers in the Persian Gulf, traveling at 550 mph, head for strategic air defense and command targets.

Air Force F-117 Stealth fighters: Armed with laser guided bombs, slip undetected from Saudi bases to attack airfields, missile sites in Kuwait and Iraq.

Air Force F-15s, Navy F-14s and F/A-18s: Protect Saudi bases and U.S. ships.

Air Force F-15E Strike Eagles with F-111s, F-16s and Navy A-6s: Attack surface-to-air missile sites, and engage Iraq's fighter jets.

Navy EA-6Bs and Air Force F-4G Wild Weasels: Radar jamming gear throws off Iraqi missiles and fighters.

Air Force B-52G bombers: Likely arriving in the next few days, will target heavy fortifications like military bases.

USA TODAY





وانفجرت مراجل الغضب والمظاهرات فى كل أنحاء العالم، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا وفرنسا واستراليا.. وفى العواصم الإسلامية والعربية ونام الناس فى مصر والعالم العربى، محبطين محطمين يائسين. فهاهى عاصمة عربية «تدك» وهاهى هزيمة عربية أخرى بعد هزيمة ٥ يونيه ٦٧ تطل علينا، والعجز يقعدنا جميعا.

جاء «الكيماوى»!

واستيقظ الناس فى اليوم التالى على حقائق مغايرة.

أول هذه الحقائق وأكثرها إثارة، كان الرد العراقى على القذف الصاروخى والجوى لبغداد والبصرة والأهداف الاقتصادية العسكرية والبنية الأساسية فى العراق كله. جاء هذا الرد فى شكل إطلاق ٨ صواريخ من طراز الحسين «سكود» معدل، تحمل رؤوسا تقليدية على مدينتى «تل أبيب» و«حيفا» فى إسرائيل. وقد تم هذا الإطلاق ليلة الخميس- الجمعة حوالى الساعة الثانية والنصف أى بعد حوالى ٢٤ ساعة بالضبط من بداية العدوان الأمريكى، يوم من الصمت الكامل. وتقول وكالات الأنباء فى وصفها لهذا القذف، أن الإذاعة الاسرائيلية وقطعت برامجها فجأة حوالى الثانية والنصف فجر الجمعة لتذيع نداء بالشفرة «ثعبان.. أفعى» ثم دوت صفارات الإنذار.

وما أن أذيع الخبر حتى توالت ردود فعل مختلفة.

فى فلسطين المحتلة روى «نعيم سويلم» كيف استقبل الفلسطينيون الحدث. قال لا أملك لا أنا ولاعائلتى أى أقنعة واقية من الغازات عندما دوت صفارات الإنذار صعدت وعائلتى إلى سطح المنزل (٣ طوابق)، وبعد أول انفجار إختفت دوريات الجيش كلية من شوارع قريتنا «قلقيلية». وبدأ الناس يكبرون «الله أكبر» وردد آخرون بسعادة جاء الكيماوى». ويمضى قائلا.. » إن الناس لم يعد يهمهم العيش، أوالموت.. ففى النهاية كلنا سنموت. وربما كان هذا التصرف رد فعل غير شعورى بعد أجواء الإحباط التى سيطرت على الناس طيلة نهار الخميس، والتى إختفت قليلا فى المساء. عندما ظهر المسئولون الاسرائيليون الواحد تلو الآخر على شاشات التليفزيون وبدأوا يشككون فى إمكان أن يكون قد قضى على الصواريخ العراقية»

وأذاعت «مونت كارلو» أن الأردن ساده جو من الابتهاج والأمل، وعادت الثقة بالقدرة العراقية على قلب الصورة فى اللحظة الأخيرة.

وقال مراسل «مونت كارلو» إن تحولا سريعا يجرى فى الشارع المصرى، خاصة بعد الحملات الإعلامية التى شككت فى قدرة العراق على ضرب إسرائيل، وأنه يسود الشارع المصرى فرحة عارمة مشوبة بالقلق.

وفى شوارع تونس استقبل خبر الصواريخ العراقية فى تل أبيب، بالغناء والرقص والزغاريد.

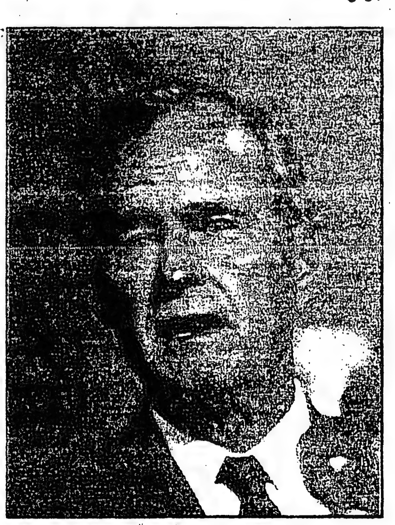
وارتفع صوت بغداد يقول إن قصف إسرائيل يتم إنتقاما لآلام الفلسطينين والعرب والمسلمين.

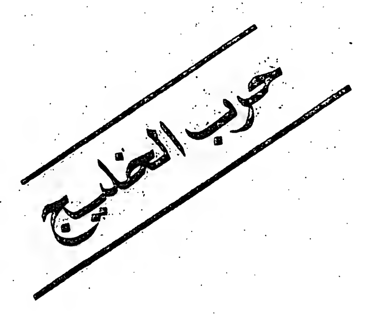
وفى واشنطون عبر «بوش» عن «غضبه البالغ وإدانته» وسارع وزير خارجيته بالاتصال باسحاق شاميرلطمئنته وإقناعه بعدم الرد ولو مؤقتا، وتعهد له أن القوات الإمريكية ستركز كل جهودها على تدمير منصات إطلاق صواريخ سكود العراقية الموجهة لإسرائيل. وبحث بيكر هذا التطور الخطير مع سفراء كل

حسنى مبارك



بوش





من اسرآئيل، ومصر والسعودية وسوريا.

وكانت لدلالات هذا القصف الذى تكرر بعد ذلك آثارا سياسية بالغة الخطورة. فقد نجح فى إثارة الذعر داخل اسرائيل لا لنتائجه المادية- التى كانت محدودة جدا- ولكن لأنها المرة الأولى التى تتعرض فيها إسرائيل لهجوم فى العمق. فآخر هجوم تعرضت له تل أبيب كان عام ١٩٤٨، عندما قصفت المقاتلات المصرية من نوع «سبيتفاير» المدينة. كما ألقت مقاتلة عراقية قنبلة على «ناتانيا» على ساحل تل أبيب عام ١٩٦٧، قبل أن تسقطها الطائرات الاسرائيلية. وإذا لجأت اسرآئيل للرد، وبالتالى- اشتركت مباشرة وبسفور فى التحالف المعادى للعراق- والذى يضم مصر وسوريا والسعودية ودول الخليج- فستواجه هذه الأنظمة مأساة مع شعوبها والشعوب العربية عامة.

ولكن أخطر نتيجة سياسية، هى تأكيد التحالف الأمريكى الاسرآئيلى- فى حرب الخليج بعد أن أضطرت الولايات المتحدة الأمريكية- لأول مرة فى تاريخ أسرائيل-إلى إرسال أطقم أمريكية إلى اسرآئيل مع صواريخ باتريوت لحماية سماء إسرائيل. وكانت هناك شواهد عدة لهذا التحالف، من بينها التحالف الاستراتيجى الموقع بين أمريكا وإسرائيل، وإبلاغ إسرائيل بموعد بدأ العمليات العسكرية وأبعادها قبل بدأ العدوان، وإعلان اسرائيل تعطيل الدراسة فى مدارسها اعتبارا من يوم الثلاثاء ١٤ يناير وحتى يوم الأحد ٢٠ يناير، كإشارة لبدء العدوان واستمرار الخطر لمدة ٧٢ ساعة فقط بعد قيامها.. وكذلك إعطاء الأولوية فى الغارات الامريكية على العراق لضرب منصات الصواريخ فى غرب العراق والتى تشكل خطرا مباشرا على عمليات الحلفاء بينما تشكل الخطر على إسرائيل.

الهبوط إلى أرض الواقع

والحقيقة الثانية التى اكتشفها الناس أيضا يوم الجمعة والأيام التالية، أن أوهام تدمير العراق فى اليوم الأول، لم تكن إلا دعاية إعلامية من أمريكا وحلفائها.

وسرعان ومابدأت التصريحات تتجه إتجاها آخر تماما.

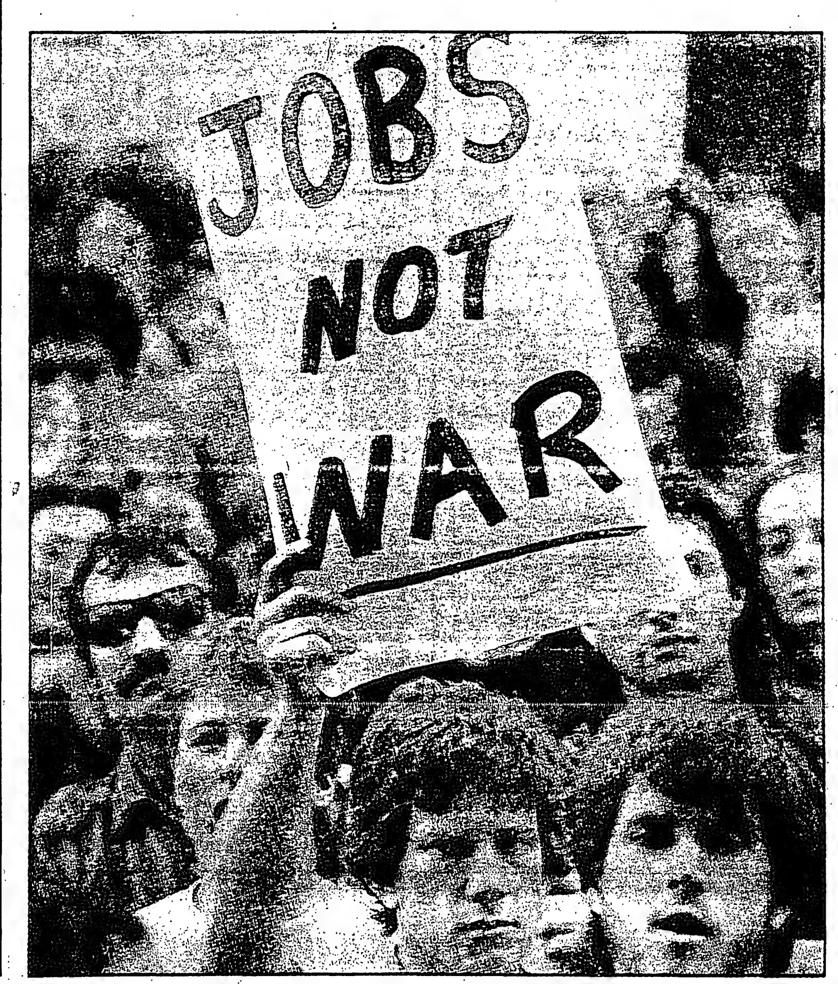
(فبوش) يبلغ زعماء الكونجرس أن النزاع لن يكون قصيرا أو سهلا وأن المطلوب عدم المبالغة فى النشوة. و«تشينى» يقول فى مؤتمر صحفى» من المهم فى رأى بالنسبة للجميع أن يتنبه إلى عدم إدعاء النصر، أو وضع الافتراضات فى شأن التكاليف النهائية لهذه العملية من حيث عدد الإصابات ،فنحن فى المراحل الأولى من عملية ربما تستمر وقتا طويلا. لقد وقعت إصابات، وقد يقع المزيد من الإصابات.. ولاينبغى أن نستبعد احتمال قيام العراق بعمل ما، إما فى الجو وإما على الأرض.

وفى اليوم الثالث للعدوان، قال «بوش» للصحفيين..» إن الرئيس العراقى بنى قوته على مدى عقود من الزمن ولانستطيع تدميرها بين ليلة وضحاها، خصوصا إننا نسعى إلى تقليل الإصابات إلى الحد الأدنى « إن الحرب ليست رخيصة أو سهلة، ولابد من أن تقع فيها إصابات. وقد أقلقنى رد الفعل فى اليوم الأول من أننا سننتصر لكننى لا أريد أن أبدى تفاؤلا فى غير محله».

وأضاف أن «هناك مشكلة مع القواعد المتنقلة لإطلاق الصواريخ، وأنه يصعب تدميرها كلها. ولانعتقد أن أسلحة العراق الكيماوية قد دمرت كلها..»

وفى اليوم الرابع أكد «بوش»، وجون ميجور رئيس وزراء بريطانيا، وجان بيير شوفينمان وزير الدفاع الفرنسى أن الحرب ستكون طويلة. وترقعت أوساط وزارة الدفاع الأمريكية استمرار الغارات والمعارك الجوية إلى مابعد مطلع شهر فبراير، فى محاولة لتدمير القوة العراقية واستنزافها قبل القيام بأى هجوم برى.

وفى اليوم السادس قال رئيس وزراء بريطانيا للمرة الثانية..» إن القوات المتحالفة تواجه جيشا مجهزا بمعدات متطورة وخطيرة







وبخبرة كبيرة، وهو متمركز فى مواقع استرا- - ت

وبخبرةراضى التى إحتلها، ولذلك يجب عدم إتيجية ط المهمة التى نواجهها والتى قد تتطافى الأرا طويلا.

وعادت المصادر الغربية تتحدث عن وجود عدد كبير من منصات الصواريخ العراقية الثابتة والمتحركة سليمة.

وبعد الحديث عن تدمير سلاح الجو العراقى (٨٠٠ طائرة) تدميرا كاملا أو ٥٠٪ منه على الأقل كما أذاعت المصادر الأمريكية والسوفيتية) ومع بدء اشتباك الطائرات العراقية مع الطائرات المغيرة، وتعامل أجهزة الدفاع الأراضى معها، وسقوط عدد من الطائرات الغربية (١٧ طبقا للمصادر الأمريكية و ١٦٠طبقا للمصادر العراقية حتى اليوم الخامس للعدوان) وأسر ٢٥ طيارا أمريكيا وتابعا للقوات الحليفة.. أعلنت اسرائيل أن العراق فقد ١٠٪ من قواته الجوية، وأعلن وزير الدفاع البريطانى أن خسائر القوات الجوية العراقية لاتزيد عن ٤٪.

ومع استمرار القذف لاسرائيل، وبدأ القذف الصاروخى للرياض والظهران، بدأت الصورة التى رسمت للحرب فى اليوم الأول فى الاهتزاز.

ولم يعد هناك شك فى أن الحرب ستطول.

مواقف ومواقف

وقد دفعت هذه الحقائق الرأى العام الأمريكى إلى تصعيد حركته المعادية للحرب. ووصل عدد المشاركين فى المظاهرات فى «سان فرانسيسكو» مثلا إلى ٦٠ ألف شخص فى المظاهرة الواحدة.

وامتدت إلى كافة العواصم الاوربية، وإلى كندا والدول الاسيوية. ووصل عدد المتظاهرين فى ليبيا والجزائر إلى مليون متظاهر فى كل منها.

وشعرت الحكومات العربية المشاركة فى التحالف المعادى للعراق بالأزمة.

وتحرك الملك الحسن الثانى فى المغرب بمهارة وذكاء فأعلن فى حديث حول القوات المغربية الموجودة فى السعودية أنهم.. » لن يكونوا مهاجمين حتى لايقال أن رصاصة مغربية قتلت عراقيا، أورصاصة عراقية قتلت مغربيا»، وأكد أن وجود هذه القوات كان «للدفاع عن المملكة العربية السعودية الشقيقة الحميمة، ولنبرهن لصديقاتنا الدول الخليجية أننا معها، وبجانبها، لأنها على حق من الناحية القانونية والدولية. ومع هذا كله كان فى أقوالنا وأفعالنا أكثر ما يمكن من الاحترام للشعب العراقى والمسئولين العراقيين»

بينما تمسكت سوريا ومصر بموقفها مع الولايات المتحدة وضد العراق، فى نفس الوقت تحركت مجموعة من الدول من بينها كوبا والجزائر والمغرب وليبيا واليمن والاردن والهند، ودول عدم الانحياز بهدف واحد هو وقف الحرب فورا. وإعطاء فسحة جديدة للعمل الدبلوماسى.

ومازال هذا الملف الدامى مفتوحا طارحا معه احتمالات ستؤثر بعنف على المنطقة كلها، وعلى العالم أيضا.

حسين عبد الرازق





حرب تصفية القضية الفلسطينية

نظير مجلي

السيناريو المرسوم لحرب الخليج يفضى إلى تصفية القضية الفلسطينية تماما. حتى اليسار الاسرائيلى الصهيونى انخرط فى هذا السيناريو، فى عز نشوة الحرب العدوانية على العراق. وتقوم فى اسرائيل اليوم «وحدة قومية» بدون حكومة، وحدة قومية، حتى الآن، تدعم مخطط شمير. وعندما تجرأت فرنسا الصديقة وتحدثت عن حل شامل للأزمة، قامت قيامة حكام اسرائيل عليها. وكانت هذه الشرارة الأولى فى تنفيذ المخطط.

... وماذا عن الموقف العربى؟!

المفاجآت المتلاحقة فى تطورات الحرب العدوانية على العراق، لا تجعل شيئا أكيدا بالمرة وكل مايكتب ويقال حول وجهة هذه الحرب ونتائجها وأبعادها . يظل فى إطار التقديرات فحسب. ومع ذلك، فإن هناك تطورا أكيدا يتعلق بالأرباح التى يبغى حكام اسرائيل جنيها من هذه الحرب، هو مخطط تصفية القضية الفلسطينية فهذا المخطط واضح وضوح الشمس. والدور الاسرائيلى فى هذه الحرب يدور فى فلكه فحسب. وكل مايقال عن مشاركة أو عدم مشاركة اسرائيل فى الحرب مرتبط بهذا المخطط وإمكانيات تحقيقه. والواضح أيضا أن حكام اسرائيل، لن يترددوا فى الإقدام على أية خطوة من شأنها أن تقدم هذا المخطط وتنفيذه. كما أنهم لن يترددوا فى الإقدام على أى إجراء لازالة العراقيل من وجهه.

والصورة المتبلورة حتى الآن تشير إلى الحقائق والدلالات التالية:

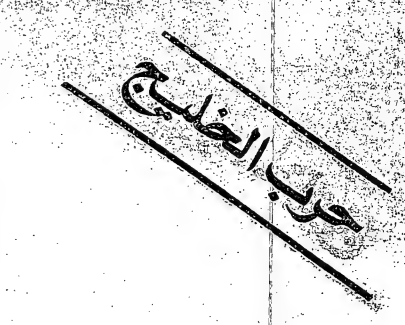
– إن آخر مايمكن أن يفكر حكام اسرائيل فيه هو مسألة استرجاع استقلال الكويت. وما يهمهم الآن ليس عروش الأمراء ولا حتى حماية آبار النفط. إنما المهم بالنسبة لهم هو تصفية القوة العسكرية للعراق بشكل جذرى، بحيث تكون بالنسبة لإسرائيل مثل القوة العسكرية للبحرين أو مدغشقر فى أحسن الأحوال. فالاستراتيجية العسكرية لحكومة اسرائيل مبنية على أساس إزالة أى تهديد عسكرى لقوتها.

لقد كان هذا الهدف قائما طول الوقت ، وأيضا قبيل اندلاع الحرب العراقية- الإيرانية وفى إطار تحقيقه تم ضرب المفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١. فكم بالحرى اليوم، حين يكون للعراق جيش مجرب وكبير ويملك أسلحة متطورة قادرة على ضرب تل ابيب وحيفا؟!

وقد نجح حكام اسرائيل، المرتبطون بحلف استراتيجي رسمي مع الولايات المتحدة، فى إقناع بوش ورفاقه فى البيت الأبيض بضرورة تحقيق هذا الهدف.. وكانوا يهددون بالمبادرة إلى تحقيقه بالقوة الذاتية الاسرائيلية. لذلك رأينا الولايات المتحدة وحلفاءها يشنون الحرب على العراق بأكملها ، وليس فقط على أراضي الكويت المحتلة. فالهدف ليس تحرير الكويت إنما ضرب العراق. وإذا كانوا فى البداية يكتفون فى ضرب القواعد والمراكز العسكرية فإنهم بعد أيام قليلة من شن العدوان بدأوا فى توجيه الضربات للمرافق الإقتصادية وبات الهدف: تدمير العراق..

وعندما سقطت الصواريخ العراقية على تل أبيب وحيفا (١٧و١٨/١/١٩٩١) وركع العالم كله أمام حكام اسرائيل يرجونهم عدم الرد على الهجوم حتى لا يتسع نطاق الحرب المدمرة، أعلن هؤلاء الحكام حرب ابتزاز مشينة، وتحولوا، برضى تام واعتزاز كبير،


ليفى



إلى وحش فتاك الكل يحاول كسب رضاه وتدليله حتى لا ينفلت على ضحاياه وعلى الرغم من أنهم لم يتعهدوا لأحد بأنهم لن يقوموا بالهجوم، بل بالعكس، أكدوا أنهم يشكرون ويقدرون ولكن الدفاع عن أمن اسرائيل هو شأنهم وحدهم، فقد قبضوا ثمن امتناعهم عن الهجوم بشتى الوسائل والصكوك. وأهم وأخطر ثمن هو اشتداد الهجوم العسكرى للقوات المتحالفة ضد العراق. ونصب صواريخ «باتريوت» الحديثة خلال ساعات فى اسرائيل بطواقم أمريكية اسرائيلية مشتركة.

ولا أقل من هذا أهمية وخطورة: التنسيق التام والكامل بين الولايات المتحدة وحكام اسرائيل فى كل تطورات الحرب (الأمر الذى كانت الولايات المتحدة قد رفضته فى الماضى، لكى لاتحرج حلفاءها من الحكام العرب). وقد تم إرسال نائب وزير الخارجية الامريكى، لورنس ايغلبرغر، للإقامة فى اسرائيل لتنفيذ عملية التنسيق. وقد أعلن رسميا أن قامته ستطول.؟!

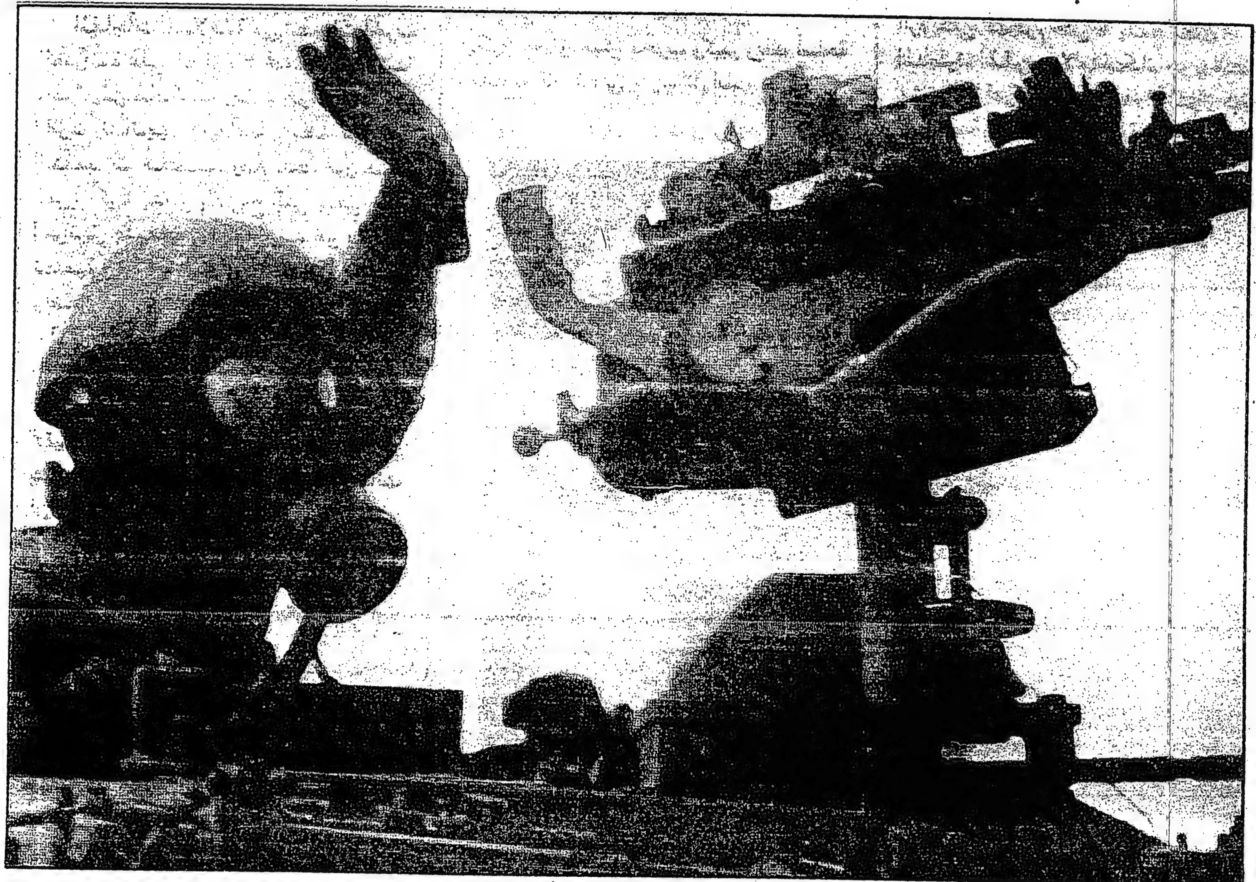
وهناك عدد من الأمور الأخرى التى أعلنت لكنها نفيت نفيا حازما فى اسرائيل مثل: وجود طائرات وطواقم عسكرية اسرائيلية فى السعودية، مشاركة طائرات اسرائيلية فى الغارات على غربى العراق والتى نفذت من تركيا، إرسال حاملة طائرات بحرية إلى البحر المتوسط مقابل شواطئ اسرائيل مهمتها التصدى للصواريخ العراقية.

ولاشك فى أن هناك اتفاقيات أخرى غير معلنة، وربما فى المجال العسكرى أو السياسى أو كليهما معا.

وما يهمنا هنا بشكل خاص المجال السياسى، إذ أن المجال العسكرى منوط باتفاق استراتيجى امريكى- اسرائيلى قديم ومعروف وغير مفاجئ. وكل ما فى الأمر أن هذا التنسيق يرتقى إلى درجات أعلى وفقا لتطورات الحرب، خصوصا بعد أن تبنى الأمريكان المخطط الاسرائيلى لتصفية قوته العسكرية.

اما فى المجال السياسى فهناك اتجاه يحكى عن تعهد امريكى لاسرائيل بأن لا توافق الولايات المتحدة الامريكية على عقد مؤتمر دولى للسلام فى الشرق الأوسط حتى سنة ألفين. (أى بعد عشر سنوات). ومع أن هذا الأمر جوابه بالنفى القاطع من الطرفين إلا أن مجرد إشاعته يدل على اتجاه الريح.

والحقيقة أن حكام اسرائيل أطلقوا الشرارة الأولى فى هذا الاتجاه فى اليوم الأول لشن الحرب، حين شنوا هجوما سافرا على السياسة الفرنسية فى الشرق الاوسط. لقد شارك فى الهجوم رئيس الدولة، حايم هرتسوغ، الذى يمثل الإجماع القومى فى الدولة رمزا ومضمونا (هو من القادة السابقين لحزب العمل الاسرائيلى المعارض) ورئيس الحكومة، يتسحاق شمير، الذى يمثل الائتلاف الحاكم من الأحزاب اليمينية والدينية المتعصبة وأحزاب اليمين الفاشى كلها، ورئيس لجنة الخارجية والأمن فى الكنيسة وأحد زعماء الليكود المعروفين جيدا فى مصر، الياهو بن اليسار وهو أول سفير اسرائيلى وطأت قدماه القاهرة


جندى اسرائيلى بالقناع الواقى



والحجة التى تذرعوا بها هى أن وزير الخارجية الفرنسى، خلال حديثه عن المهمات السياسية الملحة، دعا إلى تسوية كل مشاكل الشرق الأوسط. وقال: «حل مشكلة الخليج ومشكلة لبنان ومشكلة اسرائيل» فاتهموه أنه يعتبر اسرائيل مشكلة. وراحوا يهاجمون الدور الفرنسى فى «مساعدة العراق على تطوير آليته العسكرية وتمكينه من صنع أسلحة بيولوجية وكيمائية».

بالطبع، فإن الزعماء الثلاثة يتمتعون بذكاء كاف ليدركوا أن الوزير الفرنسى لم يقصد القول أن اسرائيل مشكلة. وقد أوضح ذلك بنفسه فيما بعد، إذ قال إنه يقصد القضية الفلسطينية وليست مشكلة اسرائيل.

وقضية تمكين العراق من صنع أسلحة كيميائية هى ليست أكثر من حجة تافهة استعملت بوقاحة زائدة بهدف المساس والطعن وليس من منطلق «الحرص الانسانى» أو «العداء للأسلحة الكيميائية» إذ أن من يملك أسلحة كيميائية وبيولوجية وربما نووية لا يملك حقا أخلاقيا يجيز له لوم الآخرين . ثم إن هناك عشرات الدول التى تمتلك هذه الأسلحة فى العالم. لكن الزعماء الثلاثة لم يتطرقوا إليها أو إلى أولئك الخبراء الغربيين الذين ساهموا فى تطويرها مثل المانيا وغيرها..

وأما رؤية الدور الفرنسى فى التعامل مع العراق محصورا فى تطوير الآلة العسكرية فهو ضرب من المزايدة، يصلح لأطفال سياسة لا لزعماء دولة. ففرنسا للآسف الشديد، غارقة حتى قمة أذنيها فى الحرب الاستعمارية ضد العراق. قواتها موجودة وتحارب. طائراتها تشن الغارات المدمرة لها سفن حربية وفرق مدرعات الخ... إن اسرائيل لاتهاجم المانيا مثلا، وهى التى ترفض بحزم المشاركة العسكرية فى الحرب واسرائيل لاتهاجم حتى الأردن، الذى يبدى تعاطفا واضحا مع العراق ولو سياسيا وإعلاميا.

إذن لماذا كان الهجوم على فرنسا ؟!

إنه هجوم سياسى جاء ضمن المحاولات الاسرائيلية الهادفة إلى جنى أكبر قسط («كل الغلة»، كما يقولون) من الربح السياسى من وراء حرب الخليج وهى تريد ضمان هذا الربح من الآن. ولا تسمح لأحد بأن «يخربش» عليها.

والصورة التى رسمها حكام اسرائيل لهذه الحرب مركبة كالآتى:

حرب الخليج تنتهى بانهيار العراق. العالم العربى يفقد أية قدرة عسكرية تهدد اسرائيل. الأنظمة العربية المتحالفة مع أمريكا فى هذه الحرب تتفرغ لتصفية حساباتها الداخلية مع منظمة التحرير الفلسطينية ومع سائر الدول العربية التى وقفت على الحياد أو تعاطفت مع العراق. بانشغال العالم العربى فى بعضه البعض تتم محاصرة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، يعاقبها العالم الغربى والعربى (المتحالف مع امريكا) على موقفها



من أزمة الخليج من بدايتها (يتهمون قيادة م.ت.ف. بتأييد احتلال العراق للكويت، وهذه فرية إذ أن م.ت.ف. أعلنت أكثر من مرة أنها ترفض الاحتلال ولكنها في الوقت نفسه ترفض تدخل القوات الأجنبية وترفض الحرب. وتحبذ الحل العربي. وهذا عمليا هو موقف حركة التحرر الوطني العربية كلها وموقف الأردن واليمن وتونس والجزائر وليبيا والسودان والاتحاد السوفييتي ودول العالم الثالث كله ومجموعة دول عدم الانحياز وغيرها... ن.م)

ونتابع في قراءة الصورة التي رسمها حكام اسرائيل: عندما يطمس دور منظمة التحرير الفلسطينية، عقابا لها على موقفها المذكور، وإذا كانت هناك حاجة لحل القضية الفلسطينية (ونؤكد هنا مرة أخرى على التعبير: «إذا كانت هناك حاجة..») فيكون الحل اسرائيليا صرفا (وليس حتى امريكا).

واسرائيل، كما هو معروف، ترفض المؤتمر الدولي للسلام. وترفض أي تفاوض مع م.ت.ف. وترفض الانسحاب من المناطق المحتلة. وترفض الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني.

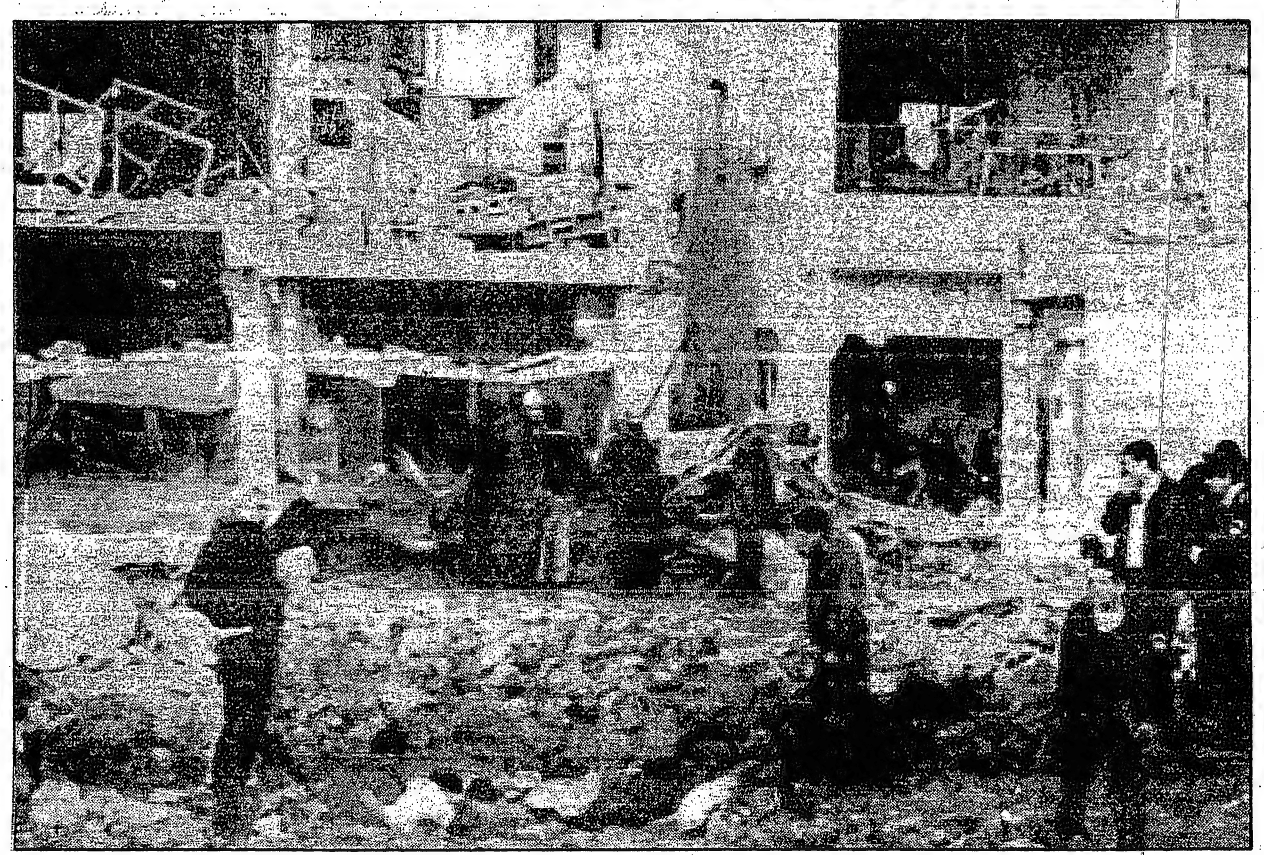
وفي النظام الدولي الجديد، الذي تحاول الولايات المتحدة فرضه في المنطقة بواسطة الحرب على العراق، والذي يحظى بتأييد حكام اسرائيل بحماس، لا وجود لشيئ اسمه دولة فلسطين.

والحكومة الاسرائيلية الحالية، التي تستند على أكثرية ضئيلة في الكنيست (٦٥ عضوا من مجموع ١٢٠)، تحظى بدعم غير متوقع في مواقفها من أزمة الخليج وذلك من المعارضة الاسرائيلية الصهيونية كلها، ليس فقط من حزب العمل بزعامة بيرس بل أيضا من اليسار الصهيوني مثل راتص (يوسي سريد.) ومبام. فقد أعلن زعماء حزب العمل تأييدهم للحكومة في موقفها «الصارم والمتزن» من حرب الخليج. واعلن يوسي سريد عن إعجابه برئيس الحكومة شمير وحنكته السياسية. وقال: ان دور منظمة التحرير الفلسطينية قد انتهى. وعلى الفلسطينيين ان يبحثوا عن قيادة بديلة. بل إن حركة «راتص»، التي يقودها سريد، وكذلك مبام، هاجما حركات السلام الاوروبية والامريكية لانها تقيم المظاهرات ضد الحرب. وقال زعيم مبام جاد يشيف ان هذه الحركات مجنونة وطالبوها بالوقوف إلى جانب القيادة الحكيمة للولايات المتحدة («عل همشمار» - ٩١/١/٢٠).

وإزاء هذا الالتفاف حول حكومة شمير اصبحوا يتحدثون عن «وحدة قومية شاملة» في اسرائيل مع إنه لا توجد «حكومة وحدة قومية» بل إن الليكود يرى أن لا حاجة لإقامة مثل هذه الحكومة، طالما أن المعارضة تساندها بدون مقابل. وعمليا، لاتوجد معارضة للحكومة في الكنيست اليوم سوى من أعضاء الكنيست الشيوعيين والعرب.

وفي هذا الوضع، المحلي والعالمي، تسبح حكومة شمير على هواها فهي، لم تتخيل في أجمل أحلامها أن يتحقق لها مثل هذا التأييد في العالم أو في اسرائيل.

جانب من الدمار الذي أحلقته احد الصواريخ العراقية في الغارة الأولى بتل أبيب



حرب الخليج



مجموعة من الاسرائيليين أمام مبنى مدمر في تل أبيب عقب الغارة الأولى

ومما لاشك فيه أن التفسخ في العالم العربي، الذي وصل إلى أوجه في حرب الخليج، يغذي حكومة اسرائيل وسياستها بشكل مذهل. وليس من قبيل الصدف أن الحزب اليميني المتطرف، الداعي إلى ترحيل العرب من البلاد، «موليدت» (له عضوا كنيست ويرأسه رحبعام زئيفي) خرج بنداء علني إلى الحكومة (ويديعوت احرونوت» -٩١/١/٢١) يطالبها باستقلال الوضع القائم في العالم العربي والمشاركة في الحلف العسكري ضد العراق، بشكل مباشر وعلني ومما جاء في الإعلان: «لقد هددوا بأن الرد الاسرائيلي سيؤدي إلى انسحاب الدول العربية (مصر السعودية وإمارات الخليج وسوريا والمغرب .. ت.م(من الحلف (مع امريكا-ت.م) ولكنها (اى الدول العربية المذكورة) أعلنت أن الأمر لا يهمها»

ومن المعروف أن حكام اسرائيل، خلال نقاشهم مع الأمريكان في بداية أزمة الخليج، أعلنوا رغبتهم في المشاركة في الحلف علنيا وقالوا إن دول الحلف العربية يجب ألا تحرج من المشاركة الاسرائيلية. فنحن نؤدي خدمة مشتركة لمصلحة مشتركة. واليوم، بعد إعلان ممثلي معظم تلك الدول العربية، أنهم «لن ينجروا وراء استفزاز عراقي» أو «وراء حرب عراقية ضد اسرائيل». وإعلان بعضهم ان من حق اسرائيل أن ترد إذا تعرضت لهجوم عراقي (كما أعلن الرئيس حسني مبارك يوم الجمعة ٩١/١/١٨)، بعد كل هذا تتحرك الأوساط اليمينية داخل اسرائيل للضغط من أجل انتهاز هذه الفرصة التاريخية ودخول الحرب، فهذة القوى مقتنعة بأن مشاركة اسرائيل في الحرب تزيد من حصتها في الغنائم.

والنقاش الدائر اليوم، يتمحور عمليا في مسألة حجم الغنائم هل يكون الربح أكبر بدخول اسرائيل في الحرب ام بعدم دخولها المباشر؟!

لكن الأدهى من ذلك وأمر، أن الدور الاسرائيلي لايقتصر على النقاش المجرد. ففي حوزة اسرائيل اليوم أكثر من نصف الشعب الفلسطيني. وخلال أيام الحرب تم فرض نظام حظر التجول على المناطق الفلسطينية المحتلة، قطاع غزه والضفة الغربية ليل نهار (باستثناء ساعتين للتزود بالغذاء وقد حرم من هذا الاستثناء قطاع غزه خلال الاسبوع الاول من الحرب (وحتى كتابة هذه السطور) ويسود القلق العارم بين أوساط هذه الجماهير على مجرد وجودها. وهم يشعرون كأنهم رهائن بأيدي اسرائيل ،ستتصرف بشأنهم وفق ما تمليه تطورات الحرب ونتائجها، وهناك من يسمع تهديدات شتى حول مصيرهم.

ومما لاشك فيه أن الهجوم الاسرائيلي على السياسة الفرنسية جاء ليشكل دلالة فقط على التوجه الاسرائيلي المقبل فهم لا يريدون لأحد أن يعرقل تحقيق خططتهم لتصفية القضية الفلسطينية.

ونحن، الذين نؤمن بأن الرياح لاتجرى دائما كما تشتهي السفن، ونرى بعين ثاقبة كيف تتطور حرب الخليج أيضا بما لايشتهي الأمريكيون وحلفاؤهم، يظل ماثلا في أذهاننا السؤال: حكام اسرائيل واهمون بالتأكيد بأنهم قادرون على تصفية قضية الشعب الفلسطيني. فهذا الشعب عرف الكثير من المؤامرات والمذابح في تاريخه وعرف نكبات ونكسات عربية. ومع ذلك استمر في نضاله وظل يقاوم. وعندما فجر انتفاضته البطولية ، عام ١٩٨٧، لم يكن يستند إلى العراق أو أي بلد عربي آخر وحتى لو انهار العراق وتدمر، لا سمح الله، فإنه لايوجد في ذلك سببا يستدعي انهيار مقاومة الشعب الفلسطيني ونضاله من أجل حقوقه.

ولكن.. ذلك الوهم الاسرائيلي بتحقيق تصفية القضية الفلسطينية، هل هو مجرد وهم أم أنه يستند إلى وعود وصفقات عربية وغربية؟!

حرب الخليج

رسالة القدس

هل تعلن إسرائيل الحرب؟ على شعب فلسطين فى الأرض المحتلة

مطلوب حماية دولية للفلسطينيين

حنا عميرة

مع اندلاع الحرب العدوانية فى الخليج، فرضت سلطات الاحتلال الاسرآئيلى نظام منع التجول الشامل على جميع مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة وابتدأت فى نفس الوقت آلة الحرب النفسية عملها بإعلانات للانتصار الوهمى على الجيش العراقى وبدأت الدوائر الحاكمة فى اسرآئيل تعد نفسها لمرحلة مابعد الحرب ،وتحدث إسحق شامير على سبيل المثال عما وصفه ببدء تفكك منظمة التحرير الفلسطينية ،كما تحدث محللون اسرائيليون آخرون عن المرحلة الجديدة المقبلة التى ستظهر فيها واشنطن باعتبارها القوة العظمى الوحيدة فى العالم التى تستطيع تسيير الأمور فى العالم وفى منطقتنا فإن «هزيمة» العراق العسكرية وتحطيم قدراته الاقتصادية والعسكرية ستبقى، أوهكذا يأملون، إسرئيل فى موقعها العسكرى المتقدم، وسنعطى ما يصفونه بالمعسكر العربى المعتدل، بقيادة النظام فى مصر دوراً قيادياً فى جر المنطقة لما يسمى بحلف الأمن الإقليمى بقيادة واشنطن. وضمن هذه المعادلة أو السيناريو ستتوقف الإنتفاضة وستتفكك منظمة التحرير ويصبح المجال مفتوحا لفرض «الحل الاسرآئيلى» على الشعب الفلسطينى.

هذا مابدأت تعلنه وبشكل مستمر وسائل الإعلام الاسرائيلية وهذا هو جوهر «الارتباط» الذى تخطط له بين أزمتى الخليج وفلسطين، أما الارتباط عبر المؤتمر الدولى والحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية فهو غير وارد فى القاموس الاميريكى والاسرآئيلى.

وفى ظل هذه الظروف يواجه الشعب الفلسطينى فى حالة نجاح الحل العسكرى -لاسمح الله- ضد العراق مخاطر جدية.

ففى المقدمة تأتى مصلحة الأمن الاسرائيلى التى ترى فى الشعب الفلسطينى خطرا على هذا الأمن. وعند نشوب الحرب وعندما كان الاختيار بين توزيع اقنعة الوقاية من الغاز أو فرض منع التجول الشامل على الضفة والقطاع جرى اختيار العامل الثانى... وبالمناسبة، فإن أيا من التجمعات الفلسطينية فى الضفة والقطاع وخاصة المدن والقرى والمخيمات، لاتملك أدنى مقومات الأمن أو الوقاية أو الحماية وحتى إنها لاتملك صفارات الإنذار وعليه فإن الإنذار يتم عن طريق الهاتف وبعد الإتصال فى مدينة القدس القريبة من صفارات الإنذار الاسرئيلية هذا بالنسبة للذين يستمعون أو يملكون أجهزة الراديو.

وإذا ماعدنا للحديث عن الاخطار فإننا سنكتفى هنا ببعض الاقتباسات عشية اندلاع الحرب، فالمواطنون الفلسطينيون يعبرون فى هذه المرحلة عن قلقهم العميق وعن خشيتهم من استخدام السلطات الاسرائيلية لحرب الخليج لترحيل أعداد كبيرة إلى الشرق وحتى لانبالغ فى تقدير هذه المخاوف والأخطار، فإننا سنقتبس هنا مجموعة من التصريحات لعدد من المسئولين الاسرآئيليين وتعليقات لمحللين اسرائيليين تؤكد هذه المخاوف.

ومثل هذه التهديدات التى صدرت عن وزراء اسرائيليين، تؤكد حقيقة ترفض الولايات المتحدة الإقرار بها حتى الآن ألا وهى حالة الارتباط بين جميع مشاكل المنطقة وبالتحديد الارتباط بين أزمة الخليج والقضية الفلسطينية، وقد أكد المعلق الاسرآئيلى «بنحاس عنبرى» هذا الارتباط فى صحيفة «عل همشمار» عندما قال «إن نشاطا اسرآئيليا مضرا تجاه القضية الفلسطينية هو الوجه الآخر للربط المشهور» وأضاف «يجب ألاننسى ولو للحظة طبيعة الحكومة الاسرآئيلية فى هذه الأيام، فهذه فرصتها الكبرى لتحقيق أيدلوجيتها، عن طريق الترحيل وخلق وطن فلسطينى بديل فى الأردن، وحقيقة أن الملك حسين فى الجانب غير الصحيح من المتراس- على حد قول عنبرى- ووجود تحريض فلسطينى فى المناطق المحتلة، كل هذا إغراء من الصعب تجاهله بالنسبة لهذه الحكومة- أى حكومة شامير- ذات الميول التوراتية، ومن الصعب التصديق بأنها ستسيطر على غرائزها ولن تقوم بما هو مضر إذا لم «يكن ترحيل شامل، فربما ترحيل صغير أو «نقل» معسكر أنصار إلى مكان آخر».

هذا التحذير صدر بتاريخ ١/١٢- وعن نفس الموضوع أشار المعلق العسكرى الاسرائيلى زئيف شيف، الذى تعمد الحديث بتاريخ ١/١٣ عن شائعات باحتمال قيام اسرآئيل بقصف مدينة بالضفة مثل نابلس بأسلحة كيماوية انتقاما لهجوم عراقى محتمل بالصواريخ من أجل التسبب فى هروب جماعى فلسطينى.

ونفس الأقوال رددها المعلق العسكرى لصحيفة «يديعوت احرونوت» رون بن يشاى الذى حذر من قيام نشيطى الانتفاضة بفتح جبهة ثانية، واعتبر أن ذلك سيشكل تهديدا للجبهة الداخلية الاسرآئيلية ثم أضاف بأن الجيش الاسرآئيلى وأذرع الأمن يعون ذلك وبأنهما قاما بالاستعدادات اللازمة.



وصحيفة يديعوت احرونوت ذهبت إلى أكثر من ذلك عندما نشرت بتاريخ ١/٧ على صدر صفحتها الأولى عن برامج لفتح جبهة ثانية وعن مخططات لتنفيذ موجة من العمليات داخل اسرائيل وقالت أيضا أن هذه التوجهات تعبر عن مواقف القيادة الموحدة وكافة الفصائل الفلسطينية.

ويكمل هذا السيناريو الجنرال فى الاحتياط شلومو غازيت الرئيس السابق للاستخبارات العسكرية الاسرآئيلية، الذى نشر بتاريخ ١/٨ تعليقا فى صحيفة جيروزاليم بوست تحدث فيه عن احتمال حدوث ترحيل جماعى للفلسطينيين نحو الشرق فى حالة نشوب حرب فى الخليج واعتبر ذلك ليس مجرد احتمال بسيط وإنما من الاحتمالات الممكنة جدا.

هذه التهديدات بإعلان حالة الحرب وبالترحيل الجماعى، لم تأت من فراغ وإنما لها مايبررها فى تاريخ الشعب الفلسطينى وظروف اقتلاعه من أرضه وبعد عام ١٩٤٨ وبعد عام ١٩٦٧، وقد عبر عن هذا الواقع اسحق شامير عندما قال بأن الهجرة الكبرى تتطلب أرض اسرائيل الكبرى.

وإذا ما عدنا مرة أخرى إلى سياسة التهديد بإعلان حالة الحرب ضد شعب المناطق المحتلة، فإننا نجد أن أقوال المعلقين العسكريين الاسرائيليين وغيرهم لها مايسندها ويدعمها فى مواقف المسئولين الاسرائيليين أنفسهم.

بتاريخ ١/١٠ حذر وزير الشرطة المواطنين الفلسطينيين بقوله بأن الحكومة ستتبع إجراءات صارمة وقاطعة إذا ما حاولوا التشويش بأى شكل من الأشكال على نشاطات الجبهة الداخلية أو نشاطات الجيش الاسرائيلى فى حالة وقوع الحرب.

وبتاريخ ١/١١ وجه وزير الدفاع موشيه ارنس تحذير مماثلا أكد فيه أن رد اسرآئيل سيكون غير ذلك المتبع الآن من قبل الجيش.

وعلى نفس الصعيد أعلن النائب العسكرى العام امنون ستراشنوف بتاريخ ١/١٣ - إذا أقام سكان الضفة والقطاع بأعمال مناهضة للتشويش على نشاطات الجيش الاسرائيلى فى حالة نشوب الحرب، فإننا سنفرض أنظمة حرب على مناطق الضفة والقطاع وقال أيضا أنه بموجب الأنظمة ستعدل أنظمة إطلاق النار الصادرة للجنود لتتلاءم مع متطلبات الجيش ومهامه فى مثل هذه الحالات. وأضاف أنه قدم رأيا قانونيا بهذا الشأن إلى إرنس ورئيس الاركان.

إن مثل هذه التهديدات الاسرائيلية تؤكد بشكل عملى حالة الارتباط بين مشاكل المنطقة، كما أنها تبرر القلق الذى ينتاب الأوساط الفلسطينية باعتبار أن نشوب حرب فى الخليج يمنح الدوائر الاسرآئيلية فرصة ذهبية لتنفيذ مخططات جاهزة وتحتفظ بها فى الأدراج للساعة المناسبة.

اسرائيل تأمل فى تحطيم العراق وتولى النظام الحاكم فى مصر دوراً قيادياً فى المنطقة

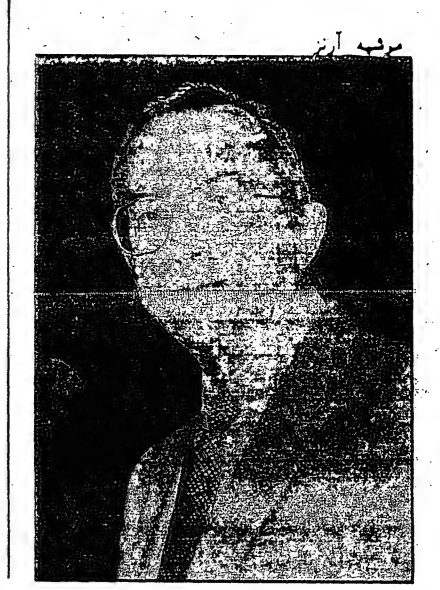
لقد كشفت رسالة حركة السلام الآن إلى رئيس أركان الجيش الاسرائيلى الجنرال دان شومرون هذه الحقيقة بإشارتها إلى نية المستوطنين المجندين فى الجيش الاسرائيلى تنظيم حملة طرد جماعى للفلسطينيين من المناطق المحتلة.

على هذه الخلفية بالتحديد جاء النداء الذى وجهته الشخصيات الوطنية فى المناطق المحتلة إلى الأمين العام للامم المتحدة «بيريز دى كويار» للمطالبة بالحماية الدولية. ففى مؤتمر صحفى عقد فى القدس الشرقية ١/١٢ دعت هذه الشخصيات التى تمثل كافة الاتجاهات الفلسطينية الامم المتحدة والمؤسسات الدولية إلى تحمل مسئوليتها تجاه الشعب الفلسطينى فيما يتعلق بتطبيق ميثاق جنيف وطالبت باتخاذ كافة الإجراءات لمنع استغلال وضع حالة الحرب ضد الفلسطينيين فى الضفة والقطاع.

إن هذه المطالبة العادلة والمشروعة تعبر عن حاجة الشعب الفلسطينى لدور تقوده الأمم المتحدة لحماية الشعب الفلسطينى كمقدمة لإيجاد حل شامل للقضية الفلسطينية. وهذا الدور يجب أن لايقتصر على العوامل الانسانية فقط وإنما على العوامل السياسية أيضا وهذا مايبرر الدعوة لعقد المؤتمر الدولى لحل كافة المشكلات فى المنطقة.

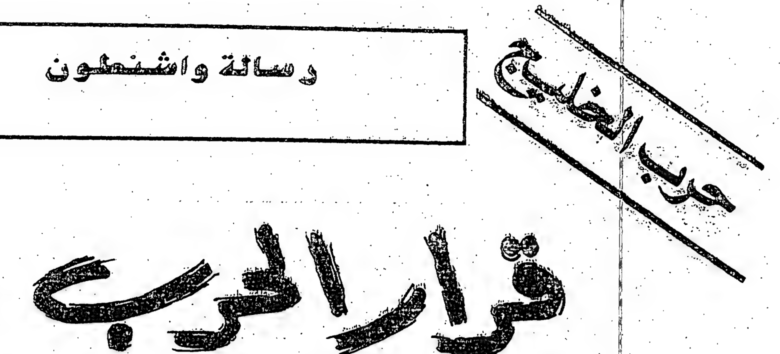
إن الربط على الطريقة الاسرآئيلية لمشاكل المنطقة من شأنه تعريض الشعب الفلسطينى وقضيته الوطنية للمزيد من الأخطار والتهديدات ولهذا فإن قيام الامم المتحدة ومجلس الأمن بالتحديد بمتابعة وتنفيذ جميع قراراته المتعلقة بفلسطين والخليج من شأنه وضع حد لتهديدات اسرائيل بإعلان حالة الحرب على شعب المناطق المحتلة، فالربط المطلوب لايجب أن يكون على الطريقة الاسرائيلية أو الاميركية وإنما عبر الامم المتحدة.

موشيه آرنس



شامير





قرار الحرب

الديمقراطية الأمريكية في الممارسة

سمير كرم

بعد سنوات تطول أو تقصر عندما يؤرخ الأمريكيون لظروف دخولهم الحرب في الخليج في عام ١٩٩١، فإنهم -غالبا- سيصفونها بأنها أكثر من غيرها من الحروب الاميركية الخارجية كانت حربا ضد رغبة الشعب الاميركي، وضد إرادته، وضد دستوره.

وقد لا نعرف من الآن- والحرب عند كتابة هذا السطور في بدايتها، في أيامها الاولى بكل ضرواتها- إذا ما كان المؤرخون الاميركيون سيصفون الحرب الأميركية في الخليج أيضا بأنها كانت- أكثر من الحروب الأميركية التي سبقتها- ضد مصالح الشعب الاميركي.

إذ لايزال أحد الأسئلة الكثيرة المعلقة بانتظار نتائج هذه الحرب- وربما أهمها- إذا كانت ستخرج الاقتصاد الأمريكي من أزمة الانكماش أم أنها ستدفع به إلى كارثة كساد حاد من نوع كارثة أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من هذا القرن. والرأيان موجودان في الأوساط الاقتصادية الاميركية بصورة متعادلة. كل منهما له أسبابه الوجيهة. وكل منهما يستند إلى سوابق تاريخية: حروب أنقذت الاقتصاد الاميركية وانعشته.. وحروب ألحقت به أضرارا ألمت المجتمع الأميركي سنوات طويلة

اعتقالات واسعة غير مسبوقة للمتظاهرين ضد الحرب

ومن المؤكد أن المؤرخين الاميركيين- بعد سنوات تطول أو تقصر- سيعبرون عن آرائهم وتفسيراتهم للحرب الأميركية في الخليج بكل حرية فعندما تكون الحرب قد انتهت بخيرها وشرها إذا جاز القول بأن في مثل هذا الحرب أو في أي حرب خيرا- لن تكون هناك قيود على الحقائق أو المعلومات أو الآراء أو التفسيرات. على عكس ماهو الحال الآن ونيران الحرب مشتعلة حيث الرقابة العسكرية مفروضة رسميا والرقابة الاجتماعية والنفسية تجعل كثيرين يفضلون البقاء تحت مظلة الأغلبية الصامتة.. بينما تخرج «الأقلية الزاعقة» تعبر عن معارضتها للحرب في الشارع.

أقل الحروب شعبية

وفي ظروف الحرب يصبح الشارع هو «المنبر» الوحيد للمعارضين لكنهم هناك لايجدون أية حصانة. إن المتظاهرين ضد الحرب في المدن الاميركية غير محصنين ضد عنف البوليس وعلى الأقل صرامته وغير محصنين ضد الإعتقال وإن كان لايدوم طويلاً وأكثر من هذا غير محصنين ضد مشاعر الكراهية واتهامات «العداء لأميركا» .. حتى بعد انقضاء مايقرب من أربعة عقود كاملة على عهد المكارثية ولقد رافق عهد المكارثية في أميركا الحرب الأميركية في كوريا سنة بسنة وترك لها مناهضو الحرب الاميركية جيلا وراء جيل شعورا بأن المكارثية يمكن أن تعود إلى الحياة في أشكال مختلفة.. أقل صراحة وأقل صرامة في الغالب. لكنها أشكال تكتسب شرعية فشلت المكارثية الأصلية في اكتسابها في أوائل الخمسينيات.

ونعود إلى مقولتنا الأولى.

لماذا نتوقع أن يقول المؤرخون في المستقبل عن الحرب الأميركية الدائرة الآن في الخليج أنها أقل حروب أميركا شعبية.. وأكثرها اندفاعا بعيدا عن ضمير غالبية «الرأي العام» الأميركي؟

ولنبدأ إجابتنا على السؤال بسؤال: هل يمكن أن نتصور قرارا أهم من قرار الحرب يحتاج لاستطلاع حقيقي لآراء الناس في مجتمع يعتز أكثرما يعتز بديمقراطيته وانفتاحه ولانظن أن أحدا يمكن أن يستهين بخطورة قرار الحرب فيقول لا ردا على مثل هذا السؤال

مع ذلك فإن مراقبة سير «العملية الديمقراطية» في الولايات المتحدة بشأن قرار الحرب تكشف بدرجة غير عادية- ربما لاتتوفر في أية ظروف أخرى. إن قرار الحرب قد اتخذ بعيدا عن إرادة الاميركيين وعلى الرغم منهم وتكشف بدرجة غير عادية أيضا إلى حد تصبح ممارسة الإجراءات الديمقراطية إحترافا دقيقا للمناورات يجيده الحاكمون .. ولا يجيده غيرهم.

وصحيح أن أي مراقب فرد- مهما كانت معرفته ومدى ألفته للحياة السياسية والعامة في بلد ما، خاصة إذا كان بحجم الولايات المتحدة الجغرافي والسكاني وتعقيد نظامه السياسي- لايستطيع أن «يقيس» اتجاهات الرأي العام بشأن قضية كقضية قرار الحرب. مع ذلك لايمكن الشك في أن الجو العام الذي يسود مجتمعا في الأوقات الحرجة والخطرة ينعكس بوضوح في مشاعر الناس وطريقة تعبيرهم عنها... بل ينعكس في تصرفاتهم بشكل عام. والأمر الذي لاتخطئه عين أن الأميركيين منذ أن صعّدت الحكومة شعورهم بأن الحرب في الخليج حتمية غاصوا في حالة من الاكتئاب العام لاتسود عادة في مجتمعات بأسرها إلا في أوقات الهزيمة والكوارث الطبيعية الساحقة والمآسي القومية.

لقد وصلت الحالة العامة إلى هذه الدرجة الحالية من الإكتئاب بعد تطور بطئ لكنه ملحوظ.. بدأ بقرار إرسال القوات الاميركية إلى الخليج العربي وأخذ يتصاعد مع تصاعد أعداد هذه القوات ومشاهد رحيل العسكريين بعيدا عن أسرهم وأعمالهم وتصاعد أكثر مع استدعاء الاحتياطي.. وقطع شوطا أكبر في تصعيده عندما قرر الرئيس بوش- في ٨





روبرت دول

نوفمبر الماضى مضاعفة عدد القوات الاميركية فى الخليج. وفى كل تلك المراحل كان لازال يراود الاميركيين العاديين شعور بأن هذه الحرب سيكون بالإمكان تفاديها بشكل أو بآخر.

الأعراض الفيتنامية

وعلى مدى الشهور التى استغرقها هذا التصعيد لم يبق مجال للشك فى أن الغالبية الساحقة للأميركيين تعارض خوض هذه الحرب ومع هذا التصعيد استيقظت داخلهم المخاوف القديمة من فيتنام ،عادت «الأعراض الفيتنامية» كما يطلقون عليها هم أنفسهم بقلقهم وتقطع مسار الحياة العادية بالنسبة إليهم لهذا ترافق إعداد الأميركيين لتوقع قرار الحرب بذلك «الإعلان الرئاسى» من جورج بوش بأن هذه الحرب إذا وقعت لن تكون فيتنام أخرى ستكون سريعة وساحقة وحاسمة والخسائر؟ ستكون ضئيلة إلى أقصى درجة .

متى يعود الابناء إلى الوطن: «سريعا» لن يبقى واحد منهم هناك دقيقة واحدة بعد أداء المهمة.

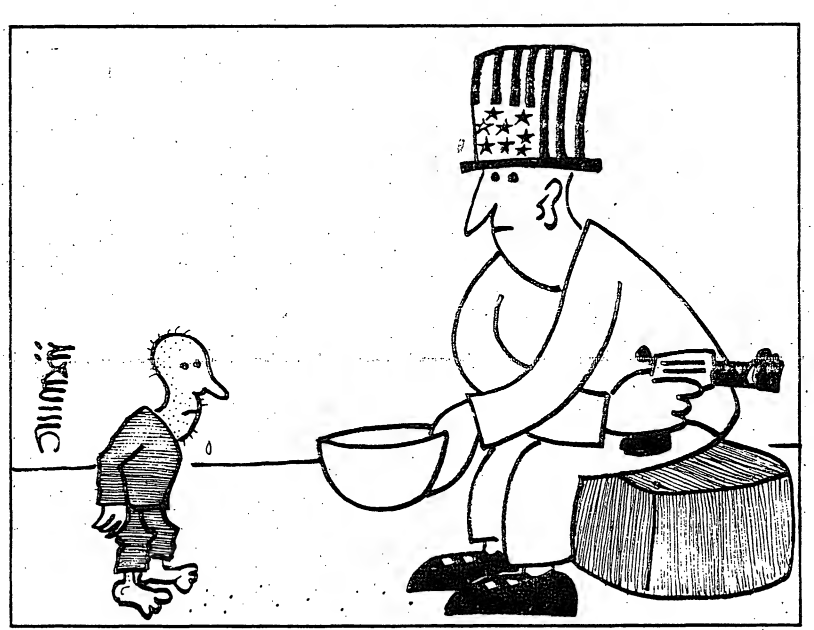
ولم يكن هناك مايمكن أن يصعق شعور الأميركيين بالخوف من «الأعراض الفيتنامية» مثل هذا الكلام.. إنه بالعبارات نفسها.. وحتى الكلمات نفسها التى قيلت عندما كانت الولايات المتحدة فى بداية ورطتها الفيتنامية. الكلام نفسه والوعود نفسها رددها جون كيندى وبعده جونسون وبعده- وكانت سنوات عديدة قد مضت. ظل ريتشارد نيكسون يؤكد أن «السلام فى متناول أيدينا»

وحدهم «الخبراء العسكريون» كانوا مقتنعين بأن الحرب الأميركية فى الخليج العربى لن تكون فيتنام أخرى... وكما نعرف فالأسباب تنحصر فى اختلاف البيئة الجغرافية عن غابات فيتنام الكثيفة.. إلى صحراء الخليج المكشوفة.

لقد داهم قرار الحرب الاميركيين فى أسوأ الأوقات حينما بدا أن السلام أتى وأن الحرب الباردة لفظت أنفاسها الأخيرة وأن «الخطر الشيوعى» قد زال حينما كانوا بانتظار «أرباح سنوات السلام» لتحل محل ميزانيات الحرب التى أنهكتهم بها إدارة رونالد ريجان طوال الثمانينات بشكل خاص.

كما داهم قرار الحرب الأمريكيين وهم يعانون قسوة تأثيرات الانكماش الاقتصادى .. مع أنها لاتزال فى مراحلها الأولية وتنذر بما هو أشد قسوة وإيلاما.

ولايختلف الشعب الاميركى عن غيره من الشعوب. يقبل تضحيات الحرب إذا كانت ضرورة حياة أو موت إذا كانت ضرورة سيادة. إذا كانت ضرورة أمن قومى. وفى آخر حربين كبيرتين خاضتهما الولايات المتحدة بعيدا. فى كوريا وبعد ذلك فى فيتنام- كان لايزال خطر الشيوعية يشكل سببا مقنعا بالنسبة لكثيرين بضرورة قبول أهوال الحرب- البعيده- وتضحياتها البشرية والمادية فقط. فى السنوات الأخيرة من الحرب الأمريكية فى فيتنام، كان الأميركيون قد أدركوا أنهم يواجهون أمة تدافع عن استقلالها ووحدتها أكثر مما يواجهون خطرا شيوعيا توسعيا يهدد أسلوب حياتهم.. كما يزعم الرؤساء الأميركيون حربا بعد أخرى.. سنة بعد أخرى.







جورج بوش



الرئيس.. والكونجرس

حتى إدارة الرئيس بوش نفسها بدت حائرة لاتعرف ماذا تقول فى تبرير حرب الخليج الجديدة وإقناع الأميركيين بضرورتها. لهذا تنقلت بين تبرير وتبرير. فهو البترول مرة. وهو رد العدوان على دولة صديقة مرة آخرى ومرة ثالثة. قالت إدارة بوش وبلسان وزير الخارجية جميس بيكر وليس بلسان وزير المالية أو وزير التجارة- من أجل وظائف.. فرص عمل للأمريكيين، والرابعة كانت من أجل النظام العالمى الجديد. بل لقد بدا أحيانا لأعين الاميركيين أن إدارة الرئيس بوش لاتملك سيطرة كافية على التطورات التى تدفع بأميركا نحو الحرب. بدا لكثيرين كأن بوش اندفع عن غير قصد إلى إرسال القوات.. وأن كل الخطوات التى تلت ذلك كانت عنادا خاليا من الوعى والتروى وانتهى بحرب حقيقية يعرف الجميع متى بدأت وكيف.. لكن أحدا لايعرف على وجه التحديد متى ستنتهى وكيف.

وحينما بدا أن أيا من الأسباب والتبريرات التى يسوقها بوش للحرب لاتقنع أحدا، كان الرئيس الأمريكى أسعد الجميع بالمشكلة التى أثارها الكونجرس فى وجهه: الرئيس لايملك دستوريا سلطة إدخال الولايات المتحدة فى حرب، الكونجرس وحده يملك هذه السلطة بالنص الصريح للدستور الاميركى.

أما لماذا سعد بوش بإثارة هذه المشكلة، فلأنها كانت بالنسبة إليه مخرجا من المناقشات

هل تخرج الحرب الاقتصاد الامريكى من أزمته.. أم تدفعه إلى كارثة كساد حاد؟!!

الطيارون التابعون للبحرية الأمريكية





حول موضوع الحرب نفسه. لم يكن مضطراً للاستمرار فى مناقشة قضية حرب أو لاحرب. لقد حول زعماء الكونجرس القضية فى اتجاه آخر تماما: حرب .. فمن الذى يملك القرار بشأنها وكانت هذه أفضل تهيئة ممكنة للرأى العام الأميركى ليعرف أن الحرب أصبحت حتمية ووشيكة لامفر منها وكانت فى الوقت نفسه أقصر السبل لافتعال معركة يعرف بوش تجارب كل الرؤساء الاميركيين السابقين فيها، ويعرف أنها تنتهى دائما بغلبة الرئيس ،هكذا حدث فى الحرب الأميركية الاسبانية (١٨٩٨) التى انتهت باحتلال أميركا لكوبا وبورتو ريكو والفيلبين.... وهكذا حدث فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨.. دخلتها أميركا فى عام ١٩١٧) وفى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥.. دخلتها أميركا فى عام ١٩٤١) وبالمثل فى حرب كوريا (١٩٥٠-١٩٥٣) وفيتنام (١٩٦٠-١٩٧٣).

وقد قطع بوش الشك باليقين عندما قال: لقد خاضت الولايات المتحدة منذ استقلالها (١٧٧٦) مائتى حرب.. فى خمس منها فقط اتخذ الكونجرس قرار الحرب، وفى بقية الحروب جميعا استخدم الرئيس صلاحياته لخوض الصراع المسلح دون إعلان حرب حق الكونجرس كما يقضى الدستور.

والواقع أن الكونجرس بدوره لم يكن يثير مسألة الصلاحيات الدستورية لكى يطرح- وفقا لمشيئة الشعب الاميركى واتجاهه العام الواضح ضد الحرب- قضية خيار الحرب وخيار الاكتفاء بالعقوبات الاقتصادية. المسألة بالنسبة للكونجرس كانت مسألة اللعبة السياسية بين الجمهوريين الذين طالت سيطرتهم على البيت الابيض والديمقراطيين الذين يريدون العودة إليه. والذين تسيطر أغلبيتهم على مجلس الكونجرس: الشيوخ والنواب بصفة شبه دائمة منذ نحو نصف قرن. فلقد شغل البيت الأبيض رؤساء جمهوريون منذ بداية رئاسة ريتشارد نيكسون (١٩٦٨) حتى الآن عدا فترة السنوات الأربع للرئيس الديمقراطى جيمى كارتر (١٩٧٦-١٩٨٠)

المحافظون يكسبون

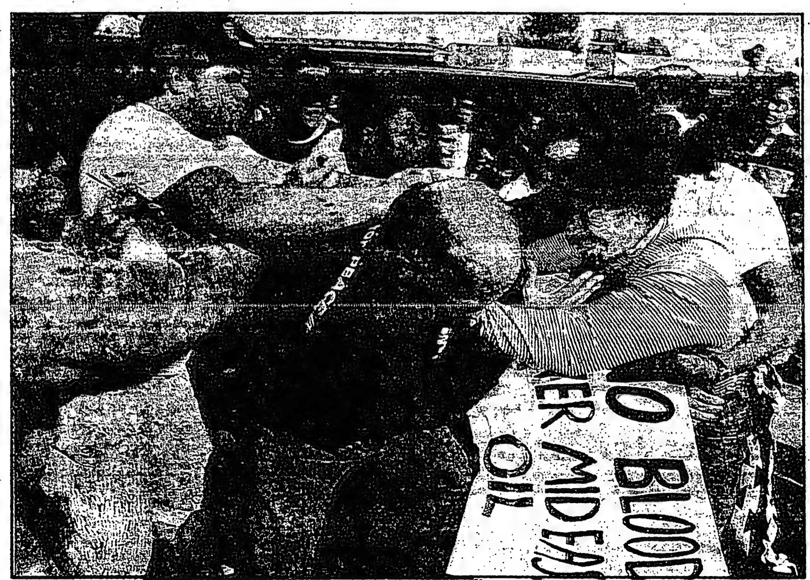
ولاشك أن توافق ظروف الانكماش الاقتصادى مع ظروف أزمة الخليج تشكل فرصة لايمكن إضاعتها من جانب الحزب الديمقراطى لتحدى الرئيس الجمهورى وإظهار ضعف سياسته وما يمكن أن تؤدى إليه. وقد سبق ذلك تحديهم له فى قضية الضرائب. وفيها أرغموا الرئيس بوش على أن يبتلع وعده الشهير للأميركيين بأنه لاضرائب جديدة فى عهده. وقد اعتقد الزعماء الديمقراطيون أن بإمكانهم تحديه فى جولة أخرى تتعلق بالحرب فتكون النتيجة إضعافه أمام الناخبين قبل أن تلوح البوادر الأولى لحملة انتخابات الرئاسة التالية.. وموعد هذه الحملة يحين فى الأشهر الأخيرة من هذا العام.. وأن موعد الانتخابات

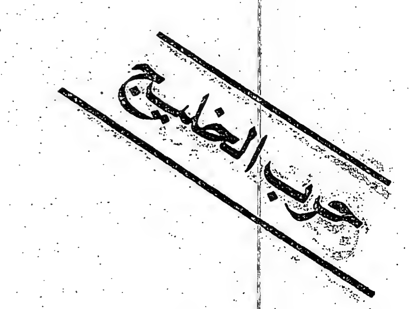
بوش يرحب باصرار الكونجرس على أن يصدر المجلس قرار الحرب

الولايات المتحدة خاضت فى تاريخها ٢٠٠ حرب منها خمسة فقط بقرار من الكونجرس

الرقابة العسكرية والرقابة الإجتماعية تدفع أغلبية الأمريكيين إلى مظلة الأغلبية الصامتة

إشتباك بين المناهضين للحرب وأنصارها





نفسها يحين فى ٣ نوفمبر ١٩٩٢(٠٠٠٠)

ومن الواضح أن بوش، الذى قضى فى كواليس واشنطن السياسية عمرا طويلا لايضاهيه فيه أى رئيس أميركى قبله أكثر ثقة بمقدرته على خوض لعبة الصراع السياسى مع الكونجرس.. خاصة إذا تعلقت بظروف كهذه.. ظروف حرب. ففى مثل هذه الظروف يفرض على السياسيين أن يلقوا جانبا انتماءهم الحزبى فلا يعد عضو الكونجرس ديمقراطيا أو جمهوريا. فى مثل هذه الظروف تعلو تقسيمة من نوع آخر على الاعتبارات الحزبية. يتجمع «المحافظون» فى كتلة واحدة من كان منهم من الحزب الجمهورى ومن كان من الديمقراطيين، ويتجمع «الليبراليون» فى كتلة أخرى من كان منهم من الحزب الديمقراطى ومن كان من الجمهوريين.

وفى كل الظروف التى تتبلور فيها هاتان الكتلتان المتميزتان ترجح كفة كتلة المحافظين لماذا؟

لانه على الرغم من أن الحزب الديمقراطى يغلب عليه التيار الليبرالى إلا أن بداخله شريحة كبيرة وقوية من «المحافظين» أما الحزب الجمهورى، وهو حزب ينتمى إليه ذوو الاتجاهات المحافظة بدرجاتها المختلفة فإن حيز الليبرالية فيه ضئيل للغاية.

وبسبب هذه التقسيمة نجح رونالد ريجان أكثر رؤساء اميركا المحافظين يمينية فى هذا القرن فى أن يسيطر على الكونجرس ويوجه قراراته وقوانينه فى الإتجاه الذى يريده لأن الشيوخ والنواب الديمقراطيين من التيار المحافظ تحالفوا معه فى كل معارك الكونجرس مع الإدارة.

وهكذا عندما دخلت معركة قرار الحرب الكونجرس دخلت بطلب من بوش نفسه، الذى دعا الكونجرس إلى تأييد سياسته، أى الوقوف إلى جانبه لا إلى جانبه غالبية الشعب الاميركى مع قرار الحرب ولهذا كان بوش واثقا إلى حد الغطرسة من سيطرة المحافظين من الحزبين فأعلن أنه وإن كان يطلب من الكونجرس تأييد قرار الحرب.. إلا أنه لن يحدد موقفه وقراره بشأنها بناء على ما سيتخذه الكونجرس بمعنى: إذا أيد تمونى أو لم تؤيدونى فإن قرارى لن يتغير.

وفى العرف السياسى الاميركى- وهو أمر مفهوم -إنه فى ظروف الحرب لابد أن يؤيد الكونجرس الرئيس ويقف وراءه، فهذا ضرورى للوقوف وراء القوات الاميركية وهى تحارب والرئيس هو القائد الأعلى لهذا القوات. وبالتالى فإن قلة ضئيلة للغاية يمكن أن تواتيها شجاعة معارضة الحرب... بعد أن تكون الإدارة قد اتخذت كل الخطوات التى تجعل من هذه الحرب واقعا لامفر منه.

ولابد أن نلاحظ أن بوش لم يخاطب الكونجرس فى شأن قرار الحرب إلا بعد أن أصبح إنطلاق المدافع مسألة أيام معدودة. مسألة ساعات، وقبل ذلك فإنه اتخذ قرار إرسال القوات الاميركية إلى الخليج دون الرجوع إلى الكونجرس واتخذ قرار زيارتها إلى ٢٠٠ ألف دون أن يطلب موافقة الكونجرس وبدونها استدعى الاحتياطى.

الاعراض الفيتنامية تثير قلق الاميركيين

مجندة أمريكية فى السعودية



وحينما كان الكونجرس مشغولا بانتخاباته فى الأسبوع الأول من نوفمبر اتخذ بوش قراره الأخطر بمضاعفة عدد القوات الاميركية فى الخليج إلى ٤٢٥ ألف جندى.

وعندما رضخ الكونجرس بمجلسيه لطلب بوش بمناقشة قرار الحرب حدث بالضبط «السيناريو» الذى توقعه بوش وعمل من أجله فقد سبقت المناقشات اتصالات من بوش بكل الشيوخ والنواب الذين يعرف جيدا أنه يستطيع استمالتهم ويضمن وقوفهم إلى جانبه فى التصويت على القرار. وفى هذه الإتصالات مورست كافة أشكال الترغيب والوعود من الرئيس بشأن مايمكن عمله من جانب الإدارة لصالح اولئك الشيوخ والنواب ودوائرهم الانتخابية ومورست فى بعض الحالات الطريقة العكسية وهى التلويح بإمكان تعطيل بعض المصالح هنا وبعض المشروعات هناك

وإذا ألقيت نظرة على نتيجة التصويت على مشروعات القرارات التى طرحت فى مجلس الشيوخ والنواب (مشروع مؤيد للرئيس والحرب.. ومشروع معارض فى كل مجلس) نجد أن اثنين فقط من أعضاء مجلس الشيوخ من الجمهوريين شذوا عن حزبهم فصوتوا ضد الرئيس وضد الحرب.. بينما صوت مع الرئيس والحرب من الحزب الديمقراطى المعارض- مخالفين للاتجاه العام لحزبهم- ثمانية من الشيوخ وهكذا على الرغم من أن الحزب الديمقراطى يشغل ٥٥ مقعدا فى مجلس الشيوخ مقابل ٤٥ مقعدا للجمهوريين تمكن بوش من الحصول على موافقة ٥٢ ومعارضة ٤٧ من الشيوخ (عضو واحد لم يصوت لمرضه)

أما فى مجلس النواب فكانت تقسيمة «المحافظين» و«الليبراليين» أوضح.. وأثقل وزنا فى صالح بوش وقرار الحرب. فقد أيد قرار الحرب ٢٥٠ من النواب وعارضه ١٨٣، ومع أن الغالبية الديمقراطية فى المجلس تشغل «٢٨٩ مقعد» من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغ عددها ٤٣٥ مقعد. ويلاحظ أن ثلاثة فقط من النواب الجمهوريين صوتوا ضد الحرب.. وصوت مع الحرب من النواب الديمقراطيين ٧٨ نائبا.

لا.. لشيوخ ونفط الخليج

هل معنى هذا أن مناقشة الكونجرس بمجلسيه لموضوع قرار الحرب، أى تخويل الرئيس بوش سلطة استخدام القوة العسكرية

حرب الخليج



الاميركية ضد العراق لإرغامه على الانسحاب من الكويت. لم تكن جدية.. أو لم تكن حرة؟

أبدا. لقد شهد مجلسا الكونجرس أكثر المناقشات جدية حتى أن بعض الأعضاء وصفوها بأنها «أهم المناقشات التى يمكن أن تخوضها، كما حفلت بالإنفعالات خاصة من جانب مناهضى الحرب وحفلت بالأمثلة التاريخية من الجانبين وتعرضت المناقشات لكافة الجوانب التى يمكن تصورها فى موضوع أزمة الخليج وأثار المعارضون نقاطا بالغة الأهمية فى التقائها مع آراء الغالبية الساحقة فى الشارع الاميركى: بالأخص:

* الاعتراض على التضحية بالشباب الاميركى من أجل حفنة من حكام الكويت

* الاعتراض على بذل الدم الاميركى من أجل نفط الخليج.. مع أن كل ما تستورده الولايات المتحدة منه يمكن الاستغناء عنه إذا بذلت صناعة السيارات الاميركية جهدا بسيطا للغاية لزيادة كفاءة محركاتها من ناحية استهلاك البنزين(.....)

* الاعتراض على التسرع فى سلوك طريق الحرب فيما الدلائل تؤكد أن العراق لا يستطيع أن يستمر فى تحمل ضغوط الحصار الاقتصادى الشامل.

* الاعتراض على تحمل الولايات المتحدة العبء الأكبر فى الحرب فى منطقة يحتاج إليها حلفاؤها مثل أوروبا واليابان- أكثر من احتياج الولايات المتحدة نفسها.

* الاعتراض على رفض الإدارة التروى فى قرار الحرب بحجة أن ذلك سيؤدى إلى إنفراط الائتلاف الدولى للقوات التى تواجه العراق فى الخليج

* الاعتراض على خوض هذه الحرب بفكرة أن أمن اسرائيل فى خطر فلماذا كل ماتحصل اسرائيل عليه من مساعدات أميركية إذا كانت الولايات المتحدة ستجد نفسها مضطرة فى النهاية لإرسال نحو نصف مليون من جنودها ليحاربوا حربها

* ولعل أهم الاعتراضات كان ذلك المتعلق بحقيقة عدم وجود أهداف واضحة ومحددة تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقها وتستطيع تحقيقها من وراء هذه الحرب.

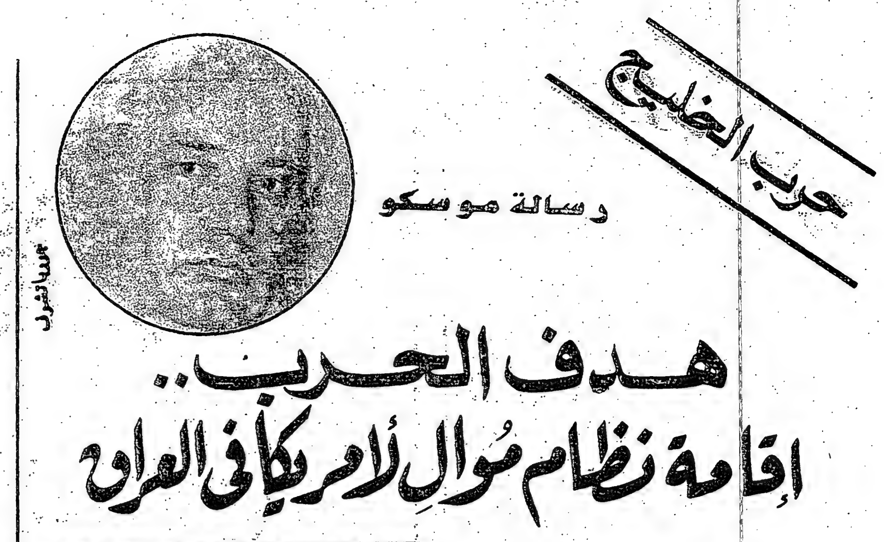
الذين أيدوا قرار الحرب رددوا نفس الحجج القديمة التى ساقوها فى الحروب الاميركية السابقة منذ القرن الماضى: الخطر على الأمن القومى الاميركى/ الخطر على أسلوب الحياه الأميركية./ الدفاع عن القيم الديمقراطية الامريكية... الخ

هكذا بالألاعيب السياسية- إتخذ الكونجرس الاميركى واحدا من أخطر القرارات فى تاريخه الحديث- على الأقل منذ الحرب العالمية الثانية... بينما انفتح لمناقشة حرة بكل معنى «الكلام» وبينما كانت عمليات اعتقال المتظاهرين ضد الحرب تبلغ أرقاما قياسية لم تبلغها فى سنوات حركة المعارضة ضد حرب فيتنام.

ولقد انتشرت فى تحليلات الصحف الاميركية التأكيدات بأن الكونجرس أيد الحرب كارها أو أيد الحرب عن غير اقتناع. وبعد أن انفجرت نيران عاصفة الصحراء بادئة بالغارات الكثيفة على بغداد كان بعض النواب والشيوخ الذين عارضوا الحرب يجدون أنفسهم مضطرين لإعلان الإلتفاف حول الرئيس.. بينما كان بعض النواب والشيوخ الذين أيدوا الحرب يراجعون أنفسهم فى حسرة.. خشية محاسبة الشعب الاميركى لهم عندما يأتى يوم الانتخابات التالية.. وبعضهم خشية محاسبة التاريخ إذا تبين أن الحرب ستطول.. وستطول معها قائمة القتلى والجرحى والمشوهين والمفقودين.

وحده الرئيس بوش يحتفظ بملامح وجهه الهادئة.. ولاينفعل فى هذا الاتجاه أو ضده تماما كما يتوقع الجميع من رجل كان رئيس وكالة للمخابرات المركزية فأصبح رئيس الولايات المتحدة الاميركية والقائد الأعلى لقواتها المسلحة.

وتستمر مظاهرات المعارضة.. وتستمر مصانع استطلاع الرأى فى انتاج النسب والنتائج التى تناسب الرئيس بوش وتكذب مظاهرات الآلاف فى شوارع المدن الاميركية كل يوم بلا انقطاع(...)



هدف الحرب.. إقامة نظام موالٍ لامريكا في العراق

احمد الخميسى

نشرت صحيفة «الكومسومولسكايا» (١/١٨) مقالة تضمنت شهادة لأحد الطيارين الاميركيين الذين شاركوا فى قصف العراق من الجو. يقول أنه رأي كيف كانت بغداد كلها تتوهج بالأضواء مثل شجرة عيد الميلاد. وقد أشاعت الفا طلعة جوية يومية هذا الوهج المميت الذى تثقب به اميركا فى المنطقة مكانا لاستقرار النظام العالمى الجديد الذى يعتمد على :«الإرادة الاميركية» ، وقد لفت جورج بوش النظر إلى تلك الحقيقة عندما كتب إلى صدام حسين: «ينبغى عليك ألا تقلل، كما فعل آخرون قبلك/ من الإرادة الاميركية» ، وهى إرادة لم تترك سماء الأمانى العربية الا وسحت فوق شعبها بمطر الموت الأسود. وهى الإرادة التى عندما شاءت جعلت بيروت تحترق وتتوهج ثلاثة شهور كاملة على كف الرأى العام العالمى المتحضر والشرعية الدولية.

وقد هزت الأزمة التى انقلبت إلى حرب أرجاء العالم، منبهة إلى حقائق جديدة. فلم يحدث من قبل أن تزامنت على هذا النحو لحظتان متنافرتان ومترابطتان كما تزامنت أزمة الخليج وحربها مع أوسع دعاوى الإنفراج الدولى، ونزع السلاح مع رفع السلاح، واختفاء شبح الحرب الباردة وابتداء الحرب الساخنة، والدعوة لنظام عالمى جديد مع تأجج الظاهرة الاستعمارية بهذا العنف، فالمعطيات فى عهد الوفاق الدولى تأكل بعضها الآخر، بحيث لاتظل إلا الحقيقة العارية.

وقد كتبت الصحافة السوفيتية مع بداية الأزمة، وبعد قمة هلسنكى، أن أزمة الخليج كانت اختبارا للعلاقات السوفيتية الاميركية، لكن هلسنكى أكدت تجاوز البلدين للاختبار. إلا أن الاختبار ظل يطارد الطرفين بعد أن تجاوزاه، ليدفع بهما إلى مزيد من التفاهم ، الذى بلغ ذروته عندما صوّت الاتحاد السوفيتى فى مجلس الأمن لصالح القرار ٦٧٨، أى عندما صوت لصالح إعلان الحرب على العراق، وقد صرح شفيرنادزه (٩/٣٠) لشبكة تليفزيونية اميركية بأن: «الاتحاد السوفيتى سيرسل بالعسكريين السوفييت إلى المنطقة إذا اقتضى تطور الأحداث ذلك» وعاد فأكد على ذلك المعنى فى تصريحين آخرين فيما بعد، وكانت تلك إحدى أسباب إقالته بضغوط من العسكريين السوفييت الذين دافعوا عن الحفاظ على العلاقات مع العراق. كما أعلن السوفييت مرارا انهم مع إقامة النظم الأمنية فى المنطقة وعلى استعداد للمشاركة فيها.

وبينما تعاقب العلاقات الدولية الراهنة النظام العراقى لعدوانه على الكويت،فإنها تتناسى أن هذا النظام العراقى هو ثمرة تلك العلاقات نفسها. العلاقات التى التزمت الصمت ثمانية أعوام متصلة أثناء الحرب العراقية الايرانية دون أن تتخذ خطوة دبلوماسية أو فعلية ذات شأن لوقف تلك الحرب طالما أن قتلاها من الشعبين لايعنون أحدا، وطالما كان البلدان سوقا للسلاح. وهى العلاقات التى أغمضت عينيها طويلا عن مجازر النظام العراقى وسط الأكراد العزل، والوطنيين، وغيرهم.

وقد تصور صدام حسين أن من حضر القسمة فلابد أن يقتسم، وأن يخرج بشئ. فكف عن حربه الطويلة المنهكة مع إيران- وقد خاضها هى الأخرى بدعوى تحرير الاراضى العربية- ليلتفت الى غنيمة أسهل، متصورا أن بوسعه الاتفاق بصورة أو أخرى مع أميركا بشأن النفط الكويتى. وفاته أن اميركا لاتعادل اسرائيل بأى نظام آخر، وأن أوضاع المنطقة لابد أن ترتب على ضوء الأمن الاسرائيلى أولا، ولذلك فأن تصفية القوة العسكرية العربية هدف ثابت. ولتعقيد قضية الإنسحاب من الكويت، استدعى صدام حسين عوامل الصراع العربى الاسرائيلى، لأنه يعلم تماما ان تلك هى أقوى أسلحته وأشدها تأثيرا. وماذا لو أن اميركا اتفقت مع العراق على النفط الكويتى؟ هل كان الرئيس العراقى سيظل متمسكا بمؤتمر دولى للقضية الفلسطينية؟ وهى القضية التى نساها ثمانية أعوام أهدر فيها قوة ونفط العراق فى مواجهة الثورة الايرانية التى اتسمت بداياتها بالعداء لاميركا؟ وعندما يتحدث صدام حسين عن «إعادة توزيع الثروة» فإنه يقصد على الارجح توزيع النفط الكويتى على العراق لا أكثر. وإلا فلماذا لم نسمع منه- قبل غزو الكويت- حديثا عن إعادة توزيع «الثروة العربية العراقية؟»

ويقف الكثيرون ضد «غزو الكويت». وضد الوجود الأجنبى» أما المنطق الشعبى فيقف مع الفرصة، الفرصة التى يشكلها الصدام العراقى الامريكى، وماقد يتولد عنها من تفاعلات، وهو يترقب هذه الفرصة ، ويرفض أن تخنق أو أن تجرى وأدها قبل الوصول بتلك التفاعلات إلى نهايتها.

وقد عرت الأزمة الخليجية التى انفجرت فى حرب كافة أطراف الأزمة محليا وعالميا وعرت أيضا النظام العالمى الجديد، ولم تترك أصداؤها ركنا إلا ودوت فيه. ويشير وزير خارجية روسيا الاتحادية «اندريه كوزريف» فى حديث مع صحيفة «الجريدة المستقلة» (١/١٧) إلى أن أحدا فى أزمة الخليج لم يقم بدور مستقل إلا العراق وأميركا، أما الدبلوماسية السوفيتية فقد انجرت إلى السلبية وإلى السياسة الاميركية، مما أدى - على حد قوله- إلى أن القوى المحافظة بكل حنينها للماضى قد قررت استغلال الأزمة لشن هجوم شامل على التفكير السياسى الجديد الذى يعتمد على الوفاق الدولى. وقد أشارت صحيفة «سوفيتسكايا روسيا» (١/١٧) إلى إحدى العلامات الهامة التى توضح طبيعة ذلك الوفاق. إذ أجرت حديثا مع «كريفولين» سكرتير اللجنة السوفيتية المناهضة للصهيونية، سألته فيه عن مدى صحة ماتدعيه بعض الدوائر العربية من وجود اتفاقية سرية بين الاتحاد السوفيتى واميركا

واستـــــل بشأن الهجرة اليهودية. فأجابها «كريفولين»: «إن بين يدى الآن الوثيقة التى أعدتها اللجنة الدولية «للحدود المفتوحة وقد جاء فيها بخصوص هجرة اليهود السوفييت مايلى: إن الحكومة الاميركية هى أحد الأطراف الثلاثة التى وقعت الاتفاقية السرية الخاصة بالهجرة، والأطراف الأخرى هى الاتحاد السوفيتى واسرائيل، وجرى توقيع الاتفاقية فى جنيف وموسكو عام ١٩٨٨، ثم صدق عليها الطرف السوفيتى والاميركى فى لقاء القمة بمالطا عام ١٩٨٩. واتفقت الأطراف الثلاثة على:

١- فتح حدود الاتحاد السوفيتى للهجرة اليهودية

٢- السماح لاسرائيل والمنظمات التابعة لها بتنظيم عمليات الهجرة والإشراف عليها

٣- تقديم بعض المزايا الاقتصادية والسياسية للاتحاد السوفيتى عبر الوسطاء بشرط المعاونة فى تهجير السوفييت

٤- العمل على تقليص عدد اليهود السوفييت المهاجرين للولايات المتحدة.

ولهذا فإن مايفترضه وزير الخارجية الروسى «كوزريف» سلبية دبلوماسية بالنسبة لازمة الخليج هو فى واقع الامر أبعد بكثير من حدود السلبية.

وبينما تأسى الرئيس جورباتشوف على: «الآثار الصعبة لتلك الحرب على الشعوب العربية والشعب الاميركى» فى بيانه بعد اندلاع الحرب، فإن بيانا آخرا رسميا قد صدر قبل ذلك عن مسئول سوفيتى كبير (رفض الإفصاح عن اسمه) جاء فيه:« إن العراق وشعوب المنطقة تدفع ثمنا باهظا نتيجة للإجراءات الرعناء من جانب قادتها »/ وبذلك فإن بيانا سوفيتيا واحدا لم يشر الى الفارق بين العدوان العراقى على الكويت، وبين القصف العنيف الاميركى الذى انهمر على بغداد، ولم يطالب بيان واحد أيضا بسحب القوات الاميركية من الخليج.

ولكن الديمقراطية التى صارت تتمتع بها الصحافة والإعلام السوفيتى قد مكنت من بروز الرأى الاخر المعارض للموقف السوفيتى الرسمى فى الأزمة. ويكتب «إدوارد فولودين» فى صحيفة «سوفيتسكايا روسيا» تحت عنوان «قبيل العاصفة» (١/١١) فيقول: «إن ماجرى خلال وقفة حسن النية (مهلة مجلس الامن) يثير الشكوك، ولتحكموا بأنفسكم.. فعلى المستوى الدبلوماسى راحت الولايات المتحدة تشدد نهجها وتملى شروطها. وبوسعى أن أقول أن الدبلوماسية الاميركية قد بذلت كل ما فى وسعها لإحباط المفاوضات، أو لجعلها تجرى فى ظل التفوق الكاسح للجانب الاميركى. ولتضليل الرأى العام العالمى أثيرت مسألة حيازة العراق للاسلحة النووية دون ذكر أية معلومات محددة، وشنت حملة مكثفة لتشكيل صورة المعتدي القوى الذى يستحق العقاب المناسب. بينما لم يدر أى حديث خلال فترة «الوقفة» عن حيازة اسرائيل أو باكستان للأسلحة النووية، ناهيك عن وجود تلك الأسلحة فعليا لدى القوات الاميركية المرابطة عند شواطئ السعودية. وقد استغلت الادارة الاميركية سخط الرأى العام العالمى على العراق لاحتلاله الكويت، لحل مشكلة أهم بكثير لدى اميركا وهى تحييد العراق فى المواجهة السياسية فى الشرق الأوسط. يقول ادوارد فالودين:« والهدف النهائى للحرب إذا نشبت هو إقامة نظام موال لاميركا فى العراق مما يسهل على اسرائيل حل مشاكلها بما فى ذلك استيطان الأراضى العربية المحتلة» ويقول: «كان من الممكن خلال هذا الشهر ونصف الشهر إعداد برنامج موسع لحل النزاع بالطرق السلمية. أما موقف الاتحاد السوفيتى فغنى عن الكلام. فقد ترافقت بيانات كبار المسئولين عن وقوفنا إلى جوار السلام مع مساعى ترحيل الخبراء السوفييت من العراق. وهذا عمل طيب، ولكن.. هل هذا هو المستوى الذى كان ينبغى أن تتحرك فيه سياسيا دولة تعتبر عضوا فى مجلس الأمن؟

وقبل ذلك تكتب نفس الصحيفة «سوفيتسكايا روسيا» فى (١/٣) تحت عنوان: «هيروشيما جديدة»، ويقول «يورى جفوزديف» إن «الخامس عشر من يناير يقترب، دون أن يقوم أحد بخطوة جدية لوقف خطر الحرب القادمة، لماذا لايتحرك أولئك الذين يصرخون بأعلى صوت مدافعين عن السلام العالمى والمصالح الإنسانية المشتركة؟. إن هناك أحاديث صريحة فى الولايات المتحدة حول تجربة أسلحة نووية جديدة فى الشرق الاوسط، ومع ذلك يسود الصمت أثناء الاعداد للمأساة القادمة. وتأتى هذه البربرية والوحشية ممن يدعون أنهم عالم متحضر. وأكثر مايثير دهشتى هو موقف المسئولين السوفييت عندنا، الذين لايعلنون صراحة عن وقوفهم ضد استخدام الاسلحة النووية فى هذه الحالة المحددة، بدلا من الكلام العام. أما عن مجلس الامن فإن دوره هو الآخر غريب للغاية. فبدلا من أن يقوم بدوره فى مجال السلام، إذا بوحدته تجتمع على الحرب، ولماذا إذن لايستخدم مجلس الأمن قرارات كهذه بالنسبة لفلسطين؟ ولماذا يستخدمون الفيتو عندما يدور الحديث عن الإحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية؟ ام انهم يتبعون «تعددية الاخلاق والقيم» ويمضى كاتب المقالة فيقول: «ومن المؤسف أن يجد الاتحاد السوفيتى نفسه جنبا إلى جنب مع أولئك المتعطشين للحلول العسكرية. وإننى اتساءل: إذا وقفت ذبابة على جبين الإنسان، فهل يجب عليها لكى يطردها، أن يضربها بأعنف مطرقة؟ على الرأى العام السوفيتى أن يعرب عن احتجاجه لعملية التحضير لحرب قذرة كهذه فى الخليج».

ولكن هناك صورة أخرى، وأقلام أخرى، فتكتب السيدة «جالينا سيدروفا» فى مجلة «العالم المعاصر» (الازمنة الحديثة) تحت عنوان «منتخب العالم ضد صدام حسين» فتقول: «اليوم كانت الكويت هى الضحية، ولاندرى على من يحل الدور غدا. فالقضية الآن هى ضرورة الإنصياع لمعايير ومبادئ المجتمعات المتحضرة والقانون الدولى. ولابد من وضع نظام لعقاب المعتدى «وتقول:« لقد التقيت مع مسئول اميركى وتحدثت معه عن أن العالم الثالث الآن يشهد فراغا فى ظل غياب الصراع والتنافس السوفيتى الاميركى. وقد تحاول قوة إقليمية أن تشغل هذا الفراغ.« أما عن امكانيات المفاوضات والمباحثات للعثور على حل سلمى فتقول عنها الكاتبة:« إن موقفى أقرب إلى موقف الذين يعتبرون أن الحوار مع مجرم دولى (تعنى صدام) يعد موقفا لا أخلاقيا.

ويكتب «بيوتر جلادكوف» بنفس المجلة تحت عنوان:« لا أكاد أصدق» فيقول فى نفس الاتجاه السابق: «وفى كل الحالات، فإن بلدان العالم الثالث ستصبح من الآن فصاعدا أكثر عدوانية فى سعيها لإملاء شروطها على المسرح الدولى». ولم تذكر المقالتان كلمة واحدة عن اسرائيل. أو ترسانة الاسلحة التى لديها. لقد احترقت بيروت ذات مرة كشجرة عيد الميلاد وهاهى بغداد تشتعل هى الأخرى كشجرة عيد الميلاد ، وسوف لاتكف هذه الأشجار العربية عن النماء، وسنقرأ على وهج المأساة كتاب هذا العصر.

حرب الخليج

بداية حرب النفط ونهاية الاقتصاد العربي

«ذهبت أمريكا للخليج لتأكيد دورها كقوة عالمية فى مواجهة أوربا واليابان»

د. عثمان محمد عثمان

وشغلت دائرة غير ضيقة من المثقفين العرب خلال العام المنصرم (٨٩/ ١٩٩٠) بمحاولة الإجابة عن تساؤل ملح عن إمكانية لحاق العرب بقطار التغيرات الدولية المتسارعة، وعن التغيرات المحتملة فى بنيان «النظام العربى» وأركانه المختلفة. لم تكن هذه أول مناسبة لاهتمام بعض العرب بالتطلع إلى استشراف المستقبل.

ولاشك أن جانبا أساسيا من دراسة المستقبلات انصبت على الأبعاد الاقتصادية والتنمية وتمثلت باستمرار وضعا مرغوبا فيه للتكامل الاقتصادى العربى أو الوحدة الاقتصادية الكاملة بديلا عن الحالة الراهنة لقصور (أو غياب) التنمية القطرية.

ولكن قراءة التغيرات العالمية الراهنة تمت- على النقيض من ذلك- بلغة سياسية (أيدولوجية) رصدت- تحت تأثير الكتابات الإنجلوساكسونية- فقط نزوع شعوب أوربا الشرقية (والصين) نحو مزيد من حقوق الإنسان والحريات الديمقراطية، وأفرغت التحولات الكبرى فى هذه الدول من أبعادها الاقتصادية، وعزلتها أيضا- عن تغيرات جوهرية مشابهة أخذت فى البزوغ فى كافة أركان النظام الاقتصادى العالمى. ومن ثم فقد انحصر اهتمام المثقفين فى المنتديات العربية حول انعكاسات المتغيرات الدولية (التى لم نتفق على مضمونها وأبعادها) على حريات وحقوق الانسان العربى، والتعددية (السياسية)، والديمقراطية. وليس بوسع أحد أن يقلل من أهمية هذا كله. لكنه من المهم أيضا أن نرصد إلى جانب انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين التقليديين (حلفى الأطلنطى ووارسو) الاتجاه نحو نظام عالمى متعدد المراكز (القوى الاقتصادية الكبرى الفاعلة) اندماج اقتصاديات أوربا الشرقية فى الاقتصاد العالمى، سيادة الاعتماد المتبادل مع إعلاء المصالح الاقتصادية الوطنية والدفاع عنها.. الخ.

وبينما لم يكن أحد قد تعرف على مدى فهم واستجابة العرب لأسس النظام الدولى الجديد، بل وكيفية انتقال تأثير التغيرات الدولية إلى البلدان العربية، جاء غزو الكويت ليفتح- وبأسرع مما توقع أحد- أبواب المنطقة لتغيرات هائلة قد يصعب تبيانها بوضوح الآن، ولكن هذا العمل العدوانى كشف بقدر فداحته بعض الثوابت الأساسية سواء المتعلقة بالأوضاع الاقتصادية العربية أو بموقعها وعلاقتها بالاقتصاد العالمى، والتى ستحكم- بصورة أو بغيرها- اتجاهات ومدى انعكاس المتغيرات العالمية على المنطقة العربية فى المستقبل القريب والبعيد.

الاقتصاد العربى اقتصاد نفطى:

أعادت مفاجأة غزو الكويت وتداعياتها المتلاحقة إلى الأذهان حقائق الوضع الاقتصادى العربى (كغيرها من الحقائق) ومنهما حقيقتان- على الأقل- لم تتبدلا، إن الاقتصاد العربى فى مجموعه هو «اقتصاد نفطى»، وأن محاولات السيطرة على موارده النفطية آلت إلى الفشل. إن كثرة الحديث عن التنمية العربية لم تستطع أن تخفى تلك الحقيقة المذهلة التى تكشف عن أن ربع قرن من الجهود والبرامج التنموية فى البلدان العربية لم تنجح فى تغيير السمات الرئيسية للاقتصادات العربية، وكلها سمات التخلف والتبعية. فرغم الحديث عن تنويع مصادر الدخل لازال الاقتصاد العربى- عموما- يعتمد على انتاج وبيع المواد الأولية وعلى رأسها النفط، ومحاولات العمل على الاستقلال الاقتصادى» تركته أقرب مايكون إلى اقتصاد المستعمرات، وتمخضت برامج الانفاق عن «تحديث» بعض جوانب النشاط الاقتصادى والمجتمعات العربية، وتدعمت- من ثم- ثنائية الاقتصاد والمجتمع العربيين، ولم تُبدل الواقع دعاوى ودعوات التكامل الاقتصادى العربى، فظلت واهية العلاقات الاقتصادية بين الأقطار العربية، إذ أن التكامل لايقوم بين اقتصاديات ريعية، تبل صناعية.

ويكفى للدلالة على هذه الحقيقة أن نرصد بعضا من الأرقام. لقد أصبح النفط منذ أواسط السبعينيات العامل الرئيسى للنمو الاقتصادى والمصدر الأول للزيادة فى الدخل القومى فى معظم البلدان العربية سواء المنتجة والمصدرة له أو غيرها، وصاحب الزيادة فى الدخل من النفط (مباشرة أو بطريقة غير مباشرة) تنامى أهمية القطاعات الاستخراجية على حساب القطاعات الإنتاجية، وببساطة فإن حوالى نصف الدخل العربى يتولد من النفط، وقد أدى تعديل أسعار النفط فى ١٩٧٣/ ١٩٨٠ إلى تعميق الإختلال السائد فى هياكل الإنتاج العربية فزادت نسبة مساهمة القطاعات الاستخراجية فى تكوين الناتج المحلى من ٢٣٪ عام ١٩٧٠ إلى ٤٢٪ فى ١٩٧٩ ثم إلى ٤٩٪ عام ١٩٨١ وتراجعت بالتالى مساهمة القطاعات الأخرى خاصة الزراعة والصناعة فخلال الفترة الممتدة من ١٩٧٣ حتى منتصف الثمانينيات لم تتغير حصة مساهمة قطاع الصناعة التحويلية (حوالى ٧٪)، وانخفضت مساهمة قطاع الزراعة فى الناتج المحلى غير النفطى (بعد استبعاد ناتج القطاع الاستخراجي) من ٢٠٪ فى ١٩٧٢ اى ١٢٪ ١٩٨١ والملفت للنظر أن البلدان النفطية الغنية بمواردها



الزراعية مثل العراق والجزائر شهدت تخلف القطاع الزراعي اكثر من سواها، حيث انخفضت نسبة مساهمة قطاع الزراعة من ٢،٧٪ عام ١٩٧٠ إلى ٧،٢٪ عام ١٩٨١.

وينعكس الإختلال في هيكل الإنتاج نفسه في تحديد مكانة الاقتصاد العربي في تقسيم العمل الدولي. فالصادرات العربية تتمثل في معظمها في السلع الاستخراجية (والنفطية أساسا)، إذ تبلغ نسبة حصيلة الصادرات من هذه السلع والتي تتراوح بين ٨٥-٩٥٪ من إجمالي حصيلة الصادرات، ومن ثم تتقلب هذه الحصيلة بشدة مع تقلبات أسعار وانتاج النفط. لقد تقفزت عائدات الصادرات النفطية من ٢٤ مليار دولار في ١٩٧٣ إلى ٢١٠ مليار دولار عام ١٩٨٠ (أي فيما بين فترتي زيادة أسعار النفط)، ولكنها انخفضت بشدة إلى حوالي ٨٦ مليار دولار عام ١٩٨٥ وإلى ٥٠ مليار دولار فقط في ١٩٨٦ ولكنها ارتفعت إلى حوالي ٧٥ مليار في ١٩٨٧ حسب التقرير الاقتصادي العربي الموحد، ١٩٨٨ (ص ٢٥٩).

لقد كان النفط هو المتغير المستقل في دورة النشاط الاقتصادي ليس في البلدان النفطية وحدها وإنما في باقي البلدان العربية، فمن خلال آلية انتقال العمالة العربية التي استوعبت من ١٠٪ إلى ٢٥٪ من القوى العاملة في بلدان تصدير العمالة كمصر واليمن والسودان، أصبحت التحويلات عنصرا هاما للحقن الخارجي يحدد فترات الركود والانتعاش في الاقتصادات العربية. لقد تزايدت التحويلات من حوالي ٩٠٠ مليون دولار في ١٩٧٣ إلى ٨،٣ مليار دولار في ١٩٨٤ وانخفضت إلى حوالي ٦،٥ مليار دولار في ١٩٨٨. وزاد إجمالي هذه التحويلات خلال الفترة ٧٣-١٩٨٧ عن ٧٠ مليار دولار تمثل حوالي ١٠٪ من قيمة إجمالي الناتج المحلي للدول العربية المصدرة للعمالة. إن أهمية النفط كمصدر للدخل العربي ترتبط بأهميته كمصدر للطاقة في الاقتصادات الصناعية المتقدمة. ولعله من طبائع الأمور أن يتنافس المنتجون والمستهلكون على تحقيق أفضل المزايا من تبادل هذه السلعة الاستراتيجية. وقد استطاع المنتجون الرئيسيون للنفط في العالم الثالث أن ينظموا أنفسهم في منظمة أوبك التي لعبت دورا هاما في تصحيح أسعار النفط في ١٩٧٣ في خطوة غير مسبوقة. ومنذ ذلك الحين شهدت أسعار النفط وعائداته تقلبات ظاهرة عكست أوضاع سوق النفط، وسياسات البلدان المنتجة ووضع وسياسة منظمة أوبك في آن واحد. وأصبحت سوق النفط تتسم بالهشاشة البالغة..

وانعكست هذه التغيرات في الأسعار والإنتاج على «ميزان النفط» وتوازن القوة بين أوبك والسوق والمستهلكين بما يترك آثاره لفترة طويلة مقبلة. وحسب البيانات التي توفرها النشرة الاقتصادية للأمم المتحدة يستحوذ أعضاء الأوبك على ٧٧٪ من الاحتياطي العالمي المؤكد (الذي يزيد على تريليون برميل)، وتزويد السوق (باستثناء أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي والصين) بحوالي ٤٧٪ من احتياجاتها السنوية.

وربما ترجح هذه الحقائق باحتمال تنامي قوة منظمة أوبك، وعودتها إلى مركز احتكاري في تحديد الأسعار والكميات. ولكن ذلك في حقيقة الأمر يتوقف على إدراك أوبك، لعناصر التغير- المستمر- في سوق النفط من ناحية، وعلى استراتيجيتها في مواجهة الأطراف الفاعلة الأخرى من ناحية ثانية. لقد تغير هيكل سوق النفط في عدة اتجاهات: إذ لم تعد استراتيجية أوبك هي سعر البيع والدفاع عن استقراره في السوق من خلال تعديلات حجم الإنتاج، وإنما تعتبر السعر الرسمي المعلن هو مرجع ومؤشر تستهدف بلوغه والمحافظة عليه، وإلى جانب ذلك فإن عملية تحديد السعر أصبحت بالغة التعقيد: سوق فورية آجله، تعاقدات غير مباشرة، مبادلات صورية، ولم تعد أوبك سوى أحد العناصر المؤثرة في هذه السوق.

على أن الأمر الأكثر وضوحا يتمثل في العبرة التي نستخلصها من تجربة أوبك، وتتصل بالمهمة الأساسية لقيام المنظمة: الوصول إلى توافق مقبول للمصالح المتعارضة لأعضائها، مع الحفاظ على تضامنها في مواجهة الأطراف الأخرى في عالم النفط، ومن ثم فإنه من قبيل التبسيط الزائد مطالبة أوبك- وأعضائها- العمل على زيادة سعر النفط دون مراعاة العوامل التي يمكن أن تضمن ذلك مثل: استنفاذ الطاقة الإنتاجية الزائده حاليا (ليس قبل انقضاء ٣-٤ سنوات إذا لم تقع تغيرات غير متوقعة)، العودة إلى هدنة أسعار بين أعضاء أوبك (!!)- وليس الحرب بينهم- إلى أن تؤدي زيادة الطلب إلى الإستغناء عن المساومة حول الحصص وتسويقها، زيادة درجة التجانس بين المنتجين الكبار- ربما بخروج الدول الأعضاء ذات الاحتياطيات المحدودة. وقد يتصور البعض أيضا- في ظل التطورات التاريخية لتجربة أوبك- أنه يمكن زيادة السعر إذا أمكن تركيز القوة والسلطة داخل المنظمة بصورة غير معتادة، وربما كان ذلك في تخطيط العراق عند تدبيره لغزو الكويت.

كرل: ألمانيا لاتملك نقطة نفط واحدة



الحرب حول النفط:

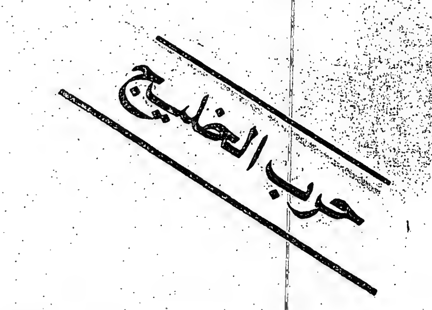
والعالم يرقب باهتمام نتائج نهاية حقبة الحرب الباردة، وبينما يتوقع المحللون أن ينعكس ذلك بصورة مباشرة على حل النزاعات الإقليمية بالطرق السلمية، وفي الوقت الذي تصاعدت فيه بوضوح مستويات (وتتعدد قنوات) التعاون الاقتصادي بين البلدان الصناعية المتقدمة، الشرقية والغربية، أقدم العراق على عملية غزو استعماري للكويت تذكرنا ببقايا التوسع الإستعماري قبل قرنين من الزمان.

وأدت الغزوة إلى وقوع متغيرين ستكون لهما أبعد الآثار هما:

أ- التحول من استخدام النفط في الحرب على التخلف والتبعية إلى الحرب من أجل النفط.

ب-التحول من تدوير الفوائض إلى تدويل المواقع (النفطية).

فطالما تاقت البلدان النامية- ومن بينها الدول العربية- إلى السيطرة على مواردها



الطبيعية وتخليصها من الاستنزاف الذى خضعت له من قبل الشركات الاستعمارية، وناضلت هذه الدول من أجل تحقيق الاستقلال الاقتصادى بعد نيلها استقلالها الوطنى. وبعد أن سقطت محاولة مصدق تأميم النفط فى إيران، كان نجاح تأميم قناة السويس علامة فاصلة على هذا الطريق. وربما نستطيع القول أن المحاولة التالية الناجحة تمثلت فى قيام «أوبك» بعملية «تصحيح» جذرية لأسعار النفط فى غمار الحظر الجزئى لتصدير النفط أثناء حرب أكتوبر الوطنية. ومنذئذ ظهر جليا أن انتاج النفط وتحديد أسعاره واستخدام عائداته مدار صراع سياسى طويل على كافة المستويات المحلية والاقليمية والدولية. فهناك من ناحية الضغوط والتحالفات والتباينات فيما بين أعضاء الأوبك، التى استهدفت باستمرار الحفاظ على حصة مناسبة فى السوق العالمية للنفط، تمكنها من تحديد سعر «عادل» للنفط. وظلت أوبك رغم النجاحات والاخفاقات المنظمة الوحيدة فى العالم الثالث ذات الفعالية والكفاءة بفضل تماسكها. بل لايخفى أن أوبك لم تقتصر كمنظمة من العالم الثالث على الدفاع عن حقوق أعضائها، ولكنها حاولت- بدرجات متفاوتة من النجاح أيضا- أن تلعب دورا ملموسا فى تدعيم وتطوير حوار الشمال والجنوب، وتقديم المعونات التنموية مباشرة إلى بعض بلدان العالم الثالث.

واستمر من ناحية ثانية الجدل فى الدول العربية حول الاستخدام الأمثل لعوائد النفط، ودورها فى تحقيق التنمية العربية، وامكانية التكامل الاقتصادى العربى، وأشكاله الملائمة (الاستثمار المباشر، والمعونات، المشروعات المشتركة) ، وأثر زيادة الإيرادات النفطية على الاقتصاد والمجتمع العربيين (نمط التنمية، مشكلات انتقال العمالة العربية، دور العمالة غير العربية، التجارة البينية، القيم الاجتماعية، الديمقراطية، النفوذ السياسى.. الخ) ، وحجم ودور الاستثمارات العربية فى الأسواق المالية العالمية، وامكانيات استخدامها كأداة ضغط سياسى. ولعله تجدر ملاحظة أن شيئا كقضية إعادة توزيع الثروة فيما بين الدول العربية لم يكن أبدا محل دراسة أو مثار البحث والحوار حتى داخل البلد الواحد!!

ومن ناحية ثالثة لم تتوقف جهود الدول
ومن ناحية ثالثة لم تتوقف جهود الدول
المستهلكة للنفط، منذ ١٩٧٤، فى التصدى لنفوذ أوبك. وتعددت محاولات تقليص سيطرتها على سوق النفط، فأقامت المؤسسة الدولية للطاقة لتنظيم جهود المستهلكين، وزادت الدول المنتجة للنفط- من خارج أوبك- إنتاجها، واتبعت الوسائل المختلفة للحفاظ على الطاقة، وزادت الاستثمارات لانتاج بدائل عن النفط للطاقة. وكما هو معروف تبدلت أوضاع القوة النسبية لمنتجى النفط الرئيسين (أوبك) وللمستهلكين الكبار (الدول الصناعية) من فترة لاخرى، ولكن لم يظهر أن أيا من الطرفين يرغب أو يستهدف الخروج على قواعد اللعبة الاقتصادية (التأثير فى قوى سوق النفط)*(١)

وجاء غزو العراق للكويت خرقا للمألوف من جانب دولة لم يكن معروفا- أو مفترضا- أنها دولة استعمارية. وفيما يبدو فإن الدعاوى التى سيقت فى تبرير العدوان العسكرى على دولة مستقلة لاتخفى جوهر الاحتلال وهو السيطرة على منابع النفط (ليس فى الكويت فحسب وإنما فى معظم منطقة الخليج)، وأن هذا الغزو الاستعمارى فتح الباب أمام حرب اقتصادية ومسلحة حول مواقع النفط العربية. وليس هذا- فى الواقع- مجرد افتراض، ولكن قرائن كثيرة تدلل على صدق مانقول. وهذه الدلائل تشير- ومنذ فترة- إلى مخطط عراقى ليكون قوة إقليمية مهيمنة. وضمن خطوات مختلفة كان إنشاء مجلس التعاون العربى- الرباعى- محاولة للتدبير لخلق مركز نفوذ يملأ الفراغ فى المنطقة الذى نجم عن تصالح القوتين العظميين. وقد عبر عن ذلك صراحة الرئيس العراقى فى خطابه (يوم ٢٤ فبراير ١٩٩٠) فى عمان حينما استنتج أن تراجع قوة ونفوذ الاتحاد السوفيتى سيؤدى- من وجهة نظره- إلى أن تتمتع الولايات المتحدة خلال السنوات الخمس القادمة بحرية مناورة واسعة فى منطقة الشرق الأوسط. وبعد أن أشار إلى عدة أمثلة على ذلك (مثل تشجيع هجرة اليهود السوفيت، وعدم سحب السفن الحربية الامريكية من الخليج بعد وقف إطلاق النار بين إيران والعراق) أرجع السبب فى ذلك- حسب قوله: «إلى أن الدولة التى تستحوذ على النفوذ الاكبر فى المنطقة- عبر الخليج العربى ومايملك من نفط، سيكون لها اليد الطولى كقوة عظمى بغير منافس.

ويعنى ذلك أنه ما لم يكن أهل الخليج ومعهم كل العرب متيقظين ستتحكم رغبات الولايات المتحدة فى منطقة الخليج، وستتحدد أسعار النفط حسب المصالح الخاصة للولايات المتحدة، متجاهلة مصالح الآخرين. ورغم ظاهر التنديد بالمصالح الامريكية فى المنطقة فإن الرسالة التى تضمنها الخطاب كانت إعلانا بنوايا الرئيس العراقى لأن يصبح سيد الخليج. ولاشك أن التصدى للإمبريالية ومصالحها عمل قومى مشروع، ولكن السلوك العراقى حتى تاريخ ذلك الخطاب لم يكن يدلل على صدق هذه الدعوة الظاهرة. وكانت الخطوة التالية لذلك مثل قنبلة دخان حينما أطلق الرئيس العراقى تهديداته بحرق نصف اسرائيل باستخدام الأسلحة الكيماوية، وربما تساءل البعض- فى حينه- عن دوافع التصعيد المفاجىء، وتشكك آخرون فى الحكمة من ذلك. ولكن سرعان ماتبين- للمطلعين على الأمور فى البداية- أن المستهدف هو التمهيد لشن حملة على دول الخليج العربية باعتبارها شريكا فى «مؤامرة امبريالية» على العراق، إذ انتهز الرئيس العراقى مناسبة عقد القمة العربية فى بغداد (مايو ١٩٩٠) وأثار مشكلة انخفاض أسعار النفط، ومسئولية بعض دول الخليج عن ذلك لقيامها بضخ كميات أكبر من الحصص المتفق عليها فى أوبك.

أشرنا من قبل إلى آليات عمل أوبك وهيكل سوق النفط وحدود تعديل الأسعار. ويظهر فى ضوئها مدى وهن المزاعم العراقية إذا استدعت الذاكرة حقائق عدة مثل:

-إن الدولة التى تتحمل مسئولية أكبر- كبندول متحرك- فى توازن سوق النفط هى المملكة السعودية وليس الكويت والإمارات.

-إن بداية إغراق سوق النفط كانت على يد العراق- نفسه- وإيران، منذ سنوات الثمانينيات الأولى، مما ساهم فى تدنى السعر بدرجات كبيرة.

-إن النزاع حول الأسعار والحصص يدور عادة فى أروقة أوبك، ولكنها ليست مطلقة اليد فى رفع سعر النفط. فرغم اتفاق أعضاء أوبك على زيادة السعر- بناء على طلب العراق فى يونيو ١٩٩٠- فقد ظل سعرا مرجعيا (تأشيريا) ولم تصل الأسعار الفعلية إلى المستوى المحدد من قبل أوبك قبل الغزو.

ورغم محاولات خلط الأوراق السياسية والقومية والاقتصادية فقد كانت أبعاد الاستراتيجية العراقية مكشوفة- على مايبدو- للدول الغربية وعلى رأسها الولايات

المتحدة الامريكية. وجاء رد الفعل السريع- أو المتباطيء- من الأطراف المختلفة محكوما بالمصالح الاقتصادية المباشرة لهذه الأطراف فى ظل المتغيرات الدولية الجديدة. إن الهدف المعلن والأهم بالنسبة للدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة لم يعد مجرد «نفط رخيص» وإنما تأمين استمرار تدفق النفط بما يتلاءم مع اتجاهات النشاط الاقتصادى العالمي. ومثلما أعلن الرئيس العراقي عن رؤيته وهدفه- منذ فبراير كما ذكرنا آنفا- فقد حددت رئيسة الحكومة البريطانية (السيدة تاتشر) هدف التكتل الغربى مباشرة فمنذ سؤالها عن دلالات أزمة الخليج فى ظل نظام دولى جديد حرصت على أن تركز على القول بأن ترتيبات الأمن المختلفة لاتنفى «أن الدول الكبرى فى مجال التجارة الدولية ينبغى عليها دائما أن تحمى طرق وخطوط هذه التجارة» بل كانت السيدة تاتشر أكثر صراحة حينما سئلت عن رأيها فى تردد ألمانيا فى المشاركة فى أى عمليات عسكرية فى الخليج، وقالت «... إن ألمانيا لاتملك نقطة نفط واحدة، فهى تعول على الإمدادات من النفط وغيره من المواد الأولية من الأسواق البعيدة، كما أنها دولة صناعية ناجحة»* (٢).

قد لاتقبل الولايات المتحدة والدول الصناعية المستهلكة للنفط أن يسيطر حاكم العراق على ربع أو نصف الخليج، عن طريق تغيير نظم الحكم فى بلدانه بالقوة أو الإحتلال العسكرى لهذه الدول. ولكن الحشد العسكرى الامريكى محفوز- أيضا- بعدة اعتبارات اقتصادية- استراتيجية أخرى. فالمنافسة الاقتصادية بين أوربا والولايات المتحدة لم تتوقف، وأمريكا تنظر بقلق إلى التطورات الاقتصادية والسياسية التى تشهدها أوربا مثل التقارب الاوربى فى ظل مايسمى بالبيت الأوربى المشترك، وتلاشى الخطر العسكرى من جانب حلف وارسو والاتجاه- من ثم- إلى تعديل مهام حلف الاطلنطى لتتجاوز الأهداف الأمنية، وقيام أوربا الموحدة اقتصاديا فى ١٩٩٢، وجميعها قد تتمخض عن ابتعاد أوربا عن المظلة الامريكية، ولكن أوربا واليابان تعتمد بدرجة أكبر من الولايات المتحدة على النفط العربى والخليجى، والموقف الأمريكى من أزمة الخليج فرصة سانحة لتأكيد أهمية دور أمريكا كقوة عالمية بالنسبة لأوربا واليابان، وصعوبة الاستغناء عنها، بل إن موقف فرنسا الذى يبدو غير مؤيد بالكامل للتصور الامريكى هو محاولة للتقليل من شأن هذا التصور، ومن أهمية الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط، ولايخفى أن فرنسا تتطلع إلى عراق ما بعد حل الأزمة الاسترداد ديونها الكبيرة، وعقد صفقات اقتصادية ضخمة وربما إعادة تسليح العراق من جديد.

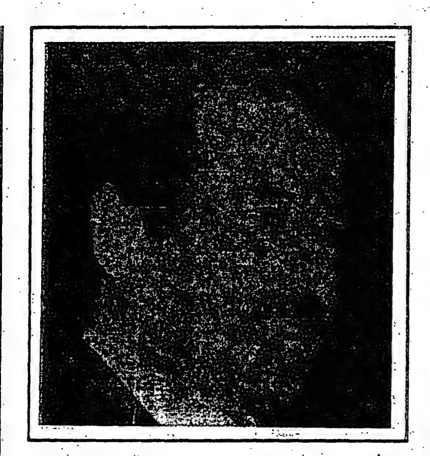
ليس هذا فحسب بل إن المراقب للتداعيات الاقتصادية- المباشرة لن يفوته أن يلحظ اختلاف عملية درع الصحراء عن حرب فيتنام التى أدت- ضمن أشياء كثيرة- إلى تدهور ميزان المدفوعات الامريكى، وانهيار الدولار وفقدان مركزه كعملة الاحتياطيات الدولية.

فى هذه المره لن تنطوى التحركات الامريكية على تكاليف اقتصادية باهظة بل ربما تتحقق من ورائها مكاسب ملموسه.، من خلال زيادة الطلب المدفوع بفاتورة زيادة الأسعار المؤقتة التى يتحملها الأوربيون بصفة أساسية. ومما لاشك فيه أن صناعة السلاح الامريكية استفادت مباشرة، ونجح البنتاجون فى عدم تخفيض النفقات العسكرية فى الموازنة الامريكية.

انها بغير شك الحرب الاقتصادية للسيطرة على الموارد الطبيعية والأسواق. ولكن بدلا من أن يكون العراق قوة دعم للصف العربى فى معركتة للتحرر والاستقلال والتنمية، انتقل إلى صف القوى الأستعمارية يتنافس معها- وبأسلوب الغزو العسكرى التقليدى- للهيمنة على أهم مصادر الطاقة ومواردها.

مابعد الأزمة: سيناريو التكرار أم التغيير؟

النفط سلعة غير عادية- لاشك؟ فهو مفتاح النشاط الاقتصادى العربى لأكثر من عقدين من الزمن، وهو من أخطر مستلزمات تشغيل دولاب الإنتاج فى الدول الصناعية المتقدمة. وحينما تدور الحرب من أجل النفط



صدام حسين:
الولايات المتحدة تريد السيطرة على المنطقة

حرب الخليج

فإن نتائجها ستكون بالغة الخطورة. وقد اتفق الجميع على أن أوضاع المنطقة العربية لن تعود إلى سابق عهدها قبل غزو الكويت. ولأن أحدا لايعرف على وجه الدقة ما الذى يحمله المستقبل فى طياته من تغيرات يرى البعض أن آثار هذه الغزوة العسكرية والحرب فى الخليج ستتوقف على نتائجها العسكرية والسياسية، وعلى التغيرات والتبدلات فى مواقع الأطراف المشاركة غير أن الواقع يحمل- فيما نرى- مقدمات نتيجتين مؤكدتين تتمثلان فى:

-انهيار مكانة أوبك، ونزع سلاح النفط ونزوله عن عرش الدخل العربى.

-سقوط مشروع التكامل العربى، وانتهاء «التنمية العربية» وانتكاس العمل العربى المشترك.

وفى ضوء هاتين النتيجتين- وهما لاتعتمدان على مدى وأسلوب حل الأزمة وانتهاء الإحتلال العراقى للكويت- يمكن أن نتصور مشهدين احتماليين (سيناريين) تتوقف سيادة أيهما على التداعيات والمتغيرات المختلفة فيما بعد انتهاء الغزو، يمكن أن نسميهما [مشهد التكرار أى استمرار سلوك الأطراف الرئيسية على غرار ما قبل الثانى من أغسطس (مع تعديلات تتلاءم مع وقائع الأزمة وتطوراتها) ومشهد التغيير الذى يتطلب لحدوثه عددا من الشروط الواجبة].

وكما أشرنا من قبل شهدت سوق النفط تبدلات هامة تمخضت- فى نهاية الأمر- عن تدنى قوة أوبك التفاوضية ، وكان المأمول دائما أن يمكن تماسك المنتجين وأعضاء الأوبك من تنسيق سياساتهم الإنتاجية والتسويقية فى ضوء التغيرات الاقتصادية العالمية بما يضمن فى آن سعرا عادلا ودخلا مناسبا لتمويل برامجهم الإنمائية. ولكن غزو الكويت قد فاقم انقسام أعضاء أوبك مابين معتدلين ومتشددين إلى تحطيم مكانتها نهائيا. قد تبقى المنظمة ولكن لن يبقى لها دورا مذكورا فى إدارة سوق النفط المتقلبة، وستفقد كثيرا من قدرتها على المساومة فى مواجهة المستهلكين. وبعد الغزو- وبعد انتهائه-

سيكون من السخرية التساؤل فى وجه من يستخدم «سلاح النفط» وحتى فى أحسن الاوضاع لن يعود النفط مصدرا للدخل الوفير، ومحركا للنشاط الاقتصادى فى الدول العربية على نحو ماجرى فى عقد السبعينيات.

ومن ناحية ثانية فإن الغزو العراقى للكويت قد وجه ضربة قاضية للعمل الاقتصادى المشترك، والتكامل الاقتصادى العربى. صحيح أن محاولات التكامل العربى قد تعرضت لانتقادات متعددة نظرا لما شابها من نقائص، وما واجهته من عقبات، ولكن ظلت دعوة الوحدة أو التكامل تستند إلى مايجمع العرب من مقومات قومية ومصالح مشتركة فى مواجهة العالم الخارجى، والتكتلات الاقليمية الدولية. لقد أعتبر الكثيرون أن تشابه الهياكل الإنتاجية وإندماج الاقتصادات العربية فى السوق العالمية، فضلا عن غياب الإرادة السياسية هى المعوقات الرئيسية فى سبيل التكامل الاقتصادى العربى. وبطبيعة الحال فإن غزو الكويت لم يمثل تعطيلا لفرص النمو الاقتصادى القطرية فحسب، بل تهديدا سافرا للمصالح الاقتصادية والاستراتيجية للبلاد العربية. أما وقد وصف الغزو من جانب البعض بانه عمل وحدوى فلاشك أن كثيرين فى المنطقة العربية سيراجعون هدفهم فى الوحدة أو التكامل، وعلى الأقل ستثور الشكوك حول هذه الشعارات. وليس غياب الإرادة السياسية هو الذى أجهض مجلس التعاون الرباعى ولكن «التآمر» على المصالح المشتركة أصاب التجربة، بل والمشروع العربى كله، فى مقتل.

إن النزوع العربى المشروع نحو الوحدة واستغلال الموارد القومية فى توفير مستوى معيشة لائق للإنسان العربى، لايعنى أن نتجاهل مايعترض هذه الأهداف من حوائل وتراجعات. وفيما يبدو فإن ثوابت مشارف القرن الواحد والعشرين ستشمل انتهاء الحقبة النفطية- بعد أن تحولت ملهاة النفط إلى مأساة- وانحسار دعوة ومحاولات التكامل الاقتصادى.

سيناريوهات ممكنة:

قد يبدو مما سبق- إذن- أن المنطقة العربية تستقبل رياح النظام الدولى الجديد وهى أكثر انكشافا وأقل تماسكا؟ عرب أقل دخلا وشرذمة أكثر. وربما يبدو ذلك متمشيا مع الترقعات الأشد احتمالا بتزايد تهميش بلدان الجنوب، ولن يشذ العرب عن هذا الإحتمال رغم الأهمية الحيوية لما يحوزون من نفط إذ فى الوقت الذى كان عليهم أن يبتكروا أشكالا للتكامل والتنسيق الاقتصادى تتجاوب مع التغيرات الدولية، فرض الغزو العراقى للكويت أوضاعا جديدة معاكسة لهذا الإتجاه الإقليمى (التجمعات الإقليمية) والعالمى (الاعتماد المتبادل والتكتلات الاقتصادية).

ومع هذه الثوابت (الأكثر ترجيحا) ربما تتفاوت ردود أفعال البلاد العربية والكيفية التى ستتلقى بها دروس حدث الغزو، وأسلوبانهائه. وبغير التطرق إلى تفاصيل يمكننا أن نتصور احتمالين ينتظمان ردود الأفعال المتعلقة بالمسائل الاقتصادية التى نعالجها، نطلق عليهما التكرار والتغيير.

وينطوى مشهد التكرار على اتباع سياسات اقتصادية (قطرية واقليمية ودولية)



لاتختلف كثيرا عن سابقتها فيما قبل الغزو- ولأننا نفترض- كما سبق- عدم زيادة الدخل النفطى بمعدلات كبيرة فربما تخضع تأثيرات سياسة الإنفاق فى البلدان النفطية لما يسمى «تحول الطلب» وليس توسع الطلب. وبعبارة أخرى فإن العائدات النفطية ستستخدم فى الإنفاق على: إعادة بناء الخليج، وإعادة بناء قواته الدفاعية، وتتضاءل -من ثم- أهمية «تدوير» فوائض النفط. ويعنى ذلك:

-محاولة المحافظة على مستويات المعيشة (الإنفاق والاستهلاك) فى دول النفط.

-استفادة الاقتصاد العالمى (الدول الصناعية المتقدمة أساسا) من التجارة (فى السلع والأسلحة) مع هذه الدول.

-استمرار تدفق العمالة الوافدة، وتحويلاتها إلى بلدان الإرسال (ربما بمعدلات أقل من مثيلتها فى السبعينيات).

ومما لاشك فيه أن الاستثمارات العربية فضلا عن المعونات التى كانت تقدمها الدول النفطية ستخضع لإعادة النظر، فيما يشبه توزيع المكافأة فى ضوء مواقف الدول المختلفة من الأزمة. والحقيقة أن ذلك لايمثل تغيرا فى سياسة الدول النفطية التى كانت تستخدم هذه المعونات لتحقيق أغراض سياسية. بل إن ما أثير حول مسألة توزيع الدخل وأحقية الفقراء العرب فى نصيب من دخل أثريائهم ربما يؤتى بنتائج عكسية إذ يتزايد حرص الدول النفطية، وتقتيرها على الأشقاء (ناكرى الجميل).

ربما يميل البعض من المتشائمين إلى الاقتناع بأن أحداثا أشد جسامة قد مرت بالمنطقة العربية ولم تترك تغييرات مذكورة كان ينبغى لها أن تتم، ويرجحون من ثم أن تشهد التسعينيات- ومابعدها- عودة الامور إلى سابق مسارها على غرار عناصر مشهد التكرار. ولكن عملية تصور المستقبل ليست مجرد تمنيات أو خطاب دعائى لما يرغب فيه المرء فإن احتمال التغييرمرهون بتوافر عدد من الشروط، نشير إلى أربعة منها.

الشرط الأول: أن تقوم مصر بدور فاعل وايجابى ليس فقط فى تحديد استراتيجية التغيير، بل مفهوم وأبعاد الأمن القومى العربى، ولاشك أن قيام مصر بدورها يقتضى أن تصبح نموذجا يحتذى للتغيير، سواء فى تحقيق تنمية مضطردة، أو كقوة توازن إقليمى، الخ، وأن ينجح العرب فى تدبير ترتيبات أمنية فعالة اعتمادا على الموارد العربية الذاتية، وفى مقدمتها القدرات المصرية العسكرية والتقنية.

الشرط الثاني: التنمية القطرية أساس التنمية العربية والتكامل الاقتصادى. إن هذا القول يتناقض بغير تردد مع الشائع من الكتابات العربية حول التنمية والتكامل. ولكن هذا الاستنتاج لايستند فقط إلى الخبرة المكتسبة من التجربة العربية ذاتها، إذ يصعب تحقيق التكامل فى ظل التخلف والتبعية، ولكن تؤكده أيضا تصاعد مراحل التعاون والتكامل الاقتصادى الاوربى مع اكتمال النماء والتطور الاقتصادى فى مختلف الدول الأوربية. إن على كل دولة عربية أن تنجز أولاً تقدمها الاقتصادى وتحقق التكامل الداخلى لبنيانها الانتاجى. وليس ثمة تعارض بين ذلك وبين العمل على التنسيق وتقسيم العمل والأدوار بين الدول العربية فى ضوء المزايا النسبية المتاحة. وفى هذا الصدد يمكن أن تتزايد الاستثمارات العربية (الخليجية) فى المجالات التى تحتاجها البلدان العربيةالأخرى*(٣) (الصناعة فى مصر، الزراعة فى السودان) وليس فى المجالات التى يأمن إليها المستثمرون التقليديون (كالعقارات). كما يمكن أيضا أن يتم ترشيد استخدام العمالة الوافدة، ليس فقط فى اتجاه تنظيمها وتقنينها لحماية حقوق العاملين، وإنما أيضا بإحلال العمالة العربية محل العمالة غير العربية (نصف اجمالى الوافدة فى بلدان الخليج والتى زادت عن ٥ مليون مشتغل).

الشرط الثالث: استيعاب قواعد عمل الاعتماد الاقتصادى المتبادل بين التكتلات الدولية المختلفة، والعمل على تحسين شروط التبادل الدولى، من خلال زيادة الإعتماد على النفس من ناحية، تطوير مستويات الإعتماد الجماعى بين البلدان العربية من ناحية وبين دول الجنوب من ناحية ثانية، والتطور الاقتصادى والاجتماعى المضطرد. ومن المفيد فى هذا الشأن أن تدعم المجموعة العربية مع باقى دول الجنوب دور المنظمات الدولية فى إعادة تشكيل نظام اقتصادى دولى جديد، والتفاوض من أجل حل مشكلة المديونية وتدفق الموارد اللازمة للتنمية، وتطوير تقنية مناسبة.

تاتشر: حماية خطوط التجارة البترولية



الشرط الرابع: والذى بات مطلبا ضروريا للتغيير على كافة المستويات يتعلق بالديمقراطية لا كضمانة لأن يكون التغيير مقبولا وشعبيا ومحققا لمصالح الغالبية واستقرار المجتمعات فى غمار تطورها، ولكن لأنها غاية مرغوبة فى ذاتها فشعوب العالم جميعا تتطلع إلى الحرية السياسية، وحرية المعتقد والكلمة ، والتعددية والمشاركة وغيرها من حقوق الانسان.

وليس من الواضح فى غمار الأزمة الراهنة التى فاقمها غزو الكويت، ماهى الآليات التى تتحقق من خلالها شروط ومتطلبات التغيير، وأيهما يسبق الآخر فى تحفيز التغيير فى المجالات المختلفة. وكما قيل بشأن الحاجة إلى ترتيبات أمنية جديدة لما بعد إنهاء الغزو، فإن التغيير مالم يكن عربيا فستفرضه قوى من الخارج ولكنه قد لايكون مواتيا ولامحققا للمصلحة العربية بالضرورة.

---

(١)*لايبدو أن الولايات المتحدة الامريكية أخذت خطوات جادة (أو نجحت) فى تنفيذ تهديدات وزير خارجيتها هنرى كيسنجر فى أعقاب أزمة النفط الأولى لتجهيز قوات الإنتشار السريع، لاحتلال مناطق الإنتاج اذا تعرض لخطر الخطر أو التوقف.

(٢)*مجلة نيوزيك الامريكية، ٩ أكتوبر ١٩٩٠، ص ١٥.

(٣)*وتحقق بالتالى معدلات العائد المناسب على الاستثمار.



حوار مع د. منير حمارنة:

للمرة الأولى في التاريخ.. هناك إحتلال مدفوع الأجر!

فريدة النقاش

إنفرد الحزب الشيوعي الأردني، بإدانة الغزو العراقي للكويت وسط مناخ سياسي في الأردن مؤيد للعراق بنبرة عالية ودون نقاش، مع عواطف حماسية مشتعلة.

والدكتور «منير حمارنه» فضلا عن أنه عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأردني، باحث اقتصادي وخبير من مجلس الوحدة الاقتصادية التابع للجامعة العربية. وهو يكشف النقاب في حديثه هذا عن المستفيد الحقيقي من أزمة الخليج خاصة من الناحية الاقتصادية. ويؤرخ- اقتصاديا- للدور الذي لعبت كل من احتكارات النفط واحتكارات السلاح في المنطقة منذ اندلاع الحرب العراقية الإيرانية قبل عشر سنوات.

د. منير حمارنه

*........

** يلفت النظر السرعة التي تحولت بها أزمة الخليج إلى أزمة دولية. وهناك أكثر من مؤشر يدل على أن هناك قوى حاولت أن تمنع حل النزاع الكويتي العراقي في إطار الأسرة العربية أو بين الدولتين مباشرة.. وهذه القوى هي الولايات المتحدة والنظم الأقرب لها في الوطن العربي وهذا يثير تساؤلاً حول الأسباب الحقيقية التي دفعت الولايات المتحدة لتجميع قواتها في حشد يماثل الحشد في كوريا في الخمسينيات

من المعروف أن الولايات المتحدة تعاني من وضع اقتصادي سيئ جداً. وهذا الوضع الاقتصادي أخذ يهدد دورها على الصعيد العالمي

فمنذ السبعينيات واجهت الولايات المتحدة حقيقة إنتهاء قيادتها الاقتصادية للعالم الرأسمالي. ونقطة البدء، هي إنتهاء العمل باتفاقيات «بريتنوودز» وفك الإرتباط بين الدولار والذهب، ودخول العالم إلى مرحلة العملات المعوّمة على الصعيد العالمي بإختصار انتهاء الدور القيادي للولايات المتحدة.

ولكن إنتهاء هذا الدور لم ينه الدور الأمريكي على الصعيد العسكري في إطار الصراع بين الشرق والغرب وفي ظل الحرب الباردة.

استخدمت الولايات المتحدة إمكانياتها بشكل هائل في سباق التسلح، ثم في الصراعات الإقليمية في كثير من بقاع العالم وبذلك أبقت على دور قيادي كبير لها.

وعندما دخلنا مرحلة نهاية الحرب الباردة فإن هذا القطاع العسكري الهائل الذي تسبب وكان عاملاً هاماً في إخراج الولايات المتحدة الأمريكية من أزمتها الاقتصادية أزمة الكساد التضخمي في مطلع الثمانينيات- انتشالها منها- فقد دوره.

فالقواعد العسكرية الأمريكية المنتشرة في جميع أنحاء العالم، والتي قامت على أكتاف الصناعة العسكرية ومازالت تستوعب نسبة هائلة جدا من قوة العمل الأمريكي، والتي كانت تروج مبيعات السلاح.. فقدت مبرر وجودها وأصبح من الضروري تحويل الصناعات العسكرية إلى صناعات مدنية، أو شيئ من هذا القبيل ويحتاج ذلك إلى انفاق ضخم، وهو أمر غير متاح للولايات المتحدة بسبب مجموعة الصعوبات الاقتصادية التي يواجهها الاقتصاد الأمريكي.. وهي صعوبات مركبة لأن الاقتصاد الأمريكي الآن اقتصاد مريض حقيقة، لأن مديونية الولايات المتحدة هي ٣ تريليون دولار (٣٠٠ مليار) بالإضافة إلى عجز هائل في الموازنة وخلل هيكلي كبير في البنية الاقتصادية

أمريكا تستورد أكثر مما تصدر، وتستهلك أكثر مما تنتج، وتستثمر أكثر مما تدخر.. وبالتالي فإن هذا الاقتصاد الكبير أصبح عبئا على العلاقات الاقتصادية الدولية، بقدر ماهو عبء على الحياة الاقتصادية من داخل أمريكا نفسها.

ومن هنا ومنذ نهاية الحرب الباردة يتبدى لنا أنه سيكون هناك تبدل في مركز قيادة العالم الرأسمالي الاقتصادية، تماما كما كان الوضع في عام ١٩٤٤ عندما وقف العالم أمام ضرورة إزاحة بريطانيا العظمى عن قيادة العالم الرأسمالي، وتسلم الولايات المتحدة الأمريكية لهذه القيادة، والتي كرستها اتفاقيات «بريتنوودز»

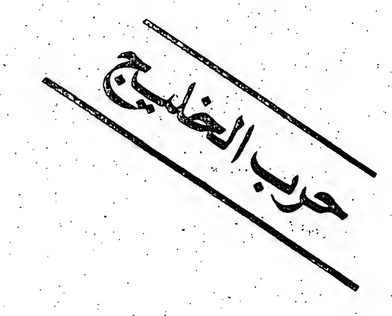
والآن وفي هذه المرحلة الجديدة من الواضح تماما أن الدول التي ربحت الحرب العالمية الثانية عسكريا، وإستمرت تقود الحرب الباردة في الشرق والغرب هي التي خسرت إقتصاديا في نهاية مرحلة الحرب الباردة وهذا واضح بالنسبة للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية معا.

أما الدول التي لم تساهم بشكل نشيط في سباق التسلح، فهي التي تبرز الآن على السطح وأعني اليابان وألمانيا. وسيبرز التكتل الاقتصادي الغربي «أوروبا الموحدة» عام ١٩٩٢، وستكون هي الكتلة الاقتصادية المزاحمة للولايات المتحدة واليابان في الشرق الأقصى.

وستعاني الولايات المتحدة الأمريكية من وضع صعب نتيجة لهذه المزاحمة خاصة في ظل الحديث عن بيت أوروبي مشترك.

وقد فقدت الولايات المتحدة بالفعل المبادرة في العديد من القطاعات الاقتصادية والقطاعات العلمية والتكنولوجية.

وتعاني أمريكا الآن من هروب رأس المال منها وهو مايعني أن عيوب الاقتصاد الأمريكي التي كانت مستورة في السابق



أخذت تظهر على الملأ.

*........

** وجهت هذه الحقائق الولايات المتحدة الأمريكية إلى ضرورة الاستيلاء على منابع النفط وليس فقط توجيه ووضع السياسات النفطية فالاستيلاء على منابع النفط سوف يعطيها وضعا أقوى لتحسين مركزها التفاوضي مع حلفائها القدامى لكى لا تسقط إقتصاديا بشكل صارخ.

وهى تعتقد وهو إعتقاد صحيح ، أن قطاع النفط هو وحده الذى سوف يساعدها على تصحيح وضعها الاقتصادى لتعاود لعب دورها القيادى فى هذا الميدان . وبالطبع هناك مزايا هامة جدا لهذا القطاع.. والميزة الأساسية والأولى أن النفط سلعة إستراتيجية دولية. فاليابان مثلا تستورد ٩٨٪ من حاجتها من النفط من الخارج. بينما تستورد أوروبا الغربية أكثر من ٧٠٪ أو ٧٥٪ وبالتالى فعندما تضع الولايات المتحدة يدها على الطاقة فسوف تتحكم فى تحديد أسعارها بحيث تكون قادرة على التأثير على التكاليف النسبية لمنتجات هذه البلدان فى السوق الدولية، مما يحسن وضع الولايات المتحدة فى التجارة الدولية.

وقد إستعدت الولايات المتحدة الأمريكية لوضع يدها على النفط منذ مدة طويلة. فشكلت قوات التدخل السريع منذ فترة مبكرة فى السبعينيات وتدربت هذه القوات على العمل فى الصحراء فى السعودية، وفى سيناء وفى الصحراء الغربية فى مصر. واشتركت قوات التدخل السريع فى تدريبات عديدة مع الجيوش العربية التى لها حدود مع الصحراء. وقالت الولايات المتحدة علنا وبوضوح أن منطقة النفط هى منطقة أمن قومى أمريكى. ويعتقد كثير من المحللين، أن الولايات المتحدة ساهمت مساهمة كبرى فى انفجار الحرب العراقية- الإيرانية لمواجهة الصدمة النفطية الثانية فى عام ١٩٧٩، عندما قررت الثورة الإيرانية ألا تنتج نفطاً إلا بقدر حاجة الاقتصاد الإيرانى، وأدى هذا إلى رفع أسعار النفط من حوالى ١٤ أو ١٥ دولارا إلى ٣٠ و ٤٠ دولارا للبرميل ولم يتمكنوا من تخفيض سعر النفط إلا فى ظل الحرب العراقية- الايرانية التى أدت إلى انخفاض السعر إلى حوالى ٦ أو ٧ دولارات فى عام ١٩٨٦.

ومن المفارقات العجيبة أنه فى الستينيات كان يمكن شراء ١٥ أو ١٦ برميلاً نفط بالأونسة الذهبية الواحدة وفى عام ١٩٨٩ أصبحت «الأونسة» الذهبية تشترى ما يزيد على الخمسين برميل نفط. وهو ما أدى إلى انخفاض أسعار الطاقة بشكل هائل.

والآن نشاهد الصدمة النفطية الثالثة، حيث تسعى الولايات المتحدة الأمريكية لتغيير فى العلاقات النسبية للقوى الاقتصادية فى التقسيم الدولى للعمل، من خلال التأثير على أسعار النفط. وفى هذه المرة هى التى تلعب هذا الدور مباشرة لذلك كانت الولايات المتحدة فى حاجة ماسة إلى أن تدخل بنفسها إلى منابع النفط، وأن تقرر السياسة إنتاجا وتسويقا، خاصة وأن الرأسمال غير الأمريكى أخذ ينافس الرأسمال الأمريكى فى صناعة النفط بشكل كبير جدا.

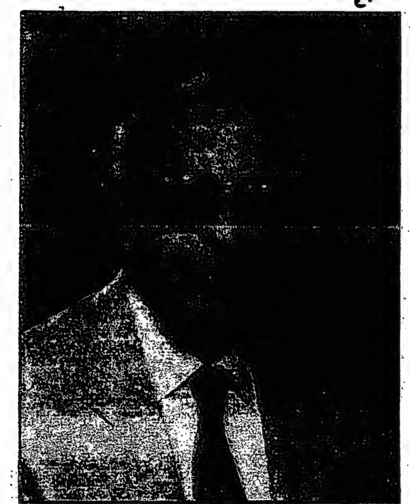
إذ بدأت رؤوس أموال من أوربا واليابان وإستراليا الغربية، وبعض الدول النامية مثل «البرازيل» و«الكويت» و «كوريا الجنوبية» تزاحم الرأسمال الأمريكى مزاحمة حقيقية فى الصناعات النفطية بحيث إنخفضت حصة الرأسمال الأمريكى فى الصناعات النفطية العالمية، وهى تتدهور باستمرار.

كما تؤكد إحصاءات الأمم المتحدة.

وهكذا وضعت أمريكا يدها ومن خلال قواتها المسلحة على منابع النفط، واستخدمت

د. منير حمارنة

حققت أمريكا نتائج اقتصادية مذهلة من أزمة الخليج



الولايات المتحدة غزو العراق إلى الكويت واحتلالها، واستندت إلى هذا الاحتلال فى هذا الغزو كما إستندت إلى الإنقسام العربى من جهة أخرى، وهو الإنقسام الذى مكنها من إضفاء شرعية على وجود جيشها فى الخليج.

.. تمكنت الولايات المتحدة حتى الآن من تحقيق مجموعة من النتائج المذهلة على الصعيد الاقتصادى.

فهذه هى المرة الأولى فى التاريخ التى يقوم فيها احتلال مدفوع الأجر. وكل الدول العربية واليابان تساهم فى تكاليف الاحتلال الأجنبى للبلدان العربية.

القضية الثانية أنه جرى نقل القوات الأمريكية خاصة من القواعد العسكرية فى أوروبا الغربية إلى الخليج بدلا من نقلها إلى الولايات المتحدة كما كان مقررا بسبب إنتهاء الحاجة لها ونشطت مبيعات السلاح فى الولايات المتحدة، هذا القطاع الذى كان قد ركد، فعاد له النشاط. ويقال أن هناك احتمالاً لأن يبيعوا فى فترة قريبة جداً سلاحا ربما يزيد عن ٥٥ مليار دولار، إضافة إلى عقود صيانة مع عديد من الدول الأخرى. كذلك فإن الإحتكارات النفطية واحتكارات السلاح هى أكثر الاحتكارات المستفيدة الآن مما حدث.

يضاف إلى ذلك أن دفع نفقات القوات الأمريكية من السعودية والكويت والامارات تأتى كمساعدة حقيقية للموازنة الأمريكية التى تعانى من عجز فاضح.

هناك قضية أخرى هامة هى موقع الدولار الأمريكى.

كان سعر الدولار مرتفعاً فى السابق بسبب ارتفاع سعر الفائدة، حيث كان هناك دائما طلب على الدولار والآن ومع ارتفاع سعر النفط ووصوله إلى حوالى ٣٥ و ٤٠ دولارا المفروض أن يزداد الطلب على الدولار على الصعيد العالمى. ولكن ولأن الولايات المتحدة بحاجة ماسة إلى أن تزداد صادراتها، وأيضا الدول التى تعانى من ارتفاع أسعار النفط بحاجة ماسة الى أن تشترى النفط بسعر أقل إذا أمكن.. توصلت إلى اتفاق غير معلن بأن سعر صرف الدولار يكون أقل، وفى ذلك مساعدة للولايات المتحدة لكى تصدر أكثر، ومساعدة للدول المشترية للنفط، وهى الدول الرأسمالية الرئيسية أن تدفع أقل، وبذلك تمكن الدولار أن يصل إلى موقع مناسب للاقتصاد الأمريكى والاقتصاديات الرأسمالية فى المرحلة الحالية، الأمر الذى لم تتمكن الولايات المتحدة من الوصول له خلال ست أو



سبع سنوات سابقة، رغم المفاوضات المتكررة بين الدول الرأسمالية السبع. فشرط هذه الدول كان أن تخفض الولايات المتحدة الأمريكية عجز الموازنة لكى يساعد هذا بتخفيض سعر صرف الدولار.

وما كانت الولايات المتحدة تجرؤ على الإستجابة لهذا الشرط، لأسباب هامة جدا.

فالموازنة الأمريكية دخلت إلى السوق المحلى مقترضة وكان هذا سببا فى رفع سعر الفائدة، وبالتالى سببا فى إجتذاب الأموال من الخارج بدلا من استثمارها فى بلدانها، حيث عائدها فى البنوك الأمريكية أفضل من عائدها فى الاستثمارات الأخرى. وقد شكل هذا ضغطا كبيرا على الاقتصاد العالمى

ووقف عجز الموازنة الأمريكية عائق أمام تحسين وضع الولايات المتحدة فى التجارة الدولية، لأن الدولار المرتفع يعنى أن صادرات الولايات المتحدة ستعانى من مزاحمة شديدة

الآن فإن الدولار المنخفض سيساهم فى تحسين وضع أمريكا فى التجارة الدولية عن طريق زيادة الصادرات

لقد توصلت اوربا الغربية واليابان فى ظل الصدمة النفطية الأولى إلى تطوير تكنيولوجيا ذات استغلال منخفض للطاقة وقد حاولت الولايات المتحدة نفس الشيئ ولكنها لم تنجح بمافيه الكفاية وتستهلك الولايات المتحدة فى الوقت الحالى بالنسبة للفرد الواحد فى قطاع الصناعة مرتين ونصف أكثر من اليابان ومرة ونصف أكثر من أوروبا الغربية. ولذلك فالولايات المتحدة بحاجة ماسة فى المرحلة الحالية لأن تقوم بعمليات جراحية قاسية، لكنها لاتستطيع فى وقت قصير تعليل إستهلاك الطاقة فى الإنتاج، وهو ماسبقتها فيه كل من أوروبا الغربية واليابان.. ومن هنا فإن هذه الجهات لن تتأثر بنفس القدر من إرتفاع أسعار النفط.

ورغم كل هذا نجحت الولايات المتحدة فى رفع سعر الطاقة، ونجحت فى تهديد هذه البلدان بالدخول فى شبه كساد إقتصادى إذا لم تستجب إلى مطالب الولايات المتحدة الأمريكية والآن هناك استجابة من اليابان وأوروبا الغربية فى المساهمة فى نفقات العدوان الأمريكى على المنطقة، وهى مساعدة كبيرة لوضع الولايات المتحدة فى تحسين وضعها الاقتصادى

* إذن هل استطاعت أمريكا باحتلالها للخليج أن تحل مشكلاتها الاقتصادية؟

** كلا ليس نهائيا فهذه واحدة من المحاولات للخروج من الأزمة لكنها لن تكون ناجحة تماما فى إخراج الولايات المتحدة منها

لقد أفصحت الرأسمالية عن امكانيات كبيرة للتأقلم مع الأزمات، ولكن أن تخرج الولايات المتحدة من أزمتها منتصرة الآن أصبح شيئا صعبا جدا لأن الأزمة أكثر تركيباً وتعقيداً وشمولاً.

* تنتقل إلى الوطن العربى. ماهى الأثار الاقتصادية لأزمة الخليج على البلاد العربية؟

** إذا عرفنا أن الدول العربية النفطية هى الممول الرئيسى للحملة الأمريكية، وحيث تعانى كل البلدان التى تأثرت بالأزمة من نقص هائل فى الاستثمارات، وازدياد البطالة بسبب مئات الآلاف الذين خرجوا من الكويت والعراق والخليج بصفة عامة، ويقدر عدد الخارجين بمليون عامل نصفهم عرب فلسطينيون ولبنانيون وأردنيون ومصريون، وفى نفس الوقت تضررت قطاعات اقتصادية هامة جدا مثل قطاعات النقل والسياحة والتجارة الخارجية، خاصة فى الكويت والأردن والعراق والسعودية، إضافة إلى هروب رؤوس الأموال العربية التى أصابها الفزع إلى الخارج بما فيها لأول مرة رؤوس الأموال الصغيرة..

كل هذا يؤكد أن للأزمة انعكاسات قاسية جدا على اقتصاديات الدول العربية المرتبطة مباشرة بالأزمة صحيح أن أسعار النفط سوف ترتفع، ولكن الحملة الامريكية الأطلسية العسكرية سوف تمتص جزءا كبيرا من عوائد النفط بالنسبة للسعودية ودول الخليج الأخرى.

وبالنسبة للعراق تعطل مرفق النفط الذى يمول الخزانة ويشكل المصدر الرئيسى للدخل، وبالتالى ستلحق أضرار كبيرة جدا بكل من العراق والكويت إضافة إلى الضرر الأساسى وهو أن الحياة الاقتصادية بشكل عام قد تعرضت لضربة موجعة.

* تحديدا.. كيف تأثرت الأردن اقتصاديا بالأزمة؟

** تقول التقديرات الأولية أن الأردن تعرض لخسائر هائلة بعد الحصار الاقتصادى، وتعطل مجموعة من المرافق والقطاعات الاقتصادية.. التجارة، النقل، السياحة

أمريكا والاتحاد السوفيتى ربحا الحرب العالمية الثانية وخسرا اقتصاديا فى نهاية الحرب الباردة

التجارة مع العراق، ميناء العقبة الذى حوصر بشكل كبير.. مما أدى إلى زيادة البطالة وانخفاض النشاط الاقتصادى الكلى، انخفاض الناتج المحلى الإجمالى، وتقول التقديرات الأولية أن هذا الانخفاض سيتواصل ليكون الناتج المحلى فى عام ٩٠/٩١ أقل منه فى عام ٨٩ بـ ٨٪ حسب التقديرات الأولية قياسا على أسعار ١٩٨٩، أى أن الانخفاض أكبر كثيرا من ٨٪ وفى ذات الوقت هناك مؤشرات كثيرة إلى أن هناك ميلا واضحا نحو التضخم مع زيادة البطالة، وبذلك سيكون الوضع الاجتماعى الاقتصادى فى غاية الصعوبة.

ويمكننا القول أنه حتى الآن فإن المستفيد الرئيسى والوحيد من أزمة الخليج، هى الولايات المتحدة الأمريكية.

أما المتضرر فهو كل العالم على الإطلاق بسبب ارتفاع أسعار النفط وأسعار المواد بصفة عامة، ولايستثنى من ذلك الاتحاد السوفيتى. فرغم أنه مستفيد من رفع أسعار النفط إلا أنه متضرر فى كل عقوده الأخرى.

أيضا اليابان وأوروبا الغربية ستضرر فى كل مجالات الانتاج التى يدخل فيها النفط بسبب ارتفاع التكاليف. والدول العربية كلها متضررة بما فى ذلك تلك التى خفضت مديونيتها. وقد انخفضت إلى حد كبير جدا تحويلات العاملين التى كانت تشكل جزءا هاما من الدخل القومى لكل البلدان التى كانت لها عمالة فى الكويت والعراق وفى منطقة الخليج كلها.

يمكننا إذن إجمال هذه النتائج الاقتصادية الرئيسية لأزمة الخليج، ويمكن استنتاج لماذا كان الدور الأمريكى كبيرا ولايزال كبيرا وسريعا فى إجراءاته لإخراج أمريكا من أزمتها الاقتصادية، وتحسين وضعها التفاوضى على الصعيد العالمى.

* كيف سيكون موقع أمريكا بعد هذه الأزمة من الصناعات النفطية على الصعيد

حرب الخليج

الدولى؟

** هناك اتجاه لتكامل رأسى فى الصناعة النفطية، وتلعب فيه الشركات المتعددة الجنسية دورا كبيرا جدا. وعلى مايبدو فإن حصة الولايات المتحدة فيها بدأت تقل أمام حصص الشركات الأخرى، وهذه قضية تقلق الولايات المتحدة، إنها محتاجة للخروج من فخ المديونية وفتح العجوزات الداخلية، وتصحيح كل هذا يحتاج إلى عامل تكييف داخلى فى الاقتصاد الأمريكى، لكنه مكلف ولاتتوفر إمكانيات لدى الولايات المتحدة للإتفاق على عملية التكييف هذه. بالإضافة إلى أن عامل الزمن لايساعد، ولذلك تقوى الآن فى الولايات المتحدة النزعات الاجتماعية ليس فقط الليبرالية التى كانت موجودة سابقا، ولكن الأكثر ثورية والتى بدأت تعطى مردودا واضحا فى الحياة السياسية فى أمريكا، بدليل نجاح مرشح اشتراكى لأول مرة منذ زمن بعيد فى الكونجرس، ونجاح عدد آخر من الاشتراكيين فى البلديات. وهذه ظاهرة لم تكن مألوفة فى الحياة الأمريكية وأعتقد أن هذه الظاهرة سوف تتسع ولن تقل.

* هل تعنى أن أزمة الخليج قد تؤدى إلى التعجيل بالثورة الاجتماعية فى أمريكا؟!

** أعتقد أن هناك قضيتين حاكمتين الأولى هى الميل الدولى نحو الديمقراطية بمعنى حرية التعبير ستكون أكبر من ظل إنزياح كابوس الحرب الباردة الذى كان يمثل قيداً حقيقياً على تحرك الناس، وكان يمثل بالنسبة للعالم شيئاً شبيهاً بالأحكام العرفية العالمية، حرية التعبير ستزداد وتكبر على الصعيد العالمى، وستؤخذ المبادرة من يد الدوائر التى

الملك حسين

الخوف من الهجرة اليهودية

كانت تضطهد الشعوب، سواء فى العالم الثالث أو فى العالم المتقدم الرأسمالى، وستفقد هذه الدوائر المبرر الذى كانت تعتدى به على حرية الشعوب وهذا سيساعد كثيرا على حرية التحرك من داخل كل بلد.

وأعتقد أنه مع ازدياد الفقر العالمى رغم إزدياد الثروة مع وجود مشاكل بشرية أخرى كثيرة مثل مشاكل البيئة وتشوه التنمية، أعتقد أن وتائر النضال من أجل العدالة الاجتماعية على الصعيد العالمى سوف تشتد

* كيف سينعكس هذا كله على القضية الفلسطينية؟

** بدأت اسرائيل تخاف من التبدلات التى تحدث فى المنطقة، وهناك قرائن تقول أن اسرائيل وبريطانيا كانتا أكثر القوى رغبة فى أن تقوم حرب، ذلك أن الكويت تشكل بالنسبة لبريطانيا الآن مايمكن أن نسميه «درة التاج البريطانى» ولبريطانيا مصالح كثيرة جدا فى الكويت وهى تخشى أن تفقدها، أما اسرائيل فدعوتها للحرب نابعة من إدراكها أن قوتها فى المنطقة تستند على بقاء التوتر، لذلك تطالب بتوجيه ضربة عسكرية للعراق لأن ذلك سيبقى دور اسرائيل.

أما الحل السياسى والسلمى للأزمة سواء فى العلاقات الكويتية العراقية أو بالنسبة لمجمل الوضع فى المنطقة، بما يؤدى إليه من خروج القوات الأجنبية فهذا، سيضعف دور اسرائيل رغم أن اسرائيل ستبقى عامل تهديد لمنع التطور بالاتجاه موقف معاد للتبعية فى المنطقة، ولذلك فهى تحتاج لحالة التوتر.

هناك مسألة أخرى وهى أن الموازنة الاسرائيلية مختلة إذ أن ثلاثة أرباعها مخصص للأمن ولسداد الديون الخارجية واسرائيل دولة تعيش على المساعدات الخارجية فإذا مافقدت وظيفتها فى ظل التوتر هل ستتدفق عليها المعونات كالسابق

أعتقد أن الأمر سيتغير بالنسبة للقوى التى تساعد اسرائيل.

والآن هل يساعد الوضع العربى الراهن على الوصول إلى حل أفضل أم الى حل أسوأ للقضية الفلسطينية فى رأيك؟

* فى إعتقادى أن الانقسام العربى سيعطى فرصة لكى يكون الحل أقل عدلاً بالنسبة للعرب والفلسطينين وفى ظل التماسك العربى فإن امكانية حل أفضل لهم هى أكبر بمالايقاس، أما الترابط الذى طرح بين قضية الخليج وفلسطين يفضى إلى الاستنتاج التالى وهو إذا كانت العدوانية الاسرائيلية التى قامت فى المنطقة كانت ومازالت تستهدف منع العرب من الخروج من قبضة التبعية وتحرير ثروتهم فإن الوجود الأمريكى والأطلسى الآن يمنع العرب بصورة مضاعفة من التعامل بشكل مستقل مع هذه الثروة وقد وضع الأمريكيون يدهم على النفط أى انهم نزعوا هذا الاستقلال صراحة. هذا هو الترابط فى عمقه، وينبغى لنا أن ننظر إلى

الاستيلاء على منابع النفط ضرورة لتحسين مركز أمريكا التفاوض مع أوربا واليابان

الحل السلمى لأزمة الخليج يضعف دور اسرائيل

أمريكا ساهمت فى انفجار الحرب العراقية الايرانية لمواجهة الصدمة النفطية الثانية

الترابط فى مشروع حركة التحرر العربى كله فى تحقيق الإستقلال الكامل. الذى يسعى لموقع أفضل للبلدان العربية فى إطار التقسيم الدولى للعمل. هذا هو الترابط الذى ينبغى أن نفكر فيه من كل زواياه، ومن ثم يجب أن تحسب الحسابات فى المنطقة باستمرار بحيث لانعطى مبررا مشروعا للعدوان علينا ووضع اليد على ثرواتنا، خاصة ونحن نعيش فى منطقة حساسة من العالم، منطقة استراتيجية للعالم كله مصالح فيها، وقد سبق أن كان المستفيد الرئيسى من الحرب العراقية الإيرانية هى أمريكا، حيث جرى إضعاف الدولتين الرئيسيتين فى المنطقة وهما العراق وإيران، وكانتا أكثر بلدين مسيسين فى المنطقة فيهما قاعدة اقتصادية متطورة ولهما تاريخ علمى وحركة سياسية، وتاريخ معادى للإحتكارات النفطية، ويجب أن نعرف أن تجربة مصدق فى إيران هى تجربة لاتنساها الاحتكارات، كذلك كانت العراق فى ظل عبد الكريم قاسم هى التى ساهمت مساهمة كبرى فى تكوين الأوبك وحقيقة الأمر أن صراع حركة التحرر من البلدين كان موجهاً فى جانب منه ضد الاحتكارات النفطية.

ورغم كل هذا فإن الحرب العراقية الايرانية الحقت خسائر فادحة. بالبلدين وقد ثبت انه فى العالم النامى يمكن أن يبدأ بلدان صراعا مسلحا فيما بينهما ولكن قدرتهما على انهائه تبقى دائما مشكوكا فيها، وفى معظم الحالات تستفيد القوى الإمبريالية وحدها من هذا الصراع، لأن التعامل مع التناقضات الثانوية وكأنها تناقضات رئيسية دائما يؤدى إلى أن أطراف التناقض الرئيسى هم الذين يستفيدون وأعتقد أن هذه إحدى الحالات الموجودة الآن فى المنطقة بعد إحتلال العراق للكويت وعودة إلى موضوع اسرائيل هناك أكثر من مؤشر على أن الأمور ناجحة فى اتجاه الحل وربما لذلك لن يكون الحل فى صالح القضية العربية والقضية الفلسطينية بشكل خاص بعد الوقوع فى رفع التناقض الثانوى إلى مرتبة التناقض الرئيسى.

* إذن ليس هناك إلا الشق التالى من كامب داڤيد كما يقال الآن فى بعض الأوساط الحاكمة العربية؟

* هذه نقطة صراع، ذلك أن القوى التى وضعت كامب داڤيد بشقيها الأول والثانى ستبذل جهدا لكى تسير العملية فى هذا الإتجاه ومطلوب أن تكون هناك قوى أخرى لاتسمح بذلك هل ياترى تدفع بنا أزمة الخليج وفى حالة من اليأس إلى القبول بأى حل حتى ولو كان الشق الثانى من كامب داڤيد ولكى لايكون الحل هو الشق الثانى من كامب داڤيد أى على حساب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، مطلوب أن يكون هناك عودة إلى موقف عربى موحد أكثر وضوحا بالنسبة للقضية الفلسطينية يحترم هذه الحقوق المشروعة للشعب، وأعتقد أن هناك عوامل سلبية وأخرى ايجابية بإتجاه هذا الحل.

وإذا كانت الولايات المتحدة قد أستفادت من الإجماع الدولى بالنسبة لقضية العراق، فسوف يكون من الصعب عليها الإفلات من إجماع دولى مشابه، ولكن للحصول على مثل هذا الإجماع بالنسبة للقضية الفلسطينية لابد أن يكون هناك موقف عربى يسعى بإتجاهه.

ولهذا إذا ما توفر موقف عربى فى قضية الخليج سيكون من السهل الوصول لمثل هذا الموقف فى القضية الفلسطينية.

إن الأطراف التى اتخذت مواقف متشددة جدا فى قضية العراق لم تترك مجالا لكى يكون هناك حل يسمح بعودة الموقف العربى. وهى فى الجوهر إما انجرفت أو استجابت للموقف الذى تريده الولايات المتحدة فى الحالتين وهى التى استفادت وحدها من الأزمة ومن الإنقسام العربى.

حدث تبدل واضح فى المزاج الأردنى من تأييد كان نتيجة لتأييد منظمة التحرير والنظام الأردنى للعراق.

بدأ النظام الأردنى يخاف كثيرا من الهجرة اليهودية لفلسطين، فالتوسع من الهجرة يحتاج إلى توسع فى الأرض، فأما تهجير أعداد كبيرة من الفلسطينين إلى الأردن، أو حرب للحصول على موقع جغرافى جديد. والموقع الوحيد المحتمل هو الأردن كذلك هناك موضوع المياه الشحيحة فى المنطقة وإسرائيل تسرق الكثير من حياة الأردن ونقص موارد المياه فى الأردن قضية كبرى، والنظام الأردنى يخاف خوفا حقيقيا من أن يطرح فكرة الوطن البديل على بساط البحث فى ظل الزيادة السكانية الاسرائيلية حيث إن واحدة من القضايا الأساسية بالنسبة لها هى أن تحافظ على التوازن الديموجرافى فى المنطقة، فهى تعتقد أنه بدون هذا التوازن الديموجرافى فإن امكانية بقاءها هى عملية صعبة جدا، لأنها ستبقى جزيرة معزولة إذا ما أرادت أن تحافظ على البقاء السكانى كما تقول، ستبقى جزيرة محصورة إلى فترة طويلة جدا مع كل هذه الحروب والكراهية، ولذلك هى معنية بالوصول إلى أكبر تجمع سكانى وهو مايحتاج إلى مساحة جغرافية مقبولة ومناسبة والثروات الأخرى التى تعيش عليها هذه المجموعات لذلك كان الملك حسين هو أول من رفع صوته





الملك فهد

دفع فاتورة الاحتلال

انشاء قوات التدخل السريع وتدريبها فى مصر والسعودية.. خطوة فى طريق السيطرة الامريكية على منابع النفط

ضد الهجرة حتى قبل الجهات المعنية مباشرة بهذا الموضوع وهو لذلك يعتقد أن القوة العسكرية العراقية ستكون سنداً له، السبب الأخر هو استمرار علاقة التعاون التى نشأت بين الأردن والعراق خلال الحرب العراقية الإيرانية وهى علاقة قويت جدا.

هناك شئ مشترك فى التفكير العراقى الأردنى على مستوى القيادات فى النظر للأمور فى المنطقة، وهى الرؤية التى سمحت بالتفكير فى إنشاء مجلس التعاون العربى كمحور سياسى- عسكرى، كذلك فإن الشعب الأردنى قد عبأ ضد أمريكا وإسرائيل بشكل أساسى.



يوسف والى

الألف يوم صناعة غير محلية :

الحكومة تلتزم ببيع القطاع العام مع نهاية ١٩٩٥

ورفع الدعم نهائيا واطلاق الأسعار خلال ٣ سنوات

أحمد الحصرى

د. عاطف عبيد



موريس مكرم الله



مع اقتراب موعد استلام صندوق النقد الدولى خطاب النوايا الذى تحدد فيه الحكومة المصرية خطتها للإصلاح الاقتصادى أعلن رئيس الجمهورية عن مشروع الألف يوم لتحرير الاقتصاد المصرى..

وبغية نزع أى علامات استفهام تثار حول توقيت الإعلان، قام مجلس الشورى بعقد اجتماع أكد فيه أن مشروع الألف يوم مصرى وطنى ١٠٠٪ وليس استجابة لطلب المنظمات الدولية

ولأن مشروع الالف يوم وحتى الآن لم يبلور فى وثيقة تحدد بنوده أو مراحله نستطيع معها المقارنة مع طلبات المنظمات الدولية وصندوق النقد الدولى.. استلزم الأمر الرجوع إلى ملفات الصحف لمحاولة رسم صورة لمعالم مشروع رئيس الجمهورية وللتأكد من صدق إعلان مجلس الشورى

المسئولون والالف يوم

ماذكر مصطلح الالف يوم فى خطاب رئيس الجمهورية فى منتصف ديسمبر الماضى حيث أشار فى كلمات قليلة إلى أن المشروع يهدف إلى إتاحة الفرصة للاستثمار وإزالة العقبات البيروقراطية وتوفير الثقة بين المستثمر وأجهزة الدولة. وأكد على أن استراتيجية العمل فى المرحلة الجديدة ترتكز على قيام بناء تشريعى يحطم القيود ويحرر الاقتصاد المصرى. ولم يحدد الرئيس أى تفصيلات لملامح المشروع المقترح وترك لمجلس الشعب تكليفا بوضع إطاره العام.

وقبل أن يقوم مجلس الشعب بدوره بدأ المسئولون فى القطاعات المختلفة فى التصريحات..

د. يوسف والى وزير الزراعة كان له السبق بإعلان خطأ تحرير الاقتصاد الزراعى خلال ألف يوم تقوم على إلغاء دعم مستلزمات الانتاج الزراعى خلال ثلاث سنوات، وجعل الأسعار العالمية هى أساس التعامل فى الحاصلات التصديرية، وزيادة وإطلاق حرية القطاع الخاص فى استيراد المستلزمات الزراعية، وإلغاء التوريد لكافة المحاصيل كمبدأ عام فيما عدا القطن والقصب.. وقال والى إن تحرير قطاع الزراعة ليست خطة مفاجئة ولاعشوائية ولكن أساسها موجود منذ بداية حكم الرئيس مبارك، والغرض حاليا هو الإسراع بمسيرة التحرير التى بدأت دون الإعلان عنها منذ زمن طويل.

أما «د. فؤاد سلطان» وزير السياحة والطيران، فقد أعلن أنه أول وزير فى وزارة صدقى يطبق برنامج الرئيس مبارك منذ سنوات. وأن المشروع الجديد جاء لصالح سياساته التحريرية لإنقاذ القطاع العام من التدهور وإعطاء مساندة سياسية للإسراع فى إصلاح مسار الاقتصاد المصرى... وأكد د. سلطان بأن خطة الالف يوم تستهدف تحرير

ع الـه

القطاع العام والعودة لاقتصاد «السوق» وإلغاء الدعم والملكية العامة والتخطيط المركزى والاعتماد على القطاع الخاص بالدرجة الاولى فى تحقيق المشروعات الحيوية.

د. عاطف عبيد أكد أن مستقبل الملكية وإدارة شركات القطاع العام فى مصر يعد المكون الاساسى فى برنامج الالف يوم وأن الحكومة تعمل فى إعداد خطة لنقل القطاع العام إلى الخاص وأنها ستستفيد من تجربة بريطانيا فى هذا المجال «الخصخصة»

وحدد د. عبيد ركائز برنامج الالف يوم فى تشريع موحد لكافة الانشطة الاقتصادية وإطلاق حرية الاستثمار أمام القطاع الخاص وتحديد دور القطاع العام فى أضيق الحدود والمحافظة على المؤسسات الاقتصادية ومساندة مجتمع رجال الاعمال وتأمينه.

أما د. موريس مكرم الله وزير الدولة للتعاون الدولى فقد أكد على أن مشروع الالف يوم يستهدف وضع المشروعات الاستراتيجية تحت إشراف الدولة ويترك الباقى للقطاع الخاص

وأعلن د. محى الغريب رئيس الجهاز



فؤاد سلطان

التنفيذى لهيئة الاستثمار أن إجراءات التحرر الاقتصادى قد بدأت منذ فترة من خلال توجيهات الرئيس بتشجيع القطاع الخاص وبيع مشروعات المحليات إلا أن هذه الإجراءات اتسمت بالبطء، مما حدا بالرئيس نحو تحديد فترة زمنية يتم فيها وضع وتنفيذ برنامج شامل متكامل للتحرر الاقتصادى فى جميع المجالات والقطاعات بما يحرر إدارة القطاع العام ويسمح بتعبئة كل الموارد.. ولم ينس د. الغريب دوره فى برنامج الالف يوم فأعلن قيام ٤ مناطق حرة جديدة فى دمياط وميناء القاهرة الجوى والسويس وسفاجا.

ودخل ميدان الالف يوم عبد الهادى قنديل وزير البترول حيث قرر الموافقة على مشروعات للقطاع الخاص لإقامة معامل تكرير لتصدير منتجات البترول للخارج، والمساهمة فى إنشاء محطات جديدة لخدمة وتموين السيارات، كما إنه قرر بالنسبة لقطاع الثروة المعدنية منح تراخيص المناجم والبحث عن المعادن واستغلالها لكافة شركات القطاعين العام والخاص والافراد بعد أن كانت تعتمد بعض شركات القطاع العام.



وبالنسبة لهيئة سوق المال، صرح د. فتح النور أن المطلوب من مشروع الالف يوم هو تعديل التشريعات الاقتصادية وعلى رأسها قانون الضرائب العامة خاصة بالنسبة للضريبة المستحقة على الاسهم والسندات وعائدها.

د. سمير طوبار أعلن باسم اللجنة الاقتصادية للحزب الوطنى عدة مراحل لتنفيذ برنامج الالف يوم لفتح فرص استثمار حقيقية للقطاع الخاص، تبدأ المرحلة الاولى منها بإجراء التعديلات التشريعية التى تتفق مع برنامج الإصلاح وإتاحة المجال للقطاع الخاص للدخول فى الاستثمار وإفساح الطريق أمامه للمنافسه وقصر دور القطاع العام على الصناعات الحيوية والاستراتيجية.

وإذا كان برنامج الالف يوم كما جاء فى خطاب الرئيس موجه الى البرلمان يفرض وضع البناء التشريعى اللازم «للتحرير» فاقتراحات المشروعات الجديدة يعلن عنها يوميا، وتشمل الاقتراحات مشروعات قوانين أو تعديلات عليها كقانون الاستثمار والبنوك والائتمان ، واللائحة الجديدة لنظام الصرف الاجنبى وتداوله والسماح بنظام الصيارفة وتعميمه، ومشروع قانون الضريبة الموحدة وضريبة المبيعات، وقانون القطاع العام وقانون استصلاح الأراضى وتعديل العلاقة بين المالك والمستأجر وقانون الشركات

وفى مجلس الشعب كانت اللجنة الاقتصادية المبادرة بطلب إعادة صياغة العلاقة بين المالك والمستأجر والعودة إلى قوانين الاقتصاد الحر وترك السوق لقوى الطلب والعرض.

أما مجلس الشورى وبعد إعلانه عن وطنية مشروع الالف يوم فقد طالب من خلال اللجنة المشكلة لدراسة المشروع بإلغاء وزارة التموين لتحرير التجارة الداخلية وتمليك شركات التجارة الداخلية للقطاع الخاص وإلغاء التنسيق الجبرى وتعديل العلاقة بين المالك والمستأجر وتحرير الزراعة وتعديل الدستور.

الالف يوم الإسلامى

ولم يترك الساحة المطالبون بالشريعة الإسلامية وقال أحد خبرائهم الاقتصاديين فى تحقيق صحفى مطول عن الشريعة والالف يوم أنه لابد من بناء قاعدة اقتصادية إسلامية لتنفيذ مشروع الالف يوم تكون قائمة على أساسيات النظام الاسلامى فى المال والزكاة والمرابحة والمشاركة والمزارعة وإلغاء الفوائد والموازنة بين مصلحة الفرد والجماعة.

وعند سؤاله عن كيفية ذلك قال بتحرير السوق من الاحتكارات (والمقصود بها القطاع العام) ودخول القطاع الخاص بقوة فى مجال المنافسة السلعية ومراجعة القطاع العام وتطويره وان تلتزم الحكومة بتقديم الخدمات إلى القطاع الخاص بكفاءة. وبتكلفة مخفضة وتصحيح الخلل والتضارب فى أسواق العملات الاجنبية وأسعار الصرف.. ولم ينس فى نهاية حديثه التأكيد على ضرورة تنفيذ برنامج إسلامى لتنشيط سوق المال وإعداد لوائح تشريعية واقتصادية تقوم على المنهج الإسلامى.

أما رئيس حزب الأحرار مصطفى كامل مراد فقد عتبر مشروع الالف يوم فرصته لعرض ماسبق أن نادى به وأكد على أن تحرير الاقتصاد يتطلب اتباع سياسة السوق المفتوحة ، وهو مايعنى أن يكون العرض والطلب أساسا لتحديد الأسعار والخدمات. ويلزم ذلك إلغاء التسعيرة فى جميع المجالات لإنها فى حد ذاتها تعرقل التطور الاقتصادى الذى يطالب به مشروع الالف يوم

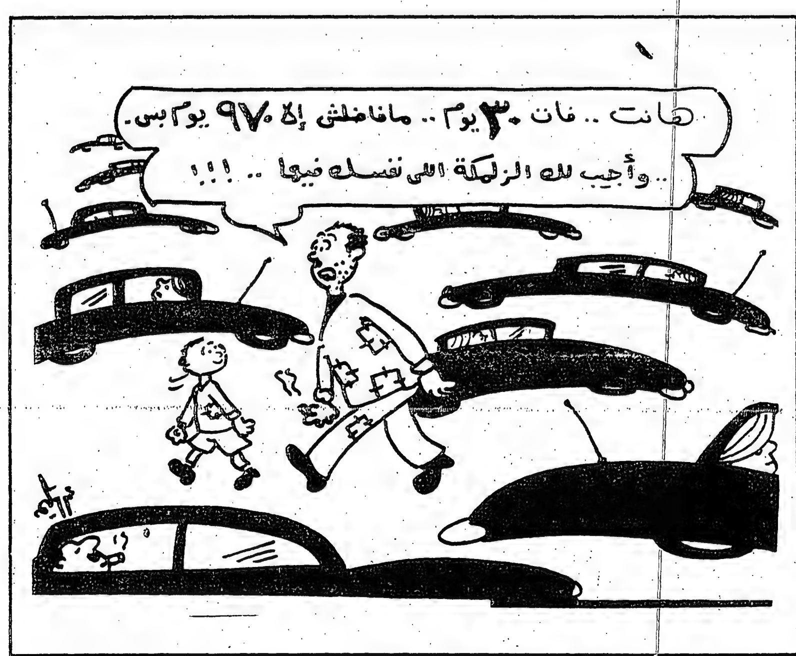




أما جريدة الوفد فقد قالت من خلال افتتاحية رئيس التحرير أن الألف يوم يحتاج إلى سياسة اقتصادية واضحة تقضى على سيطرة الدولة على وسائل الانتاج.

رجال الاعمال

منذ إنشاء جمعية رجال الاعمال ومطالبهم لاتنتهى عن تحرير الاقتصاد المصرى وتسليمهم زمامه وبعد الالف يوم أعلن رئيس الجمعية عن مطالبهم الجديدة، وتتلخص فى وضع برنامج واقعى لنقل ملكية القطاع العام إلى الخاص، وخفض الضرائب على المستثمرين ، وإلغاء جميع القوانين المحددة للإيجارات أو أسعار البيع للوحدات السكنية. وعن كيفية صياغة مشروع الالف يوم قال رئيس الجمعية أنه يتم تكليف مجموعة من الاقتصاديين ورجال الاعمال بوضع خطط الإصلاح والتحرير خلال مدة محددة وبشرط أن يتم انتقاءهم من الأشخاص المؤمنين بالحرية الاقتصادية وبعد ذلك يعرض المشروع على مجلس الشعب لإقراره.



هذا باختصار ماأعلنه المسئولون والوزراء وأحزاب اليمين ورجال الأعمال وكله يدور فى إطار قضايا عدة على رأسها

- نقل الملكية العامة إلى الخاصه واستخدام الإداوت التشريعية اللازمة فى عمل البناء التشريعى الجديد.

تحرير الأسعار لتتحدد وفقا لظروف الطلب والعرض فى السوق وتوقف الدولة عن أى نوع من التخطيط للنشاط للاقتصادى.

-تحرير التجارة الداخلية والخارجية - تعويم الجنيه .

فماذا عن مطالب المنظمات الدولية وعلى رأسها صندوق النقد الدولى.

تقول أوراق البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والذى نشر بعضا منها فى الصحف المصرية... أن الحكومة المصرية عليها الالتزام خلال السنوات الثلاث المقبلة (أى ١٠٩٥ يوم) بوقف جميع الاستثمارات الجديدة للدولة فى المشروعات وإحلال القطاع الخاص محل الخزانة العامة فى تمويل الاستثمارات، ورفع الاسعار ورسوم الخدمات وزيادة أسعار البنزين والكهرباء ومختلف أنواع الطاقة سنويا لمساواتها بالاسعار العالمية فى عام ١٩٩٤، وإلغاء نظام التوريد الإجبارى لجميع المحاصيل الزراعية ورفع أسعارها ومساواتها تدريجيا بالاسعار العالمية والانتهاء من تعويم الجنية المصرى.

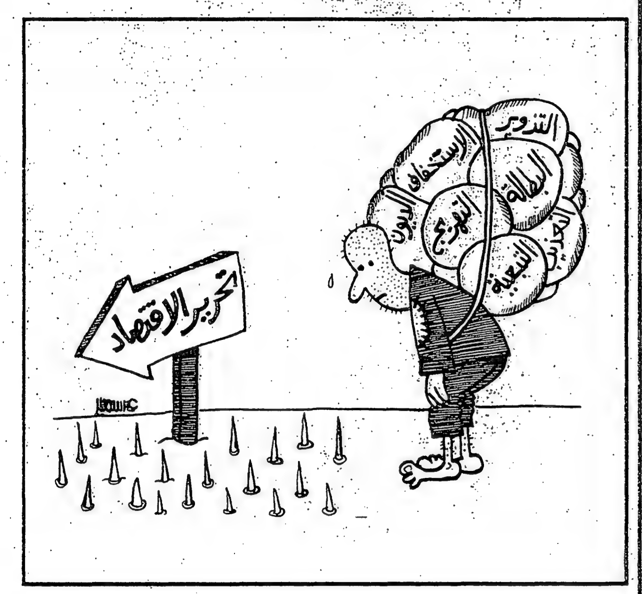
ويطالب الصندوق باعداد برنامج لخصخصة القطاع العام وتحويل ملكية وحداته للقطاع الخاص وإنهاء التحكم فى تحديد أسعار منتجات القطاع العام. وفى قطاع الزراعة رفع أسعار القطن والموارد للفلاحين ورفع الدعم المتبقى عن المبيدات والسماد والمنتجات الغذائية مع يوليو ٩١

وفى مجال التجارة الخارجية تخفيض قائمة السلع المحظور استيرادها وعدم اخضاع منتجات القطاع الخاص لأسعار محددة

بقى أن نقول أن بعض ماتسرب للصحف عن خطاب النوايا الجديد المقدم لصندوق النقد الدولى قد أكد على التزام الحكومة بالأنتهاء من بيع القطاع العام مع نهاية عام ١٩٩٥ ورفع الدعم نهائيا وإطلاق حرية التسعير لجميع السلع خلال ثلاث سنوات بالإضافة إلى موافقة الحكومة على مطلب الصندوق الذى تعطلت بسببه مفاوضات عام ٨٩ الخاص برفع سعر الفائدة وتعويم الجنيه

أخيرا هل يمكننا بعد ذلك أن نصدق مجلس الشورى وهل مازال يصر على اعتبار الألف يوم صناعة محلية ١٠٠٪







المناقشات النقابية الحرة ترفض المفاهيم السائدة للتحرير الأقتصادى وتكشف ضعف موقف الاتحاد والجمعية العمومية حيالها.

أسفرت اتجاهات الرأى داخل الحلقة النقاشية التى نظمها الاتحاد العام للعمال فى نهاية ديسمبر الماضى لمناقشة مشروع الألف يوم ومايسمى بتحرير الاقتصاد المصرى، عن بروز عدة محددات هامة تبين رؤية الحركة النقابية للتغيرات الهيكلية بالاقتصاد المصرى فى المرحلة المقبلة. منها التأكيد على تحويل الاقتصاد المصرى من اقتصاد «ريعى» إلى اقتصاد «إنتاجى». وأن التغيرات الهيكلية ليس معناها «التخصيصية» وأن هناك أساليب مختلفة لدفع عجلة الإنتاج وحسن استخدام الموارد غير «الخصخصة». وشددت المناقشات على أهمية توفير المناخ لزيادة قدرة العامل ورغبته فى الإنتاج وزيادة كفاءة الإدارة. ومن المحددات الهامة التأكيد على أهمية القطاع العام ودوره كركيزة للاقتصاد الوطنى مع تطويره وتقوية علاقات التكامل بين القطاع العام والقطاع الخاص، وحذرت المناقشات من أثار الارتفاع المشوائى والمنفلت للأسعار.

وردا على روشتة الصندوق أكد النقابيون أنه لايوجد نموذج موحد للإصلاح الاقتصادى يصلح لكل الدولة، ولابد من مراعاة واقع مصر مع تحقيق التوازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية. ونبه الحاضرون إلى أن مطالبة الصندوق بتجميد الأجور وإلغاء الدعم ستؤثر سلبا على محدودى الدخل وفى مقدمتهم العمال.

وقالوا أن أهم درس يستفاد من التطورات العالمية وأحداث أوربا الشرقية هو ضرورة الإعتماد على الذات كسبيل وحيد للتنمية.

وشددوا على أن التنمية ليست مجرد تحقيق معدلات مرتفعة للنمو وإنما فى المقام الأول تحقيق درجة ملاءمة من العدالة. ودعوا إلى إعادة النظر فى كل الأجور والأخذ باللوائح النوعية.

ونفوا تأثير زيادة الأجور على التضخم كما يشاع، مع الإشارة إلى أن زيادة الأجور ستؤدى إلى زيادة الانتاج وموازنة المعروض مع الطلب ودعوا إلى ضرورة مقرطة مواقع الانتاج واستمرار مشاركة العمالة فى مجالس الإدارة، وتحقيق التوازن الكمى والنوعى فى سوق العمل، ووضع ضوابط لصيانة كرامة العمالة المصرية المسافرة، ودعت الحلقة فى الختام إلى عقد مؤتمر عمالى عام لتوضيح رؤيةالحركة النقابية فى سياسات الإصلاح الأقتصادى وأهداف التنمية.

يلفت النظر أن الحلقة النقاشية، بتوصياتها القوية جاءت كعامل توازن مع رؤية الاتحاد العام للعمال لبرنامج الألف يوم لتحرير الأقتصاد المصرى والتى جاءت أقل قوة، وإن دعت إلى ضرورة كفالة الحد الأدنى للمواطنين فى مجال السلع والخدمات، والحد من إرتفاع الأسعار وعلاج البطالة والتشاور مع كل المنظمات الجماهيرية قبل إقرار برنامج الإصلاح.

وفى مجال رؤية الاتحاد لبعض القضايا والسياسات الأقتصادية المحددة فى برنامج الألف يوم دعا الاتحاد إلى سياسة زراعية لاتختلف كثيرا عن السياسة الرسمية، وإلى زيادة المكون المحلى والاستثمارات الأجنبية حيث أنه يصل أحيانا إلى ٤٠٪ فقط [فى الواقع أقل من ذلك].

مع ضرورة حصر وتشغيل الطاقات العاطلة كأولوية قبل الاستثمار الجديد. وإقالة الشركات من التعثر قبل اتخاذ أى قرار بشأنها ومكافحة التهرب الضريبى وإعادة النظر فى فئات الضريبة، إلى جانب توصيات تقليدية فى مجال السياسة النقدية وعجز ميزان المدفوعات وتحسين مناخ الاستثمار والعناية بالمستهلكين، وهى توصيات بالغة التردد بين ارضاء رجال الأعمال والحرص على القاعدة العمالية.

وأضعف من ذلك بكثير جاءت توصيات البيان الختامى للجمعية العمومية للاتحاد التى انعقدت بين ٣٠ و٣١ ديسمبر ١٩٩٠، وامتلأ بيانها بالصياغات الإنشائية من قبيل يجب جعل تحرير الانسان كهدف لتحرير الإقتصاد. وأهم ما فيه هو الدعوة لانشاء المجلس الأعلى للأجور والأسعار (وهو اقتراح تجمعى قديم). وأخطر ما فيه هو الدعوة إلى إعادة النظر فى التعريف السياسى للعامل [دون تحديد مما قد يعنى الموافقة على الاتجاهات الحالية لصندوق النقد]. وقد غابت قضايا الحريات الديموقراطية والنقابية عن البيان تماما. وإن كان يحمد له أخيرا أنه لم يأت على ذكر الاتفاق المشبوه مع رجال الأعمال والذى سمى باسم «بيان رجال الأعمال والعمال بشأن الإصلاح الاقتصادى»!

د. فتحى سرور



توجهات خطيرة فى مرشد الدكتور سرور للإصلاح الاقتصادى

تحت اسم «ورقة عمل عن مهام مجلس الشعب بالنسبة لمشروع الألف يوم لتحرير الاقتصاد المصرى» قدم الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب مجموعة من التصورات الخطيرة حول دور مجلس الشعب فى «هذه المرحلة الحاسمة» من تاريخ مصر، ووزعت على الاعضاء للاسترشاد بها أثناء المناقشات. أعادت الورقة التأكيد على القضية المطروحة منذ مطلع السبعينيات، باعتبار مواجهة مشكلة الانفجار السكانى أول وأهم هدف لتحقيق الإصلاح المنشود! وفى سياق ترتيب الأهميات جاءت مشكلة الأمية فى البند الثانى يليها إزالة القيود والعقبات فى وجه العمل والاستثمار ثم إعطاء أولوية مطلقة لتشجيع الاستثمار وتوسيع الإعفاءات الجمركية والضريبية وإشارة غامضة تشى بالاتجاه لتقيد انتقاد آليات السوق و«التحرير» فى وسائل الإعلام.

بعد ذلك تشجيع استثمار الموارد المحلية فى الصناعات الصغيرة والمتوسطة (الخاصة) لخلق فرص عمل وسادسا : تشجيع اقتحام الصحراء وإزالة العقبات أمام المشروعات وتشجيع التعاونيات تحت اطار «التنمية الزراعية والريفية». وسابعا: إصلاح أوضاع القطاع العام بتغيير شكله وأسلوب إدارته وحجمه؟!وتخليصه من الوحدات الصغيرة وغير الفعالة والخاسرة. ثامنا: فتح مجالات جديدة للنشاط الصناعى للقطاع الخاص.

ويفهم من الورقة الاتجاه لالغاء احتكار الدولة للاستثمار فى مجال الثروة المعدنية واستغلال المناجم والبحث عن المعادن وصناعة السماد... (الخ) بنص الورقة. يلى ذلك زيادة حجم الصادرات والاستثمار فى صناعات تخصص للتصدير. وتصل الخطورة إلى النص صراحة على (... بحيث لاتقبل معاهد التعليم والتدريب ولاتخرج إلا ما يحتاج إليه سوق العمل فى مصر أو فى الأسواق الخارجية) دون أى إشارة لمصير الفائضين عن ذلك وحظهم من التعليم.

وتزعم الورقة إن مافات هو قضية مصر كلها وليست قضية حزب أو فئة أو قوى إجتماعية بعينها!! كما تتحدث باستحياء عن أهمية إعادة النظر فى «.. تشريعات صدرت على مدار عدة عقود مضت لتنظيم علاقات إجتماعية واقتصادية «مضت»! مما يعنى تحطيم الحقوق الاجتماعية والديموقراطية التى كرستها ثورة يوليو للعمال والفلاحين.

المعروف أن كافة المستهدفات السابقة من إملاء صندوق النقد الدولى، وهى وصفة معروفة للعالم كافة، رغم إصرار الحكومة على التأكيد بأنها اختيارات وطنية بحته للإصلاح وبطبيعة الحال فإن محدودى الدخل هم ضحاياها فى الحالتين.



«حقيقة الإعفاء من الديون»

د. جلال أمين

الباحث عن الحقيقة فى مصر كثيرا مايكون أشبه بمن يحاول حل الألغاز أو فك الشفرة. فنصف الحقائق يخفى عنك عمداً، ونصف مايقال لك يجرى تشويهه عمدا بقصد تضليلك. الحقيقة تصل إليك فى النهاية، ولكن فى أغلب الأحيان بعد أن يفوت الأوان، إذ تكون فرصة الإصلاح قد ضاعت، وضاع من عمر البلد ماضاع، والمجرم قد أفلت من العقاب. فأنت قد تكتشف فظائع ارتكبها وزير أو رئيس للوزارة قضى فى منصبه خمس أو عشر سنوات ، بعد أن يكون قد ترك منصبه، أو ترك البلد كلها ، ويكون هذا الاكتشاف من تصريحات وزير لاحق يحاول أن يقول لك إن الخطأ ليس خطأه هو بل خطأ الوزير السابق أو بسبب خلاف نشب بين صاحب نفوذ ، وصاحب نفوذ آخر، أدى بهذا إلى أن يفضح ذاك. وقصة محافظ الجيزة الأسبق الذى أدانه القضاء منذ أيام فى مخالفات جسيمة للغاية، بعد أن ظل يحتل مناصب فى غاية الأهمية لمدة قد تصل الى عشرين عاما ، أصبحت الان معروفة، بعد أن كان يجرى التستر عليه، لسبب أو آخر، طوال هذه المدة. وكذلك لازالت قصة العمال المصريين فى العراق قريبة من الذاكرة: فقد ظلوا يقولون لنا أن جثث العمال المصريين الآتية من العراق هى نتيجة وفيات طبيعية، وفى حدود المعدل الطبيعى للوفيات، وأن ما قد يكون قد حدث من اعتداء لايزيد على أن يكون «حوادث فردية» من نوع مايحدث عادة بين شقيق وشقيقه، حتى ساءت العلاقة بين مصر والعراق بسبب الكويت، فأصبحت الوفيات غير طبيعية وأحداث الاعتداء ليست من النوع الذى يصدر من شقيق ضد شقيقه

* * *

وآخر القصص هى قصة ديون مصر الخارجية. فقد ظلوا خمسة عشر عاما يقولون لنا إن الديون ليست فى الحقيقة بالضخامة التى يظنها البعض، وأن معدل خدمة الدين لازال عند مستواه الطبيعى، وأن مصر تقوم بسداد ديونها وفوائدها فى مواعيدها ، وأن هذا الصندوق أو ذاك شهد بسلامة الاقتصاد المصرى وصحته، وأن ماتحصل عليه من هذه الدولة أو تلك إنما هو من قبيل المنح التى لاترد ، أو القروض الميسرة التى لاترهق كاهل الاقتصاد المصرى .. الخ وقد كنا نقول، على العكس، أن حجم ديوننا قد فاق الحد، وأن أعباءها مما لاتستطيع مصر حمله، وأن حالتنا فى الديون أسوأ بكثير من حال غيرنا ، فكانوا يستكثرون هذا القول ويستعظمونه، ويتهمون قائليه بالمعارضة من أجل المعارضة ، أو بتشويه سمعة مصر... الخ حتى حدثت أزمة الخليج، ورأت الولايات المتحدة ودول الخليج إعفاءنا من بعض الديون، فإذا برئيس الجمهورية يحمد الله على ذلك فى إحدى خطبه، ولكنه يضيف إلى ذلك مامعناه أنه لم يكن ينام الليل من شدة أعباء الديون، ومن حيرته فى البحث عما يفعل، ومامعناه أن أعباء الديون، لو عرفها الناس، لشاب لها الولدان.

هل نفهم من هذا إذن أن الحكومة قد عقدت العزم على أن تخبرنا بالحقيقة كلها فيما يتعلق بالديون، بعد أن تحسنت أحوالها وخف حملها وحصلت على هذه الإعفاءات العظيمة؟ لا أعتقد ذلك. فلازال مايقال عن هذا الاعفاءات بعيدا عن الحقيقة. وقد وقع بعض كتابنا الكبار ،للأسف ، فى الفخ وظنوا أن ماحصلت عليه مصر من إعفاءات من شأنه تحسين صورة الاقتصاد المصرى تحسينا كبيرا ، وأنه يمثل بداية مرحلة جديدة من التطور الاقتصادى تختلف عما سبقها. ووقفت الحكومة من الأمر موقفا هو كالعادة غير لائق. فهى تريد الشئ ونقيضه تريد أن يظن الناس أننا مقبلون على عهد من الرخاء والنعيم، ولاتريدهم أن يظنوا ذلك. ذلك أن الناس إذا ظنوا أن الإعفاءات ستجلب الرخاء والنعيم قل سخطهم وصبروا على الحكومة، ولكنهم اذا اعتقدوا ذلك حقا كان من الصعب على الحكومة أن تتخذ من الإجراءات ما تعتزم اتخاذه تلبية لمطالب صندوق النقد الدولى، من رفع الاسعار وتسريح أعداد من الموظفين وتخفيض الانفاق على التعليم والصحة .. الخ لهذا كان أنسب شئ يمكن للحكومة أن تقوله هو أن إعفاء مصر من الديون هو شئ عظيم حقا وممتاز للغاية وسيخفض أعباءنا بشدة– ومن ثم علينا أن نشعر بالامتنان الشديد للدول التى أعفتنا من هذه الديون، وكذلك للحكومة التى استطاعت لسياستها العاقلة أن تحصل على هذه الإعفاءات، وعلينا أن نتفاءل خيرا بالمستقبل ونكف عن السخط والانتقاد ، ولكن على الناس، من ناحية أخرى، ألا يظنوا أن هذا الخير العميم الذى سيحل سوف يأتى بين يوم وليلة، أو أن معناه انخفاض الأسعار أو ارتفاع الدخول أو تخفيض البطالة.. الخ ذلك أن هذا كله لن يتحقق إلا بمزيد من العمل والانتاج، ومزيد من الخطط الخمسية وأهم من كل ذلك ، مزيد من الصبر.

فما هى الحقيقة وسط هذا كله؟

الحقيقة فى رأيى ، أن الجزء الذى أعفينا منه هو كبير حقا ، ونسبته إلى إجمالى الديون لايستهان بها ، ولكن أعباء خدمة ديون مصر، وأقصد بالذات حجم الفوائد، التى كان ولايزال على مصر أن تدفعها ، هو من الضخامة بحيث لايمكن أن يحدث هذا التخفيض أى أثر يحس به المواطن العادى فى حياته اليومية، بل إن حجم هذه الفوائد كان ولايزال من الضخامة بحيث أن مصر كانت عاجزة طوال الخمس سنوات الماضية عن الوفاء به، ومن ثم فإن المتاخرات أخذت فى التراكم. كما أن مصر، رغم ماحصلت عليه من إعفاءات، لازال عليها من عبء الفوائد مالاتستطيع الوفاء به، ومن ثم فإنه مالم تتغير السياسة الاقتصادية تغيرا جذريا ، ستظل المتأخرات تتراكم عاما بعد عام على الرغم من هذه الإعفاءات.

سوف يتبين القارئ صحة هذا من مطالعة أرقام الجدول الآتى التى أخذتها من تقرير غير منشور أعدته هيئة دولية لتوزعه توزيعا محدوداً. وألفت نظر القارئ على الأخص إلى الأرقام المتعلقة بالفوائد فهى نادرا ماترد بهذا الوضوح فى البيانات المنشورة.



بنك



تحيا حكومة الحزب الوطنى .. تحيا حكوم
تحيا حكومة الحزب الوطنى
الموافقة على قانون سرية الحسابات
الموا قا سريا الحسابات
؟!

ديون مصر الخارجية وفوائدها وميزان العمليات الجارية
(بالألف مليون دولار)

	٨٦/٨٥	٨٧/٨٦	٨٨/٨٧	١٩٨٩/٨٨
ديون الحكومة أو ديون تضمنها الحكومة(متوسطة وطويلة الأجل- بما فى ذلك الديون العسكرية)	٣٠ر٢	٣٢ر٧	٣٦ر٠	٣٨ر٦
ديون قصيرة الأجل	٤ر٩	٤ر٤	٤ر٣	٤ر٣
ديون القطاع الخاص	٢ر٧	٢ر٧	٢ر٨	٢ر٨
إجمالى ديون مصر الخارجية	٣٧ر٨	٣٩ر٨	٤٣ر١	٤٥ر٧
إجمالى الفوائد الواجبة الأداء	٢ر٤	٢ر٤	٢ر٩	٣ر٤
إجمالى الفوائد المدفوعة بالفعل	١ر٤	١ر١	٠ر٨	١ر٠
فوائد غير مدفوعة تضاف الى المتاخرات	١ر٠	١ر٣	١ر٢	٢ر٤
إجمالى الصادرات السلعية	٣ر٤	٢ر٧	٣ر٢	٢ر٧
إجمالى الواردات السلعية	٩ر٥	٧ر٩	٩ر٨	١٠ر١
عجز الميزان التجارى	٦ر١	٥ر٢	٦ر٦	٧ر٤
عجز ميزان العلمليات الجارية	٢ر٥	٠ر٤	٠ر٣	٠ر٥
عجز ميزان العمليات الجارية بما فى ذلك الفوائد غير المدفوعة	٣ر٥	١ر٧	٢ر٤	٢ر٩

إذ يتبين من هذه الأرقام أنه، منذ منتصف الثمانينيات، كان على مصر أن تدفع كسداد للفوائد على ديونها، مبلغا يتراوح بين ٢ر٤ بليون و ٣ر٤ بليون دولار سنويا، وأنها عجزت عن ذلك بالطبع، بالنظر إلى أن كل صادراتها السلعية(من بترول إلى قطن إلى موالح إلى منسوجات.. الخ) لم تكن تجلب ،فى أفضل السنوات، أكثر من هذا المبلغ. كان أقصى ما استطاعت مصر دفعه من فوائد ، خلال هذه الفترة ، هو مبلغ يتراوح من ٨٠٠ مليون و١ر٤ بليون دولار، ومن ثم كان يتراكم عليها متاخرات كل سنة، هى قيمة الفوائد الواجبة الأداء وغير المدفوعة، تتراوح بين بليون دولار فى ١٩٨٦/٨٥، و ٢ر٤ بليون فى ٨٩/٨٨.

نلاحظ أيضا أن الرقم المذكور فى الجدول الإجمالى لديون مصر الخارجية، مدنية وعسكرية، قصيرة أو متوسطة أو طويلة الأجل، وسواء كان المدين هو الحكومة أو القطاع العام أو القطاع الخاص، هو ٤٥ر٧ بليون دولار فى ٨٩/٨٨ (أو بالدقة فى ٣٠ يونية ١٩٨٩). وهو رقم كثيرا مايذكر فى البيانات الرسمية، ولكننا كثيرا مانجد فى وثائق أخرى، لاتقل أهميته واستحقاقا للثقة، مبلغا يتجاوز ذلك ويصل أحيانا إلى ٥٥ بليون دولار فى نفس التاريخ. وتفسير ذلك على الأرجح هو أن مبلغ ٤٥ر٧ بليون دولار لايشمل ماتراكم من متأخرات الفوائد ، أى المستحقة على مصر ولم تدفع، وهى تقدر بنحو عشرة بلايين دولار فى ١٩٨٩، فإذا أضفنا هذا المبلغ وصلنا إلى مبلغ ٥٥ر٧ بليون دولار وهو على الأرجح إجمالى ما كانت مصر مدينة به فى ٣٠ يونية ١٩٨٩.

فلننظر الآن إلى الإعفاءات التى حصلت عليها مصر مؤخرا وأثرها فى التخفيف من عبء الديون والفوائد. فالذى يفهم من التصريحات الرسمية هو أن الولايات المتحدة قد أعفت مصر من ٧ر٨ بليون دولار من ديونها العسكرية ، وأن دول الخليج أعفت مصر من مبلغ أقل قليلا من ذلك (٦ر٦ بليون دولار) أى أن مجموع ما أعفت منه مصر يبلغ نحو ١٤ر٤ بليون دولار وهو مايساوى نحو ٣١٪ من مجموع ديون مصر الخارجية. وهذا هو ما أعلنه وزير التعاون الدولى فى حينه ، الذى أضاف

حسنى مبارك



قائلا إن هذا من شأنه أن يعفى مصر أيضا من دفع مبلغ من الفوائد يقرب من بليون دولار سنويا.

نريد أولا نلاحظ أن نسبة الإعفاءات المذكورة (٣١٪) محسوبة على أساس أن الدين الإجمالى هو ٤٥ر٧ بليون، فاذا حسبناها على أساس أن إجمالى الدين هو ٥٥ر٧ بليون، كما ذكرنا حالا، تنخفض نسبة الاعفاء إلى ٢٥٪.

ولكن ليس هذا هو المهم. بل المهم هو أن أننا إذا افترضنا أن إعفاءنا من هذه المبالغ سيعفينا من فوائد قدرها نحو بليون دولار سنويا، فإننا لن نستطيع ، على الرغم من ذلك دفع كل الفوائد المتبقية والواجبة الدفع. فكما يتضح من الجدول، كان مبلغ الفوائد الذى عجزنا عن دفعه وأضيف إلى المتاخرات هو : ١ر٣ بليون فى ٨٧/٨٦، ١ر٢ بليون فى ٨٨/٨٧، ٢ر٤ بليون فى ٨٩/٨٨. ومعنى هذا أننا إذا استمرت حالتنا الاقتصادية دون تغير ملموس، فإننا سنظل عاجزين عن تسديد كل ماعلينا من فوائد حتى مع إعفائنا من بليون دولار سنويا.

وأصارح القارئ بأننى لا أجد غرابة فى ذلك ،فليس مما عرف عن الدائنين، إذا كان لهم مصلحة محققة فى أن يظل المدين تحت رحمتهم لأسباب اقتصادية وسياسية وعسكرية مختلفة، أن يتنازلوا عن ديونهم لدرجة تطلق المدين من عقاله ويفقد الدائنين سيطرتهم عليه. إن الولايات المتحدة لايزال أمامها الكثير مما تريد من مصر أن تفعله فلابد أن يبقى على مصر من الديون ماتسطيع الولايات المتحدة استخدامه فى الضغط. أما دول الخليج فهى للأسف لاتلغى ديونا إلا إذا رأت الولايات المتحدة تفعل ذلك، كما أنها لم تكن تقَدم لنا قروضا إلا إذا رأت الولايات المتحدة تفعل نفس الشئ.

إن أى إعفاء من الديون، مهما كان صغيرا، هو بالطبع أفضل من عدمه، ولكنه من المفيد أن نعرف أن الإعفاء من الديون دائما له ثمن بعضه دفع مقدما ، وبعضه يدفع الآن، وبعضه سيدفع فيما بعد، كما أن من المفيد أن نعرف أن الاقتصاد لايبنى لابالاستدانة ولا بالإعفاء من الديون، وإنما بوسائل مختلفة تماما.

اليسار يسأل نواب التقدم عن:

الطوارئ.. التعذيب.. الألف يوم وتحالف البيروقراطية والأمن القومي!

نواب الوطني يوافقون على الاتفاقية المصرية الليبية على مضض!...

كان من المقرر أن نستهل هذه المعالجة الصحفية لدور المعارضة التقدمية، فى البرلمان الحالى، بإعادة التذكير بما كتبه الأستاذ «عبد الغفار شكر» فى العدد العاشر من «اليسار» عن دور المعارضة فى المجلس الجديد، والأيام الصعبة التى تنتظرهم من جراء ظروف مختلفة يبرز فى مقدمتها تهيئة المسرح لتطبيق اتفاقات صندوق النقد الرامية إلى نفى الحيوية الوطنية إلى «الأبد» من البلاد بتهميش قطاعات الإنتاج والمنتجين. إلى جانب تنامى ظاهرة العنف والعنف المضاد فى المجتمع، وتطورات الخليج التى حدت «بنا» إلى العمل تحت قيادة الولايات المتحدة وطبقا لأهدافها ضد دولة عربية هى «العراق».

ولم تكن الحرب قد اندلعت بعد.. غير أن اشتعالها يفاقم مايناط بالمعارضة اليسارية القيام به. فى عالم يرقص فيه بعضهم بالقاهرة فرحا، لضرب بغداد..

فما حجم التأثير الذى يمكن أن تحدثه المعارضة التقدمية باستخدام الأدوات البرلمانية المعروفة؟

وقبلا هل ستؤثر بالفعل أم يتحول البرلمان بالنسبة لها فى مواجهة الأغلبية الكثيفة للحزب الحاكم، إلى مجرد منبر إضافى لإبداء الرأى؟

ما الذى يمكن عمله، وبأية أولويات، فى مواجهة سيل التشريعات القادم لتقنين طلبات صندوق النقد المتزينة بـ «الألف يوم» المصرية! وكذا فى مواجهة قانون الطوارىء المزمع تجديده فى ابريل أو إحلال قانون إرهاب بذات الكسم والرسم محله من باب التجديد؟

المحرر البرلمانى

وهل يمكن القيام بمبادرة جسورة لوقف التعذيب كتقصى حقائق العمل داخل جهاز المباحث الرهيب مثلا؟

ثم ماذا بعد موجة التسخيف المتبادل بين المعارضة المقاطعة والمعارضة التى دخلت الانتخابات، ونجحت بزخم تأييد جماهيرى مبشر.. هل يمكن إحياء صيغة جديدة للعمل المشترك ولو فى القضايا الديموقراطية.. على غرار ميثاق فبراير ١٩٨٧ واتفاقات مارس ١٩٩٠؟.

وأخيرا ماذا عن إمكانية بث روح التحدى لمجابهة مخاطر المستقبل بدلا من الاكتفاء بمواجهتها بأساليب البيروقراطية والأمن القومى؟!

هذه هى الاسئلة- ببعض زوائد ستترد- وها هى إجابة النواب التقدميين..

غياب المجلس

حتى يوم السبت التالى لاشتعال المعارك فى الخليج لم يتخذ مجلس الشعب المصرى أية خطوة لمواجهة الأزمة، ولو بالدعوة إلى عقد إجتماع طارىء.. واكتفت الحكومة بتوجيه بيان إلى لجان مجلس العائلة المصرية (الشورى) ألقاه «د. عصمت عبد المجيد» وقد ذكر أعضاء تقدميون أن ممثلى الحكومة والحزب الحاكم ذكروا من قبل أن مجلس الشعب لن يشارك فى الأزمة إلا إذا أزمعت مصر إعلان الحرب ضد العراق. وتساءل الأعضاء أليس مايجرى الآن هو إعلان للحرب؟ ولماذا لايلجأ الرئيس إلى المجلس لإبلاغه والحصول على موافقته طبقا للدستور؟ وعموما هناك اتفاق على ضرورة المبادرات الشعبية لوقف التدهور فى هذه الأزمة.

ويذكروا ثانيا: أن الاعضاء التقدميين حددوا مواقفهم فى البرلمان ضد الحرب وضد التدخل الأمريكى ومع الحل العربى السلمى.

أما فيما يتعلق بباقى الاسئلة. فيرى النائب «أحمد طه» أن التغير الكيفى الذى طرأ على تركيبة المعارضة الحالية، ويميزها عن المعارضة اليمينية السابقة يعد فرصة تاريخية «لتقديم نموذج للمعارضة المقاتلة والمنظمة. وعلى الرغم من تردد بعض المستقلين كمحمد خليل حافظ ووهدان وكمال خالد، وأحمد رشدى، فى الانضمام إلى تكتل الـ ٣٤ المعارضة، واعتزام مستقل كفتحى فضل الالتحاق بالوطنى، وهو المنتمى قبلا إلى جناح شكرى فى حزب العمل.. وعلى الرغم من تباين الاتجاهات فى التكتل ذاته فإن إمكانية التأثير الإيجابى.. والتأثير بالسلب- الاعتراض- كبيرة.

وستتحدد المواقف أكثر بعد تشغيل الآليات البرلمانية- الاستجوابات وطلبات الإحاطة والأسئلة.. الخ إثر إلقاء الحكومة لبيانها كما ستبرز نقاط التمايز فى الموقف الاجتماعى فيما بين أطراف قوى التكتل.

هناك اجماع على هذا الرأى، وثمة ظلال «فمختار جمعه» مثلا يشير إلى تململ الأغلبية من الاتفاقات المصرية الليبية، وهى لصالح مصر بشكل واضح، غير أن هناك من يرى فيها دعما للشمولية واتجاهات «التخطيط» والمركزة فى مصر ولو لأنها محولة من الرئاسة لرفضوها وحول نفس الاتفاقات يقول الأستاذ ضياء الدين داود أنها كشفت أن الاتجاه الغالب فى المجلس مبشر وأن أكثر الأعضاء هم من نبت ثورة ٢٣ يوليو، واتجاهاتها السياسية والقومية والاجتماعية. ويضيف وكثير من الاعضاء هم من ابناء منظمة الشباب ومراكز التثقيف السياسى اليوليوية ومنظمات الاتحاد الاشتراكى المختلفة والمتأثرين بأفكارهم.

وعن تمديد الطوارىء قال ضياء الدين داود: كأنما يبدو أن الله لايريدها أن ترفع! إذ عند كل تجديد تحدث مصيبة تدعم استمرارها،

وأنا شخصيا ضد قانون للإرهاب على طول الخط، لأن الطوارىء هى، ولو بالشكل، مرتبطة بالظروف وتزول بزوالها. أما قانون للارهاب فسيقنن ذلك بشكل ثابت ومستمر. ونحن نعانى مثلا من نقل ارتباط محاكم أمن الدولة الأحكام العرفية، إلى إجراء ثابت ومستمر. ويشغلنى حقيقة ضرورة إعداد تشريع يلغى السلطات المطلقة تقريبا للنيابة فى قضايا أمن الدولة (طوارىء) وفى نيتى أيضا الاعتراض على تحول وزارة الداخلية أداة لتعويض عجز الوزارات الأخرى- كالزراعة والتموين- وهو الأمر الذى ظهر فى فترة سابقة بالذات، بتوسيع الاعتقالات إلى مجال قضايا عدم توريد المحاصيل والتسعيرة، وليس هناك ضمانة لعدم تكرار هذا.

أنا «إتقرصت»

أما «محمد مصطفى» نائب حلوان، وابن الحديد والصلب، فيقول عن الطوارىء وبلغة تجمع وعى العامل ببساطة الفلاح: «كلنا معارضين الطوارىء أو قانون للارهاب.. اتقرصنا من هذه الاشياء.. وأنا نفسى اتبهدلت فى اعتقالى اثناء أحداث الحديد والصلب.. وعارف إزاى يتم التوسع فى استخدام الطوارىء لدرجة أن لو واحد شتم ظابط مثلا لأى سبب «يروح فى ابو نلكه».. والتظلمات غير مجدية. أنا شفت ناس فى المعتقل بقالها سنتين. وناس تغيب شهور محدش عارف مكانها.. وعلى فكره معتقل (بدقن) كان معى أرسل لى يستحلفنى بالله أن تكون هذه القضية شغلى الشاغل.

-ويرى مختار جمعه «الحافظ الأمين لقيم السماحة والطيبة النوبية أنه ضد الطوارىء بكل صورها وأن القوانين العادية فيها الكفاية حتى لمجابهة الإرهاب. بل بالعكس فإن زوال الطوارىء كما يرى سيحفز الشعب على المشاركة فى صيانة الأمن القومى والسلام الاجتماعى بنفسه.

ويضيف: إن الطوارىء لم تمنع من قيام عمليات إرهابية حتى ضد رئيس مجلس الشعب (د. رفعت المحجوب).

-أما البدري فرغلى، عامل الشحن، وصاحب الطريقة الخاصة جدا فى الممارسة السياسية والحياتية فيرى أن الطوارئ شلت العقل المصرى وأنه حرام أن نعيش «مليون» سنة طوارئ. ويرى أن على كتلة المعارضة أن تبلور من خلال علاقتها بالجماهير مشروع قانون لمكافحة الإرهاب، يستجيب للمصالح الديمقراطية وحقوق الأنسان فى الحرية والحياة الآمنة، كما يستجيب لتعقد الأوضاع فى



احمد طه- نائب الساحل

العصر الحديث.. ويشدد على أن هذا هو السبيل الوحيد لمواجهة اية مفاجآت حكومية غير سارة فى مسألة الطوارئ.

من جهة أخرى يشير أحمد طه النائب اليساري (الساحل) إلى أهمية عدم الكسل فى مسألة اقتراح حلول بديلة للطوارئ.. لأن مجرد الرفض المطلق لن يزحزح الموقف الرسمى المستسهل للتجديد الآلى للطوارئ، كما إن الرفض لايعكس الحرص الواجب على ضرورة مواجهة ظاهرة الإرهاب المحسوسة.

المباحث... المباحث

وحول تشكيل لجنة تقصى حقائق لمتابعة أعمال مباحث أمن الدولة ومواجهة جريمة التعذيب البشعة... أو أى مقترح آخر، يرى «أحمد طه» أن الأمر وارد بشكل تجريدى أما عمليا فطبيعة «المنظمة» التى نعمل فيها، وتوازنات القوى، ودرجة النضوج السياسى العام قد تحول دون ذلك.

اما «محمد مصطفى» فيقول: «الموضوع فى الحسبان إن شاء الله... البلد مش حتتقدم طول مالاظوغلى شغال بطريقة التكبيل والتعذيب وعصب العينين وكراهية البشرية، البشعة، التى يتشربها الضباط فى هذا الجهاز»

-ويقول «مختار جمعه» أن نضوج الوضع لاتخاذ اجراء كهذا لن يتأتى الا بعد الانخراط الكامل لجيل مابعد ١٩٧٠ فى العملية السياسية.. وعلينا فى هذا الصدد الاصرار على تقنين الضمانات المعروفة للممارسة الانتخابية والديمقراطية (تقنين الضمانات من المسائل المتفق عليها فى التكتل بما يتبعها من ضرورة اعادة تغيير القوانين المرتبطة بذلك) وهو نفس رأى «البدري فرغلى» الذى يؤكد أنه لن يتوانى عن استخدام حقه الدستورى اذا ما رأى مايثبت وقوع التعذيب على مواطن.

-ويقترح الاستاذ ضياء الدين داود العمل بنظام قاضى التنفيذ الجنائى المقيم فى السجن، مثل الغرب، للاستماع إلى شكاوى المساجين والبت فيها ويذكر أن مأمور السجن الذى كان «مانسون» زعيم «الهيبز» مودعا فيه، بلغته أخبار أن مخدرات تصل لـ«مانسون» داخل السجن وأنه يخفيها فى مكان حساس ففتشه وعثر عليها بالفعل فما كان من مانسون الا أن شكا للقاضى، الذى اعتبر التفتيش إهداراً لكرامة الانسان، فعاقب المأمور بالحبس.

التآكل والتنسيق

ويتفق الجميع على أهمية التنسيق بين كل القوى السياسية داخل و خارج البرلمان، خاصة فى المرحلة القادمة، مع ضرورة تجاوز «ندوب» الخلاف حول المقاطعة وحول الموقف من حرب الخليج. وفى «الظلال» الإضافية يلاحظ «احمد طه» أن التناقضات تنامت فى جبهة المعارضة منذ ٧٤ وهناك ميل متزايد لتغليب الثانوى على الرئيسى فى التناقضات، إلى حد أن الاحزاب نفسها الآن تتآكل، بعد أن كان التآكل يصيب الجبهات من قبل فحسب. ويشير إلى أن المنظمات المختلفة، سياسية وجماهيرية، فى العالم كله، على العموم فى مرحلة تحول وتيه صعبة ويطالب الاستاذ «ضياء» القوى التى تعجلت وقاطعت الانتخابات وأدانت داخليها أن تبدى استعدادها للتعاون والتنسيق ، فالتعاون من مصلحة الجميع... البلد والأحزاب.

قوانين الألف «هرا»

ومن قضايا الديمقراطية التى يبدو أن فيها بعض ظلال تباينات خفيفة بين القوى التقدمية، على عكس اليمين الذى يبدو موحدا فى هذه القضايا ننتقل إلى القضايا الاجتماعية التى يتوحد حولها اليسار.. بينما يذهب فيها اليمين مذاهب شتى (أيضا بصرف النظر عن مصداقية خطابه فى هذه القضايا).

عن الألف يوم والصندوق وبيع ق.ع وتصفية حقوق العمال والفلاحين يقول.. مختار جمعة رأيت «بعنيا دول» إن القوى التى تريد تصفية اللى فات، شديدة ومتحفزة.. وسوف تتغير كل التحالفات السياسية المصرية عند طرح هذه القضايا على مجلس الشعب. ففى القضايا الاجتماعية

مفيش «ياامه ارحميني»، ولن يكفي أن نرفع في مواجهة اليمين بالمجلس، الدستور، بنصوصه التي تؤكد أننا مجتمع اشتراكي ديمقراطي، يقود التنمية فيه القطاع العام. ولن تكفي حتى الأدوات البرلمانية لقيام المعارضة التقدمية بالتأثير في هذا المجال. وهذا يطرح الأهمية البالغة للتنسيق مع الشارع الذي نعبر عن مصالحه، والأهمية البالغة «للأهالي» اليومية... بغية تحقيق التواصل بين نوابنا وجمهورهم، ومقاومة محاولات عزلنا عن طريق تشويهات الإعلام الرسمي...

ويضيف عم مختار: إن القضايا الاجتماعية ستبين للناس أيضا الفارق بين المعارضة اليسارية الحالية، وبين المعارضة اليمينية الوفدية والدينية السابقة، إننا على الأقل إذا لم نجر الحكومة للامام- وكانت المعارضة اليمينية تشدها للخلف- سنوقف التدهور.

-أما «احمد طه» فيشير إلى تجربتين سابقتين للتأثير ليوضح الامكانيات المتاحة، فيقول لقد قاتلت ٦ سنوات إلى أن أقر قانون تكريم النقابيين ماديا ومعنويا في أول مايو، كما يقول أنه اقترح إضافة فرصة ضريبة على الحدائق المثمرة أثناء مناقشة قانون الضرائب... ودارت مناقشة حادة بينه وبين كمال الشاذلي وناصف طاحون.. ورفض المجلس الاقتراح. غير أن رئيس الجمهورية، ولأول مرة في تاريخ البرلمان المصري، أعاد القانون للمجلس وتم الأخذ باقتراحي.

وعن إمكانية التأثير بالسلب قال احمد طه إنني كنت قد اعترضت على إلغاء معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية، وتم الموافقة على الالغاء بالأغلبية. بينما كان إقرار الموافقة



البدري فرغلي
عضو الامانة العامة لحزب التجمع
نائب بورسعيد

عليها من قبل بالإجماع. هذا تطور.

ويخلص احمد طه إلى القول: إننا الآن نتحسس الأرض، وقد انتهينا للحصول على مقر للكتلة، والموافقة على أن يكون الاستاذ ضياء المتحدث باسمها صحفيا، مع أمانة من ٤ من بينهم أنا وممثلين للوفد والأحرار والمستقلين وندرك أن أمامنا في القضايا الاجتماعية والقضايا التي تمس مصالح الكادحين تحديات بالغة الصعوبة غير أن التأثير ممكن ولو في الحد من المخاطر المحدقة.

ويتساءل الأستاذ ضياء: أي «الف يوم» يقصدون.. وأي تحرير ولمن؟ لابد أن تقدم لنا الحكومة أولا البيانات والإيضاحات اللازمة، وتوضح العقبات التي تعترض عملية التنمية الاقتصادية، ونواحي الفشل فيها وأسبابها، لنقول ماالذي يمكن عمله. ويتعجب: إننا لن ننشأ دولة جديدة حتى يتركونا نبدأ من فراغ هكذا، خدمة للسيد «تحرير»

ويشير الى أنه لم يحدث تنسيق حتى الآن بين القوى التقدمية لمواجهة هذه القضايا.. كما يلمح إلى أن إمكانات الاستفادة من القوى المتأثرة بثورة يوليو في الحزب الوطني لابأس بها وأخيرا يقول: إذا كانت الحكومة قد عجزت عن وضع تصور لتنفيذ ورقة الرئيس حول الألف يوم فيجب أن نطالب بازاحتها لتحل محلها حكومة قادرة على المناقشة والتنفيذ.

ويؤكد «محمد مصطفى» إن في لجنة القوى العاملة بعض النقابيين البارزين الذين يمكنهم التصدي بقوة لاتجاهات تصفية القطاع العام وتحطيم الحقوق العمالية المكتسبة، وسيواجهون ذلك على الأقل من باب الخوف من العمال قبل الاقتناع. وتساءل: هل القطاع العام هو عراق أخرى يراد تصفيتها، والشماتة في خرابها كما فعل ويفعل الطفيليون في مصر؟ ويواصل: عن نفسي إذا فشلنا في هذه القضايا بالذات سأستقيل احتراما لنفسي... إن ما رأيته من استمرار نهج الاغلبية الميكانيكية في الحزب الوطني، التي تعمل بعصا المايسترو- الشاذلي- نعم يثير المخاوف من إمكان تحقيق عمل ايجابي كبير»

ويقول محمد إن همه الكبير حاليا هو قضية تلوث البيئة خاصة في دائرته، وقد طالب في لجنة الصحة بإعدام من يلوث البيئة عمدا مع توفر إمكانات تلافي ذلك لديه.

-ويقول البدري إن إعادة صياغة مصر لتحقيق انفراد الرأسمال بالسوق والسلطة تتطلب أن يزيد اليسار من ارتباطه بالجماهير حتى يستطيع مواجهة موجة «إعادة الصياغة». ومن المؤكد كمايرى أن اليسار بشكل عام لن يغير لكنه سيؤثر.. وسيحد من اندفاع قطار «الخصخصة» وسيقاتل لفصل البرلمان عن دائرة النفوذ -الموروثة- من قبل السلطات التنفيذية عليه.

المستقبل ولقمة العيش

يبقى التساؤل عن المستقبل في عالم التحديات الرهيبة واستهداف مصر وعصر مابعد الصناعة. يقول احمد طه: عالم اليوم هو عالم التجريبية، وعدم اليقين، وغياب

مختار جمعه: مهمتنا وقف التدهور

إذا لم نجر الحكومة للإمام.

البدري فرغلي: دورنا التأثير لا التغيير

احمد طه: الدفاع عن لقمة الناس

لايحتاج إلى يقين فلسفي



ضياء الدين داود
عضو أمانة الحزب الناصرى
نائب دمياط

الفكر الرائد الشامل، ولأول مرة وتاريخ البشرية يسبق التقدم التقنى، الفكر، مما ترتب عليه اضطرابات هائلة فى الثقافة والاجتماع الانسانى. من هنا يبدو أننا مضطرون للتعامل مع المشاكل المباشرة التى يبرز «يقينها» بوضوح : فمسألة الاعتداء على حق الناس فى الحياة ولقمة العيش والخدمات «مش محتاجه فلسفة كونيه لنقتنع بعدالتها وانسانيتها»، من وجهة أخرى فإن عدم اليقين ليس معناه الجمود والثبات، وليس معناه النكوص، والملاحظ تفاقم الاستجابات التقليدية الباهتة، إزاء التحديات الضخمة المطروحة على مصر.. كسرقة قناة السويس مثلا وسحب السجادة من تحت ثقلنا البترولى بالهيمنة على منابعه وسوقه وضرب السياحة (وهذه هى الموارد الثلاث الرئيسية للنقد الحر حتى الآن) والسعى لتفكيك البنية الانتاجية واخضاعها لمتطلبات عالم الهيمنة الامريكية. غير أن كل ذلك هو مهمة اليسار بمجموعه والمثقفين والنخبة الشريفة وجموع المهتمين بالوطن والانسانية

-ويتفق البدري، وعم مختار ومحمد مصطفى فى أن النائب التقدمى الذى حملته الجماهير، إلى البرلمان ،يقع بين «مزنقين» هما ضرورة الاهتمام بلقمة عيش الناس الذين يعانون إلى أبعد حد وبين ضرورة التطلع الشامل للمستقبل بتحدياته.. وهو التطلع الذى تحول الدوامة الواقع فيها الجمهور العادى، بينه وبين المشاركة فى هذه العملية، واعتبارها أحيانا «فانتازيا»!

ويرى البدرى ان القوى الاستعمارية تحاول تحويل مصر إلى كم مهمل شأنها شأن سيرلانكا وجزر القمر ونهب مواردها، وأن النقطة الأساسية لكسر هذا المخطط هى إطلاق الحريات فالعبيد لايبنون حضارة ولكنهم فقط عتلة أحجار و من هنا- يؤكد- اهتمام نواب التقدم بقوانين مجلس الشعب والمحليات ومباشرة الحقوق السياسية والطوارئ والحريات. ويضيف عم مختار: الاهتمام بالشباب، وقضايا البيئة وتنمية الحس النقدى بطابع المشروع الاستعمارى الحالى.

أما الاستاذ ضياء فيؤكد أن المستقبل يطرح علينا قبل أى وقت ضرورة الاهتمام بالتخطيط الشامل المبدع، وللأسف يربط الكثير من البرلمانيين والسياسيين بين التخطيط وبين نظام معين يسمونه «الشمولى» كما يفضل هؤلاء دائما النظرة الجزئية، التى تشتت الناس، وتخدم مصالح القلة، بينما يتأكد يوما بعد يوم أن غياب التفكير الشامل حيال أى قضية ، بل والاهتمام بالبعد الكونى فى كل مشكلة سيكون كارثة... وعلى كل علينا كنواب أن نقاتل من أجل قضية حرية تداول السلطة طبقا للأغلبية الحرة. والافلا مستقبل ولايحزنون.

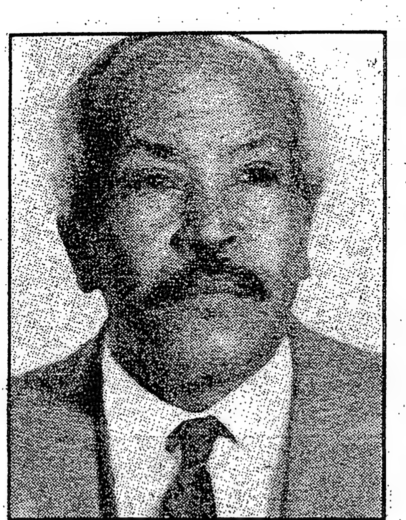


* * *

هذه هى الصورة فى برلمان طرحت الحكومة أول ماطرحت عليه ٦ مشروعات قوانين بشأن حماية الهواء والبيئة وتنظيم العمل بالموانى الجوية وبيع السلع السياحية وتعديل قانون المراجعات التجارية والمدنية وتعديل عقوبات رجال الأعمال وتخصيص رسوم التوثيق

محمد مصطفى-نائب التبين





مختار جمعه
عضو الامانة العامة لحزب التجمع
نائب أسوان

والشهر العقارى وهى مشروعات واضح فيها الميل لخدمة حلف البيروقراطية والرأسمال. مع مراعاة أن مشروعات «الألف يوم» التى نياط بها تحرير الحياة من الفقراء كما تخوف الأستاذ على نجم ذات مرة لم تحول إلى المجلس بعد

الرئيس والدستور.. والوضع الناضج

لأن ثمة اعتقاد لدىّ بأن ديموقراطية الجرعات التى نتهكم عليها دون ان نتفهم بنيتها الداخلية، ستقود الى قيام الحكومة بتعديل الدستور بعد تجديد اختيار الرئيس مبارك رئيسا للمرة الثالثة، فى اتجاه تخليصه من «الشوائب» الاشتراكية . مع إضافة بعض المكاسب الديمقراطية من قبيل تحديد مدة الرئاسة بفترتين وتقليص نسبى لاختصاصات الرئيس سألت عم مختار مالعمل فى مواجهة ذلك: قال إنه سيكون سباقا مع الريح. علينا تعبئة وحشد الرأى العام وانضاج المناخ السياسى حتى لايأتى التعديل الدستورى سلبيا ولصالح اتجاهات خدمة الملكية والرأسمال المحلى والدولى. واتفق الأستاذ ضياء داود مع هذا الرأى وقال إنه يأمل، لوترك الأعضاء لضمائرهم ، ألا توافق أغلبية على صيغ التعديل التى يطرحها اشباه الليبراليين فى بلادنا. واتفق الاثنان على ان الدستور الحالى، بكل نواقصه أفضل من أى تعديل يتم فى ظروف غير مواتية.

بداية عمالية ساخنة لعام ١٩٩١

مظاهرات واعتصامات فى خمس شركات بحلوان والمحلة

حسن بدوى

سيد طه أمين عام نقابة البناء



كمال واصف



شهدت الأيام الأولى لعام ١٩٩١ تحركات عمالية ساخنة فى خمس شركات كبرى بمنطقتى حلوان والمحلة الكبرى، تضم حوالى خمسين ألف عامل.

كان السبب الرئيسى المشترك وراء هذه التحركات التى توالت ما بين الأول والثانى عشر من يناير الماضى، هو تدهور الأجور والقرارات الإدارية أو الوزارية بتخفيض الحوافز والمكافآت السنوية للعمال بينما الإدارة العليا فى بعض هذه المواقع تتمتع بامتيازات ومكافآت خاصة.. بالإضافة إلى التعسف الإدارى تجاه العاملين فى بعض هذه المواقع.

مظاهرة فرح

كانت البداية فى شركة مصر حلوان للغزل والنسيج التى تضم حوالى ١٥ ألف عامل. فى الثانية من صباح أول يناير، وعند دخول الوردية الصباحية وخروج الوردية الليلية، كانت حالة من الفرح والإحساس بالانتصار تسود العاملين، عقب صدور حكم محكمة حلوان ببراءة أحمد حسنين عضو مجلس نقابة العاملين بالشركة، من تهمة السب والقذف، فى الجنحة التى رفعها ضده السيد دهموش رئيس هيئة القطاع العام للغزل والنسيج، والذى صدر فى اليوم السابق، ٣١ ديسمبر وما إن دخل أحمد حسنين من بوابة الشركة مع زملائه عمال الوردية الصباحية، حتى حمله العمال على الأكتاف، واحتشد أكثر من سبعة آلاف عامل فى مدخل الشركة وهم يهتفون بنزاهة القضاء المصرى، وضد دهموش ورئيس الشركة عبد القادر المنياوى، ويطالبون بحلول لمشاكلهم، وفى مقدمتها نقص الحوافز والأجور الأساسية، خاصة لعمال الانتاج فى أقسام الغزل والنسيج والتجهيز.

وبررت الإدارة خفض حوافز العمال بخسائر الشركة التى بلغت هذا العام ٣٠ مليون جنية، بينما صرفت فى نفس الوقت مكافآت للإدارة العليا فقط، يتردد أنها بلغت ١٨ ألف جنية.

وكانت نقابة العاملين بالشركة، وأعضاء مجلس الإدارة المنتخبين، قد أرسلوا مذكرة إلى وزير الصناعة فى أغسطس الماضى، حملوا فيها إدارة الشركة ورئيسها المسئولية عن الخسائر، وحددوا مشكلات الإنتاج وطرق علاجها، وأشاروا فيها إلى قيام رئيس الشركة بتحميل العمال أعباء الخسائر الناتجة عن سوء الإدارة، ومعاملة العمال بطريقة استفزازية، ونقلة العاملين بين أقسام الشركة بطريقة عشوائية تضر بالعملية الإنتاجية.

وفى هذا اليوم أنهى العمال تظاهرهم بعد أن عبروا عن فرحتهم بحكم القضاء لصالح زميلهم النقابى أحمد حسنين، وانصرفوا إلى عملهم.

٢ يناير.. حلوان المحلة

وفى الثانى من يناير.. وفى الثامنة صباحاً أيضاً، فوجىء عمال الورديتين الصباحية والليلية، لحظة الدخول والخروج، برئيس مجلس الإدارة واقفا فى مدخل الشركة يدفع العاملين بطريقة استفزازية، مما أدى إلى انفجار سخطهم.. وبدأ أكثر من خمسة آلاف عامل يهتفون ضده، مطالبين بإقالته من منصبه، مما أدى لهروبه محاطا بأفراد من الشركة إلى مخزن الخام القريب من البوابة.. واتصاله بجهات الأمن.. وعلى الفور حضر لواء من الأمن العام وضباط مباحث أمن الدولة وحشد من المخبرين انتشروا داخل وخارج الشركة، إلا أن العمال المتظاهرين كانوا قد انصرفوا إلى عملهم.

وفى نفس اليوم كان عمال شركة النصر للصباغة والتجهيز بالمحلة الكبرى قد تظاهروا داخل الشركة يومى ٢، ٣ يناير احتجاجا على عدم صرف مكافآت تحقيق الخطة، وتكدس المنتجات بالمخازن نتيجة لسوء الإدارة، وتجاهل رئيس الشركة لمطالب العاملين بتحسين معاملة أطباء الشركة لهم وتوفير العلاج بعيادة المستشفى، وقيامه بنقل العاملين ذوى الخبرة من أقسام التجهيز إلى أقسام النسيج، وعدم توافر قطع الغيار، وطالبوا بإقالة رئيس الشركة ومجلس إدارة لجنتهم النقابية، التى لم تفعل شيئا تجاه كل هذه المطالب..

تجميد نقابى منشق

ولأن مجلس نقابة العاملين بشركة مصر حلوان، يدرك مشاكل العمال والانتاج، ويتبناها، باستثناء عضو واحد.. فقد اجتمع المجلس مساء ٢يناير وقرر تجميد النشاط النقابى لهذا العضو، وانهاء تفرغه النقابى واخطار إدارة الشركة بذلك، وإحالته للتحقيق أمام النقابة العامة، فى التهم التى وجهها إليه مجلس النقابة بمخالفاته للعمل النقابى ومحاولاته المتكررة لشق وحدة المجلس وخروجه الدائم عن إجماع مجلس النقابة، والتى كان يخطر بها النقابة العامة لعمال الغزل والنسيج أولا بأول.

انتصار عمال الأسمنت

وفى يومى ١٢، ١٣ يناير، اعتصم عمال شركات أسمنت بورتلاند حلوان، والقومية للأسمنت، وأسمنت طره، وتظاهروا مطالبين بصرف مكافآت تحقيق الخطة كاملة.

وكانت وزارة الإسكان والتعمير قد قررت خفض مكافآت العاملين بهذه الشركات من ستة شهور إلى ثلاثة. كما قررت صرف شهر فقط أو شهرين مكافآت لعمال شركات النصر للخشب الحبيبى بالمنصورة، وقنا للتكس، والطوب الرملى، والمصرية للجباسات «جبسكو» والعامة للثروة المعدنية.

وفور تظاهر عمال شركات الأسمنت الثلاثة بحلوان واعتصامهم، بدأت مفاوضات بين نقابات العاملين بهذه الشركات وإداراتها من جهة ووزارة الإسكان من جهة أخرى، وانتهت إلى زيادة المكافأة إلى خمسة شهور، وصرف شهر آخر من الحوافز.

يقول كمال واصف نائب رئيس النقابة العامة لعمال البناء، إن الوزارات وجهات الإدارة اعتادت تحميل العمال بأعباء الخسائر التى لا دخل لهم فيها، عن سوء الإدارة، وحتى الشركات التى تحقق المستهدف وتحقق أرباحا كشركات الأسمنت، والتى زاد انتاجها بما ساعد على إيقاف استيراد الأسمنت، فقد فوجىء العاملين بتخفيض مكافآتهم إلى النصف، ولهذا كان رد فعلهم بالتظاهر والاعتصام طبيعيا، خاصة مع انسداد القنوات الشرعية، وتجاهل الوزارات المعنية للتنظيم النقابى للعمال، ورد الفعل العمالى يستمد شرعيته من مشروعية مطالبهم، ومن الإتفاقيات الدولية للحقوق النقابية وحقوق الانسان، والتى وقعتها حكومة مصر وصدق عليها مجلس الشعب، وأصبحت واجبة التطبيق داخليا وتلزم بإزالة كل مايتعارض معها من قوانين داخلية. ومن حكم القضاء العظيم فى قضية اضراب عمال السكة الحديد الذى أكد فى حيثياته على مشروعية حق الإضراب فالإضراب والتظاهر والاعتصام أسلحة ضرورية للعمال تمكنهم من التحكم فى سعر السلعة الوحيدة التى يملكونها وهى عملهم.. فى الوقت الذى يتحكم فيه الرأسماليون وأصحاب الأعمال والحكومة فى أسعار كافة السلع الأخرى.. كما أنه لا اصلاح اقتصادى وديمقراطى بدون إقرار الحكم بهذه الحقوق للعمال والتى لم يتوقف استخدامها طالما هناك تعسف وعدوان على حقوق العمال وأجورهم.

العمال يمولون الدولة

والمكافآت التشجيعية التى تصرف بعد عقد الجمعيات العمومية للشركات لها قواعد تحكمها، كما يقول سيد طه أمين عام النقابة العامة لعمال البناء، فى مقدمتها، تحقيق المستهدف، والربحية، والأداء العام للعاملين، ووفقا لهذه القواعد، كان من المفروض أن يصرف للعاملين بشركات البناء والأخشاب ستة شهور مكافآت. ولهذا كان قرار الوزارة بتخفيض المكافآت مفاجئا للجميع، وكان طبيعيا أن يحدث ما حدث فى شركات الأسمنت بحلوان، والذين تحركوا دفاعا عن حقوقهم دون الإضرار بالانتاج أو بشركاتهم. خاصة مع غياب التعاون بين التنظيم النقابى والإدارات والوزارة الأمر الذى سبق أن طالبت به النقابة العامة أكثر من مرة دون جدوى.. فلم يجد العمال أمامهم إلا التحرك بأنفسهم متجاوزين كل هذه الجهات.

إن عمال هذه الشركات يقومون بواجبهم كاملا فى العملية الانتاجية، بل ويتحملون أعباء مالية نيابة عن الدولة، بسدادهم أقساط الوحدات الجديدة التى من المفترض أن تمولها الدولة فى إطار الخطة الخمسية، وبعض هذه الشركات تسحب على المكشوف من البنوك لسداد أقساط الوحدات الجديدة ودفع الفوائد البنكية وفروق تحويل العملة. ورغم كل هذه الجهود يجرى تخفيض حوافز العمال ومكافآتهم، فى الوقت الذى يعترف فيه الجميع حكاما ومحكومين بهزال الأجور أمام التهاب الأسعار وزيادة نفقات المعيشة..

وبعد..

إن ماحدث فى شركات النسيج والأسمنت بحلوان والمحلة.. سوف يتكرر حتما فى بقية المواقع العمالية.. طالما أن جهات الحكم والإدارة تستسهل العدوان على أجور العمال وحقوقهم المشروعة، بينما تستمتع الأقلية من أصحاب الأعمال بامتيازات وتسهيلات لامثيل لها فى أى بلد فقير ومدين..

وإلى صراع جديد...

عمال النسيج يحتجون على خفض حوافزهم

عمال الأسمنت ينجحون فى مضاعفة مكافآتهم

الجندي أيمن حسن

عضو جديد في كتيبة ضد التطبيع ..

هشام مبارك

لم يكن السادات يعلم أثناء نزوله من سلم الطائرة التي أقلته إلى تل أبيب أنه بهذه «العملة السوداء» قد فتح الباب على مصراعيه لتدشين كتيبة المصريين ضد التطبيع مع اسرائيل. تلك الكتيبة التي بدأت باحتجاج الفلاح المصري البسيط «سعد حلاوة» عقب كامب ديفيد عندما أعتلى إحدى حجرات الوحدة الصحية في قريته حاملا بيده السلاح معلنا بصوته الجهوري في الميكروفون بأن مصر لايمكن أن توقع اتفاقية مع الأعداء الذين استباحوا دماء المصريين والعرب وأراضيهم.

ويأبى عام ١٩٩٠ أن ينتهي دون أن يزف إلينا نبأ انضمام عضو جديد للكتيبة الفتية ولم يكن هذا العضو سوى الجندي «أيمن محمد حسن» من أبناء محافظة الشرقية «التي تفخر الآن بانها قدمت اثنين من أبنائها لهذه الكتيبة هما الجنديين «سليمان خاطر» و«أيمن حسن» ترديهما ويعنف على التاريخ المر التي عاشته في الستينيات.

وفي عام ١٩٦٧ انطلقت طائرات العدو الصهيوني في تشكيل قتالي من مطاراتها في فلسطين المحتلة لضرب هدف حربي!!، لم يكن سوى مدرسة بحر البقر في الشرقية.. وفي لمح البصر تخطف هذه الطائرات أرواح صغار كانوا منذ لحظات قليلة يرتدون زيهم المدرسي ذا اللون الأصفر، ويضمون بحب إلى أحضانهم الصغيرة الكتب، والكراريس استعداداً لدخول الفصول. لكن الطائرات لم تمنحهم الوقت لتلقي الدرس فتساقطت القنابل على الأجساد الصغيرة وتطايرت الأشلاء والضفائر واختلطت الدماء بأوراق الصغار وتحول لون «المرايل» الأصفر إلى اللون الأحمر الداكن... لقد حفرت هذه المشاهد الدموية في ذاكرة أبناء الشرقية الذين عايشوها عن قرب. ولم يستطع السادات وإعلامه وحديثه الممل والمتكرر عن صديقه بيجن .. والتذرع بدعاوي مثل الحاجز النفسي بين مصر واسرائيل أن تمحو هذه المشاهد فالحاجز في حقيقة الأمر بحور من الدماء يطفوا على سطحها جثث المصريين وصغارهم في بحر البقر وأبو زعبل وسيناء وغيرها.

وفي إحدى القرى بمحافظة الشرقية وفي ذات العام الذي شهد أحداث مدرسة بحر البقر أنجبت زوجة الحاج محمد حسن طفلها «أيمن» الذي شب مثل أطفال عديدين على «حكاوي» ذويه وجيرانه عن تلاميذ بحر البقر وطائرات الصهاينة اللعينة، وهناك في مكان منزو بالذاكرة اختزن الطفل أيمن حسن هذه المشاهد الدموية كما صورها له خياله الصغير.

وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٩٠ عندما أطلق الجندي الشاب أيمن حسن رصاص سلاحه الآلي على الاسرائيليين ليلقى (٥) منهم مصرعهم ويصب (٢٣) آخرون كانت مشاهد أطفال بحر البقر تقفز إلى ذهنه وعندما سألت هيئة المحكمة التي تنظر قضية «أيمن» أحد الشهود

* ألم يقرر المتهم- أيمن عن سبب اعتدائه- أجاب الشاهد قائلاً: هو أيمن.. قال إن سليمان خاطر اسمه انكتب الأول وإن اسمه سوف يكتب بعده.

اما أيمن فكانت إجابته عن السبب بسيطة ومعبرة في الوقت ذاته حين قال «فكرت إني أنزل اسرائيل واموّت اعدائي لأنني أكرههم .. أكرههم قوي... اللي بيعملوه في المسجد الاقصى والدنيا كلها»

ويضيف أيمن«انا مكنتش بحب اليهود لانه كان بيتحكيلي عن الحروب التي دارت بيننا وبين اليهود ولان عمي اشترك في حرب ١٩٧٣ وكان يحكي على اللي كانوا بيعملوه..» وكمان «عمي استشهد في حرب ١٩٧٣، وأصيب عمي الثاني». هذه هي خلفية الحادث الذي وقع على الحدود الاسرائيلية في يوم ٢٥ نوفمبر ٩٠ أما كيف وقع هذا الحدث الهام، فالحقيقة يحكيها أيمن نفسه.

إصابة الهدف

يقول أيمن «فكرت في هذه العملية منذ (٤) أيام قبل وقوع الحادث وفي ٢٤ نوفمبر علمت بأنني ساكون خدمة في البرج على الحدود- في وحدته العسكرية- من الساعة العاشرة مساءاً حتى الساعة الثانية من صباح اليوم التالي.

ويدأ أيمن يضع الخطة اللازمة لتنفيذ العملية فجمع (٢٧٥) طلقة ووضعها في (مخلة المهمات) الخاصة به وتوجه إلى مكان خدمته..

وعندما اقتربت عقارب الساعة من السادسة هبط عابرا للحدود توغل في الأراضي الاسرائيلية لمسافة (٣٠٠) متر حتى وصل إلى الطريق الأسفلتي الموازي للحدود وهناك انزوى خلف سور حديدي بجوار الطريق. ولم تمر سوى دقائق قليلة حتى اقتربت عربة منه، عندئذ وضع أصابع يده على الزناد وباقترابها أكثر وعلى مسافة (٥٠) متر أطلق الطلقة الاولى أعقبها بدفعة نيران حتى فرغت الخزنة الأولى كاملة. واستقر عددا من الطلقات في جسد السائق وتوفي على الفور وبفعل قوة الدفع لسرعة السيارة توقفت على مقربة منه.



وبعد أن أيقن بأنه نجح فى القضاء على الهدف، اتخذ وضعه السابق فى انتظار هدف آخر تمثل فى عربة «جيب» يقودها أحد العسكريين الاسرائيليين، وضغط أيمن على الزناد فانطلقت دفعات من النيران أجبرت العربة على التوقف وأسفرت عن وفاة سائقها. عندئذ كان أيمن فى منتصف الطريق بعد أن قفز من مخبئه ليتأكد من وفاة السائق وفى هذه الأثناء اقترب أتوبيس آخر ولم يكن أمامه لا الفرصة أو الوقت للعودة إلى مخبئه خلف السور الحديدى. وبثقة خبأ سلاحه خلف ظهره وأشار للأتوبيس للتوقف ولكن هذه الخدعة من أيمن لم تنطلى على من كان فى الأتوبيس . ومن داخله انطلقت رصاصات تجاه أيمن مرت إحداها بجوار رأسه وأصابته بجرح نازف. أمام سيل الرصاص المنهمر حاول أيمن الإبتعاد عن مرمى النيران وبدأ فى مبادلة من بداخل الأتوبيس إطلاق النيران. وفى ذات الوقت انهمر عليه سيل جديد من الرصاص من جهة ثانية من دورية عسكرية اسرائيلية تمر على الطريق. عندئذ قرر أيمن إنهاء العملية وبدأ فى التراجع بعد أن تبادل إطلاق النيران معهم.

عائد إلى الحدود

وبعد أن نجح أيمن فى العودة إلى الأراضى المصرية مكث فترة فى موقع سكنى تحت الإنشاء. وهناك كتب خطابه الأخير لأسرته جاء فيه: «والدى/ الحاج محمد حسن

أبنك مات شهيداً فى سبيل الوطن والدين وأعرفك اننى أعزكم جدا. ولاتندموا على أيمن فإن الندم لاينفع.. ولاتبكى على أيمن فقد مات شهيداً.

والسلام ختام

ابنكم أيمن حسن

وعلى الرغم من أن أيمن كان يعلم تماما بأنه حى يرزق إلا أنه بدأ خطابه لوالده بعبارة «ابنك مات شهيداً» ويبدو أن ماحدث لسليمان خاطر لم يكن غائبا عن ذهنه. حملت الصحف فى منتصف الشهر الماضى نبأ محاولة الجندى أيمن حسن «الانتحار» وذلك عقب إحدى الجلسات أمام المحكمة العسكرية التى تنظر قضيته، حيث أخفى فى ملابسه «موس حلاقة» وحاول قطع شراينه إلا أن الاطباء استطاعوا إنقاذه!!

وأثار هذا الخبر «المزعج» موجة عارمة من التساؤلات الغاضبة فى الشارع المصرى... فما السر فى محاولات الانتحار التى تعقب مثل هذه العمليات ضد العدو الاسرائيلى؟!

لقد مات «سليمان خاطر» وقيل مات منتحرا عقب المزاعم التى ترددت فى صحف رسمية بأنه مصاب بحالة اكتئاب نفسى ونادم على الافعال التى إرتكبها ثم أذيع انتحاره بشنق نفسه.

وفى ملف التحقيق مع الجندى أيمن حسن وفقا لتقرير أعدته مؤسسة أمنية بناء على طلب المحكمة- فقد فشل فى استكمال دراسته ومنطو على نفسه داخل الوحدة وكان دائم الحديث عن استيائه من والده الذى يعامله معاملة سيئة بسبب فشله فى الدراسة.

ولكن هذه الأوراق نفسها تحمل حقائق تناقض هذا التقرير فقد أجمع الشهود من زملاء أيمن فى رحلته العسكرية بأن سلوكه كان عاديا جدا على حد تعبيرهم ، بل أن قائد رحلته العسكرية أجاب بالنص: «إن سلوك المتهم -أيمن- طبيعى مع زملائه ومنفذ لأوامر قائد المنطقة ومنتظم».

ويقول ضابط آخر كان مسئولا عن إحضار أيمن عقب الحادث إلى مقر النيابة العسكرية: «إن حالة المتهم كانت عادية خالص وخاصة من الناحية النفسية والصحية».

ونضيف من الأوراق وعلى لسان أيمن فى اعترافاته مايؤكد حرصه على الوصول حيا إلى الأراضى المصرية بعد إنهاء عمليته وهو مايعكس اعتزازه بنفسه وبما فعله.

يقول أيمن: أنا احتفظت بمفتاح حجرة السلاح لأن ممكن وانا نازل- إلى اسرائيل- ممكن زمايلى يضربونى فانا قفلت على السلاح والذخيرة.. علشان ماحدش ياخد سلاح ولاذخيرة ويتمكن من إطلاق النار على...

وحتى كتابة هذه السطور مازال «أيمن حسن» حيا فى محبسه ولايمكن السماح بأن يتكرر ماحدث مع «سليمان خاطر» فهل نستطيع أن نوفر الحماية لابن بار من أبناء مصر أم نتركه يلقى نفس المصير.. ثم نعض بنان الندم.

الفرق بين فرص "العمل" وفرص "الاسترزاق"

• حل مشكلة التعطل لايكون بالحروب الخارجية

• دور الدولة في حل المشاكل دور أساسي



في الزيارة الأخيرة لجيمس بيكر وزير الخارجية الامريكية إلى «هيوستن» التقى في ندوة عامة بعدد من الامريكيين الذين سألوه «لماذا ترسلون أبنائنا إلى الخليج؟» أجاب وزير خارجية حكومة الرئيس جورج بوش الجمهورية بكلمة واحدة «JOPS»، أي «فرص عمل» باللغة الإنجليزية.

يعني جيمس بيكر أن الولايات المتحدة الامريكية تحل مشكلة التعطل والبطالة لديها عن طريق دعوة الاحتياطي من شبابها إلى الإنخراط في القوات الأمريكية المتواجدة في الخليج العربي وعلى أرض أقطار النفط الخليجية والمملكة العربية السعودية. وفي ذات الوقت، وبسبب وجود الحملة الأمريكية في الخليج واحتياجها إلى السلاح والزخيرة فإن النشاط الاقتصادي يدب في صناعة السلاح أو مجمع السلاح الامريكي بما يفتح فرص عمل أخرى لعدد آخر من المتعطلين الأمريكيين.

وإذا كانت إدارة الرئيس جورج بوش تعتبر الحملة الأمريكية في الخليج بمثابة فرصة لإيجاد وخلق فرص عمل للشباب الأمريكي فإننا لايمكن اعتبارها كذلك. لأننا لايمكننا الإقرار بأن مثل هذه الفرص لاستيعاب المتعطلين فرص عمل حقيقية يمكن اعتبارها «فرص استرزاق» تتيحها الإدارة الأمريكية لعدد من الشباب بهدف توفير دخول محددة في فترة محددة يعودون بعدها إلى الحالة الأولى التي كانوا عليها وهي حالة التعطل.

ويتسع الفارق بين المعنى الحقيقي «لفرص العمل» والمعنى الحقيقي لفرص الاسترزاق». تعني «فرص العمل» تلك الأماكن الانتاجية التي تتخلق في المجتمع لتتيح التفاعل والتعامل بين الإنسان كمنتج وبين الصناعة أو الزراعة أو الخدمات أو الادارة. وهي أماكن، يسهم فيها الإنسان، بجهده المنظم في تقديم شيء مقابل شيء.. قيمة مضافة في الصناعة، يقدم إنتاج في الزراعة يقدم خدمة من الخدمات أو الإدارة.. وفي مقابل الشيء يحصل على شيء آخر، مرتب أو أجر أو مكافأة..

فرص العمل هي تلك الفرص التي يقدم فيها الإنسان جهدا إنتاجيا ليحصل مقابله على قيمة ما قدمه مترجمة إلى نقود يشبع بها احتياجاته الحياتية.

أما هذه ال «jops» التي ذكرها جيمس بيكر فهي في النهاية «فرص استرزاق» يحصل منها الشاب الأمريكي على أجر شهري تدفعه له أقطار الخليج وخاصة المملكة العربية السعودية مقابل حمايتها من عدوان أشاعوا عنه. وهي فرص ستستمر كلما بقيت الحملة واستمر التوتر وستزول في حل حل قضية استمرار العدوان العراقي على الكويت وإزالة هذا التوتر.

ترتفع نسب البطالة والتعطل في الولايات المتحدة الأمريكية، وصلت إلى أعلى معدلاتها ١٠٪ وكانت تتجه إلى الصعود العددي والنسبي مع عودة ٥٠٠ ألف جندي أمريكي من أوربا بعد الوصول إلى حالة الاسترخاء بين حلفي وارسو والاطلنطي وتراجع المنازعات السياسية في القارة وتباعد عمليات أو فلسفة الردع العسكري في مواجهة أوربا الشرقية.

خلال شهر نوفمبر ١٩٩٠ زاد عدد المتعطلين ٢٦٧ ألف شخص. بدأ تسريح العمال والمهنين في قطاعات الخدمات بعد أن كان التسريح في الصناعة، وبدأت أعداد الذين يعانون من البطالة المقنعة يتنقلون إلى صفوف الذين يعانون من البطالة السافرة. ومع صعود الولايات المتحدة الأمريكية إلى المرتبة الأولى في أعداد الدول صاحبة المديونية تزداد الأزمة الاقتصادية في البلاد. فالقائد الأمريكي للنظام الرأسمالي العالمي محمل بديون وصلت حتى ديسمبر ١٩٩٠ إلى ٣,٣ تريليون دولار.

الخلاصة.. تعاني الولايات المتحدة الأمريكية من عنصري الأزمة- البطالة والمديونية. وفي إطار مفهومها ومنهاجها الرأسمالي والإمبريالي حددت الحل المؤقت لجزء من أزمتها.. ذهبت في اتجاه الخليج حيث ال «JOBS» وأرصدة البترودولار.. والذي يهمنا هنا هو ال «JOBS» بما أحاطته من مفهوم. ذلك لأنه مفهوم لايمكن الأخذ به في مجتمع يعاني من الأزمة الاقتصادية العامة تبرز عناصره في بطالة ومديونية ولكنه مجتمع ينتمي إلى مجموعة بلدان العالم الثالث.

-خلال المعركة الانتخابية البرلمانية لعام ١٩٩٠ خاض حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي المعركة في ٢٨ دائرة إنتخابية. خلال المعركة أدار المرشحون من الحزب المناقشات والحوارات مع الجماهير.. ثم إستمعوا إلى صدى نبض البشر المتواجد في الحضر الفقير والريف البعيد بمشاكله وبواقعه عن أجهزة

الإعلام المصرية الرسمية. كانت البطالة والتعطل فى صفوف الشباب والشابات من أهم ذبذبات هذا الصدى. فى كل حوار، تبرز قضية التعطل كقضية يعانى منها الشباب تشعر الاسر بالقلق منها. بدت مشكلة تعطل الشباب وكأنها كابوس عام وخاص. وتبلورت القضية بشقل أكثر وضوحا بعد أزمة غزو العراق للكويت وعودة أعداد من العاملين المصريين فى البلدين هربا من دمار أو حرب قادمين. شرح وطرح المرشحون من حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى الحل الذى تضمنه برنامج الحزب الإنتخابى للمشكلة وأوضحوا أن الدولة عندما تخلت عن قيادة عملية التنمية الاقتصادية فى البلاد وأسلمتها لما اسمته بالقطاع الاستثمارى والقطاع الخاص، وتخلت فى ذات الوقت عن السير قدما فى تنظيم سوق العمل وتوسيعه وإستيعاب الشباب إليه. كما إنها بعد أن اعتمدت على الآليات غير المنظمة لسوق العمل العربية ثم أحلت عن عمد استثمار عائدها فى تنمية مخططة تتخلى كذلك للمرة الثانية عن سياسة إجتماعية برزت فى العقد الستينى. كانت تواجه أعداد المتعطلين شيئا فشيئا وخطوة خطوة. لم يطرح مرشحوا حزب التجمع التواجد المصرى فى بحر الخليج ومن أجل صد العدوان العراقى عن أقطاره كحل لأزمة البطالة فى مصر لأنهم يعرفون الفرق بين معنى ومفهوم «فرص العمل» ومعنى ومفهوم «فرض الاسترزاق» لقد وضحوا حل المشكلة كما يجب أن يكون وفى مكانه ومدلوله الصحيحين. يعلم اليساريون أن ذهاب ٤٣٠ ألف جندى أمريكى إلى منطقة الخليج وإلحاق أكثر من خمسة وعشرون ألف جندى مصرى بهم لن يحل مشكلة البطالة والتعطل فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية أو جمهورية مصر العربية.. يكمن الحل فى مواجهة القضية الاقتصادية فى كل من البلدين بمنهاج وأسلوب يسمح بتوجيه الاستثمارات نحو المشروعات الانتاجية السلعية الصناعية والزراعية فى الأساس لخلق فرص عمل دائمة تعود بالنفع على الإنسان والخير على الوطن.

ولن يكون حل الأزمات الاقتصادية الشاملة للبلدان سواء إتخذت شكل التعطل أو ارتفاع المديونية أو الكساد أو التضخم عن طريق غزو الاقطار ونهب خيراتها كما فعل النظام العراقى أو عن طريق تصعيد التوتر العالمى والتهديد بآلة الحرب والدمار كما فعل الأمريكيون أو عن طريق الانصياع لرغبات النظم الملكية المتخلفة والفاسدة بالبنود فى مواجهة عسكرية ساخنة كما فعلت الحكومة المصرية، يكمن حل المشكلة فى تصفية الأجواء من التهديدات العسكرية وتوجيه كافة الاستثمارات إلى الانتاج السلمى السلمى.

ثم، وفى إطار الحوارات التى جرت بين مرشحى حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى وبين الجماهير فى الدوائر الانتخابية حول قضايا البطالة والتعطل تأكدت كافة الإتجاهات التى نادى بها اليساريون فيما يتعلق بهذه المشكلة.. ومن أهمها وفى مقدمتها أن الدولة لابد وأن تعيد الزمام إلى إراداتها ويديها وعليها أن تقود بذاتها التنمية الاقتصادية فى البلاد.. ليس فقط لمواجهة التعطل والبطالة من خلال توجيه الإستثمارات إلى المشروعات السلعية وإنما لتوزيعها لامركزيا على أنحاء البلاد..

فالإستثمارات العربية والأجنبية والمصرية لاتملك إلى الآن الرغبة فى الخوض إلى الأقاليم الريفية وإنما نتيجة أكثر حيث توجد البنية التحتية كما تنجه إلى مواقع الحضر. لقد تكشف إن كافة المشروعات العملاقة المبنية والمقامة على أساس كثافة العمل أو كثافة رأس المال والتى تواجدت وأنشأت فى الريف كانت ولاتزال من تخطيط وتنفيذ الدولة ولم تكن من تخطيط وتنفيذ الاستثمارات المصرية الفردية والعربية أو الاجنبية. ولنقدم أمثلة نسجل.. مجمع الألومنيوم، مشاريع مصانع السكر، وحدات الغزل والنسيج وحدات الكيماويات.. كلها وحدات مقامة لامركزيا.. لذلك إمتصت اليد العاملة التى احتاجتها فيها من المحيط الملاصق لها ثم أحداث تطورا فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيه.

لقد أصبح مجمع الألومنيوم خلية إشعاع حضارى فى مركز نجع حمادى المتخلف والذى كان مأوى للصوص وقطاع الطرق ونقل المركز الفقير إلى مرحلة أرقى اقتصاديا واجتماعيا لانه يصب سنويا ٣٦ مليون جنيه وهى ماتشكل أجور العاملين فى هذا المركز.

وإذا ما عدنا بعض الشىء إلى الوراء وتذكرنا ما كانت عليه كفر الدوار منذ خمسين عاما ثم عقدنا مقارنة بين ما كانت عليه وبين ماوصلت إليه الآن لعرفنا تأثير الصناعة الاقتصادى والاجتماعى على المجتمع الزراعى المتخلف.. لقد أصبحت القرية مركزا يضاهى عاصمة المحافظة دمنهور.. فى نشاطه الاقتصادى وحركته الاجتماعية.

لم يتطور المركزان من فراغ.. حدث تطورهما كنتيجة مباشرة لتوجيه الاستثمارات إليهما.. فزاد الدخل القومى والتحق البشر بالعمل. وتطورت الحياة..

وعندما نسعى إلى تطوير الحياة.. لا لايمكن تطويرها من خلال آلة الحرب او العدوان.. ولكن من خلال السلم والاستثمار والعمل



قراءة فى برنامجى التجمع والحزب الشيوعى المصرى:

موقف حاسم للحزب الشيوعى من الرأسمال الأجنبى

والتبعية لأمريكا

محمود أمين العالم

فى العدد ماقبل الأخير من «اليسار» قدم الاستاذ «محمد شرمان» دراسة تحليلية مقارنة لبرنامجى التجمع والحزب الشيوعى المصرى فى الانتخابات الأخيرة. ثم تلاه الاستاذ «عبد الغفار شكر» فى العدد الماضى من «اليسار» فقدم تعقيبا على دراسة الاستاذ شرمان، وإن اقتصر تعقيبه على الجانب الخاص بالتجمع باعتباره واحدا من المسئولين عن صياغة برنامجه الانتخابى. والدراسة والتعقيب يفتحان الباب أمام حوار. بالغ الأهمية فى حياتنا الفكرية والسياسية حول منهج الخطاب السياسى ومضمونه فى بلادنا، فضلا عن أنه يتيح للحزب الشيوعى المصرى أن يخرج بفكره من حصار اللاشرعية المفروض عليه ليكون محل حوار علنى صريح ولعل التقرير الاستراتيجى الذى يصدره مركز الدراسات الاستراتيجية فى الاهرام أن يكون له فضل الريادة فى هذا الأمر.

والدراسة التحليلية المقارنة للاستاذ شرمان تكاد تنتهى إلى القول بما يشبه التطابق سواء فى المنهج أو المضمون بين برنامجى التجمع والحزب الشيوعى المصرى، وإن كانت تشير إلى بعض الاختلافات الشكلية والموضوعية بينهما فبرنامج التجمع أكثر تفصيلا من برنامج الحزب الشيوعى ولغته أقرب إلى لغة الناس، على حين أن برنامج الحزب الشيوعى أكثر تشددا سواء فى أسلوبه أو فى وسائل تحقيق نفس الأهداف التى يشترك فيها مع التجمع. كما يختلف البرنامجان فى الموقف من التيار الإسلامى، فيصفه الحزب الشيوعى بالظلامية والعداء للعقل، على حين يسعى التجمع- على حد تعبير الأستاذ شرمان- إلى منافسة التيار الإسلامى فى بعض مايطرحه، فيدعو إلى استلهام مبادىء الشريعة الإسلامية.

كما يختلف البرنامجان فى الموقف من الحكم فالتجمع يكتفى بالدعوة إلى إجراء إصلاحات شاملة فى السياسات القائمة. على حين أن الحزب الشيوعى يدعو إلى رفض استمرار الحكم القائم ويدعو إلى تغيير شامل. ولعل هذه هى أبرز الاختلافات التى يراها الاستاذ شرمان بين البرنامجين. ويوجه الاستاذ شرمان بعد ذلك إلى كلا البرنامجين انتقادات يلخصها الاستاذ عبد الغفار شكر تلخيصا جيدا فى النقاط التالية (وإن كان يشير إلى أنها موجهة إلى التجمع): ١- عدم طرح البديل الاشتراكى

٢- عدم تحديد القوى الاجتماعية المرشحة لقيادة التحرك من أجل الإصلاح الاجتماعى

٣- عدم تحديد القوى الاجتماعية المرشحة لإنجاز التنمية وكذلك عدم تحديد طبيعة ملكية وسائل الانتاج.

٤- الاكتفاء بطرح إصلاحات جزئية بلا استراتيجية أو أفق استراتيجى واضح.

والواقع أننى أتفق بشكل عام مع الدراسة التحليلية الجادة القيمة التى قدمها الاستاذ شرمان ، وخاصة فيما يتعلق بأوجه الاتفاق بين البرنامجين، وإن كنت أرى أن الاختلاف بين البرنامجين قد يكون أعمق من الحدود التى وقف عندها الاستاذ شرمان.

ويبرز هذا الاختلاف فى عنوان كل من البرنامجين. فعلى حين أن برنامج التجمع هو برنامج «للإصلاح الشامل» فإن برنامج الحزب الشيوعى هو برنامج «للتغيير الشامل» وليس هذا الاختلاف فى عنوان كل من البرنامجين مجرد اختلاف شكلى كما يذهب الاستاذ شرمان، وإن وجدنا تشابها فى أغلب تفاصيل البرنامجين. وهو اختلاف فى التوجه الشامل لكل من البرنامجين، فبرنامج التجمع يدعو إلى تقديم حلول سريعة للاختناقات الحادة القائمة فى السياسة والاقتصاد والمجتمع أى إلى إحداث إصلاحات فى بنية الحكم القائم وسياساته، على حين أن برنامج الحزب الشيوعى يدعو إلى تغيير بنية الحكم نفسه ، وهذا مايفسر لغته المتشددة من حيث الأسلوب أو من حيث وسيلة تحقيق الأهداف، حتى تلك التى يشترك فيها مع برنامج التجمع. فبرنامج الحزب الشيوعى من حيث أنه برنامج للتغيير الشامل، يقول فى مدخله





عبد الغفار شكر

محمود أمين العالم

بأنه يسعى إلى استخلاص الوطن من براثن حكم الفرد والدولة البوليسية وشمولية الحكم، واستعادة استقلال مصر السياسى والاقتصادى والقضاء على التبعية وإقامة مجتمع الديمقراطية، ومجتمع العدالة الذى يقضى على الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى، ومجتمع الحرية الذى لامكان فيه لوجود أجنبى»

إن هذا المدخل للبرنامج هو مدخل استراتيجى عام، وهو دعوة جهيرة إلى تغيير بنيوى شامل، بل هو يشتمل فى الحقيقة على تحقيق مهمتين استراتيجتيين ثوريتين هما مهام الثورة الوطنية الديمقراطية، ومهام الثورة الاشتراكية. (فى إشارته إلى القضاء على الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى) وهو لايشير إلى أن هذه المهام هى أهداف بعيدة أو مرحلة تاريخية غير المرحلة الحالية، بل يقدمها باعتبارها برنامج الحزب الشيوعى المصرى الذى يقدمه للمواطنين فى هذه الانتخابات، وهو يحمّل الحكم القائم مسئولية جر البلاد إلى الكارثة فى حالة استمراره فى السلطة، ويشير إلى امكانيتين أخريين هما قيام انقلاب عسكرى سافر، أو سيطرة التيارات الظلامية على المجتمع والسلطة.

ولهذا يدعو التحالف الاشتراكى (حزب التجمع والحزب الاشتراكى الناصرى وقوى اليسار المصرى والقوى الوطنية والديمقراطية الشريفة) إلى خوض المعركة «من أجل إنهاء وتغيير النظام الشمولى القائم وإقامة نظام ديمقراطى متكامل يفتح الباب أمام التغيير الشامل» ولهذا فهذه الانتخابات هى بداية أو خطوة تساندها خطوات أخرى نحو التغيير الديمقراطى الشامل.

هذا التوجه نحو إنهاء وتغيير النظام الشامل فى برنامج الحزب الشيوعى المصرى هو مايميز برنامجه عن برنامج التجمع، الذى يقتصر كما ذكرنا من قبل على تقديم حلول سريعة للاختناقات الحادة القائمة.

حقا، إن هذا لاينفى أن يكون هذا التغيير البنيوى للحكم هو هدف التجمع كذلك، ولكنه لايصنعه فى برنامجه الانتخابى، مكتفياً ببرنامج إصلاحى. ولاشك كذلك أن برنامج الحزب الشيوعى المصرى يكاد فى أغلب تفاصيله أن يتفق مع البرنامج الإصلاحى المرحلى للتجمع، إلا أنه يحرص فى برنامجه الانتخابى على إبراز وتأكيد هدفه الاستراتيجى وهو إنهاء الحكم القائم وتأسيس حكم جديد تتداخل فيه مهام الثورة الوطنية الديمقراطية بمهام الثورة الاشتراكية (رغم أنه لايشير فى برنامجه إلى الاشتراكية إلا إشارة عابرة وضمنية)، وهو يجعل من هذا الهدف الاستراتيجى مدخلا نظريا لبرنامجه الانتخابى المباشر، كما يجعل من برنامجه الانتخابى المباشر مدخلا لهذا الهدف الاستراتيجى.

هذا هو فى تقديرى جوهر الاختلاف بين البرنامجين. على أن هذا الاختلاف هو مايجعل من البرنامج الانتخابى للتجمع برنامجا أكثر جماهيرية وأكثر إقناعا وتحريضا وفاعلية عملية من برنامج الحزب الشيوعى المصرى الذى يغلب عليه الطابع الدعائى أساسا، والتوجه النخبوى غير الجماهيرى.

وبرغم الاتفاق فى أغلب التفاصيل العامة لكلا البرنامجين فإن هذا الاختلاف فى التوجه ينعكس كذلك فى هذه التفاصيل ،فنجد برنامج التجمع يغوص فى مشكلات البيئة الاجتماعية القاعدة مقدما حلولا تفصيلية للمشاكل الاجتماعية المختلفة وللفئات الاجتماعية المختلفة بعد عرضه لتفاصيل برنامجه العام، نجد برنامج الحزب الشيوعى يهتم بقضايا البنية السياسية العلوية ويركز عليها دون أن يغفل بالطبع القضايا الاجتماعية ولكنه يكتفى بالإشارة العامة المجردة إليها ففى مجال «إصلاح النظام السياسى» على حد تعبير التجمع أو «من أجل إقامة المجتمع الديمقراطى» يلتقى البرنامجان فى أغلب الأهداف ولكن يتميز برنامج التجمع بإبراز ضرورة تحويل الإدارة المحلية إلى حكم محلى شعبى وهو دعوة بالغة الأهمية فى التعميق الشعبى للديمقراطية. وفى مجال التغيير أوالإصلاح الاقتصادى يقدم التجمع رؤية شاملة للإصلاح

عن طريق خطة تنمية شاملة تقوم على عدة محاور، وهو لايكتفى بهذا بل يفصل هذه المحاور فى مدخل البرنامج ، ثم يزيدها تفصيلا فى ملحق البرنامج الخاص بالمشاكل الملحة للجماهير. أما برنامج الحزب فهو فى الجوهر لايختلف عن برنامج التجمع ولكنه، يكتفى بالأهداف العامة دون تفصيل، وهو لايتعداها إلى أي إجراءات ذات طابع اشتراكى، ولكنه قد يكون أكثر حسما من برنامج التجمع فى الموقف من الرأسمال الأجنبى، وفى تأكيده على تحرير الاقتصاد المصرى من سيطرة وتحكم الرأسمال الأجنبى، وتصفية البنوك وشركات التأمين الأجنبية. إلا أنه بالنسبة للأهداف الاجتماعية والاقتصادية يكتفى بإشارات يغلب عليها الطابع التجريدى العام مثل «تطوير الانتاج الزراعى والصناعى» ومثل «توفير خدمات التعليم والعلاج والمواصلات والإسكان». وهو يشير إلى التنمية ضمنا عند حديثه عن أزمة البطالة بقوله« التصدي لأزمة البطالة بزيادة، فرص العمل عن طريق الربط بين التنمية الصناعية والزراعية والتعليم).

وفى القسم الخاص «بالتحرر الوطنى» (فى برنامج الحزب الشيوعى) أو «المصالح القومية لمصر (فى برنامج التجمع) يبرز الموقف الحاسم للحزب الشيوعى إزاء قضية التبعية السياسية والاقتصادية والعسكرية للأمريكان ويجعل أول بند من بنود هذه الفقرة من برنامجه إنهاء هذه التبعية وتصفية الوجود العسكرى الأمريكى فى سيناء وقواعد الإنذار المبكر وإلغاء التسهيلات العسكرية والمناورات المشتركة وكافة الاتفاقيات الاقتصادية والعسكرية التى تخضع القرار المصرى للولايات المتحدة الأمريكية. ولهذا فليست القضية بالنسبة للامبريالية والسيطرة الأمريكية هو مجرد التشدد فى التعابير اللفوية، وإنما الحسم فى الموقف منها، ولايبرز هذا فحسب فى استخدام كلمة اسقاط منهج كامب دافيد واتفاقيات كامب دافيد على حين يستخدم التجمع كلمة التخلى عن كامب دافيد نهجا واتفاقيات، وإنما يبرز فى هذا الموقف الحاسم من التبعية، مما يرتبط ارتباطاً عضويا فى هذه الفقرة من البرنامج بالتوجه العام للبرنامج إلى إنهاء الحكم نفسه.

وإذا كان برنامج التجمع يكاد يركز على المهام العاجلة المباشرة السياسية وخاصة أزمة الخليج والقضية الفلسطينية بمالايختلف فى الجوهر مع موقف الحزب الشيوعى، إلا أنه يتميز فى برنامجه عن برنامج الحزب الشيوعى ببروز رؤيته القومية العربية ودعوته إلى نظام عربى جديد يتسم بالديمقراطية والتوزيع العادل لفوائض الثروة، وبإشارته الواضحة إلى خطر الهجرة اليهودية السوفيتية وإلى العلاقة بين مصر والبلاد الإفريقية، وإلى التكامل على أساس اقتصادى ديمقراطى بين الشعبين المصرى والسودانى.

التجمع يدعو لاصلاح بنية الحكم القائم وسياساته والحزب الشيوعى يدعو إلى تغيير بنية الحكم

ولقد لمس برنامج الحزب الشيوعى القضية العربية عن طريق معالجته لبعض قضاياها كقضية الخليج وقضية فلسطين ولكنه لم يعالجها كقضية قومية شاملة إلا ضمنيا ، وكذلك قضية الدين التى أشار إليها الاستاذ شومان فى نقده لبرنامجى التجمع والحزب الشيوعى المصرى.

لقد أشار التجمع إلى استلهام الدين الإسلامى، ودعا إلى خطر كل دعوة عنصرية أو طائفية، وإلى التسامح الدينى فى إطار التقليد المصرى العظيم: الدين لله والوطن للجميع، أما برنامج الحزب الشيوعى فى الانتخابات فقد اكتفى بإدانة التيار الدينى وبوصفه بالظلامية والعداء للعقل وبالتحذير من محاولته السيطرة على المجتمع والسلطة.

برنامج التجمع أكثر جماهيرية وفاعلية من برنامج الحزب الشيوعى

وفى تقديرى أن برنامج الحزب الشيوعى، يفتقد ركنا مهما بعدم إبرازه بشكل كاف القضية القومية العربية، وعدم معالجته الدين والتراث عامة. معالجة موضوعية مستنيرة، بصرف النظر عن الموقف من الاتجاهات الدينية المتعصبة والجامدة.

ويبقى بعد ذلك النقد الذى وجهه الاستاذ شومان إلى برنامجى التجمع والحزب الشيوعى الخاص بعدم تحديد القوى الاجتماعية المرشحة لقيادة التحرك للإصلاح الديمقراطى ولإنجاز التنمية وعدم تحديد ملكية وسائل الإنتاج . ولقد فسّر الاستاذ عبد الغفار شكر هذا بطبيعة المعركة الانتخابية التى لاتحتمل إثارة القضايا النظرية وبإخراج الخلافات السائدة داخل التجمع. ولكنى فى الحقيقة لا أجد تفسيرا أوتبريرا لهذا فى موقف برنامج الحزب الشيوعى المصرى الذى ينبغى أن يؤكد وأن يبرز دائما تمثيله الطبقى وطبيعة القوى الاجتماعية التى يسعى لإقامة سلطة جديدة بها ومن أجلها وخاصة أنه يبرز فى مدخل برنامجه موضوع تغيير الحكم. بمن ولمصلحة من؟ هذا ماينقص بحق برنامج الحزب الشيوعى،و الذى كان من الممكن الإشارة اليه إشارة عامة شأن إشاراته العامة الأخرى.

خلاصة الأمر، أننى أرى أنه رغم وحدة الرؤية البرنامجية العامة بين كلا البرنامجين، وبرغم تميز برنامج الحزب الشيوعى المصرى فى بعض فقراته وخاصة تلك المتعلقة بالتبعية والموقف من الرأسمال الأجنبى، فإن برنامج التجمع كبرنامج انتخابى، هو أقرب إلى الإحساس بنبض الجماهير وأكثر قدرة على مخاطبتهم من برنامج الحزب الشيوعى الذى يتسم فى كثير من جوانبه بالعمومية والتجريد وبخطابه النخبوى وعدم التمييز بين دعوته إلى التغيير الشامل وبين برنامجه التكتيكى المباشر.

وأخيرا، حبذا لو اتصل هذا الحوار الخاص ببرنامج الحزب الشيوعى المصرى فى الانتخابات بالحوار حول برنامجه العام المطروح حاليا للمناقشة بين أعضائه وحلفائه واصدقائه. لماذا لايخرج إلى النور، وتطرحه «اليسار» مشكورة للنقاش الاجتماعى العام استكمالا للفائدة؟





الشهيد القائد الرمز صلاح خلف (أبو إياد)

اسرائيل المتهم الوحيد في جريمة اغتيال «أبو إياد» و«أبو الهول»

الشهيد البطل العقيد فخرى (أبو محمد)





فى الرابع عشر من يناير الماضى وقبل ساعات قليلة من اندلاع حرب الخليج، وبينما كانت أطراف اقليمية عدة تستعد مسبقا لتأمين مواقعها وأدوارها فى مرحلة مابعد الحرب، بما سيترتب عنها من تغيير فى موازين القوى العسكرية وفى الخريطة السياسية للعالم العربى، والشرق الاوسط. فى

هذا التوقيت الذى اختير بعناية لخدمة أغراض عدة اغتيل «أبو إياد وأبو الهول»

القاتل معروف : «حمزه أبو زيد» عضو سابق فى منظمة أبو نضال (فتح المجلس الثورى) وأحد أفراد الحرس الخاص «لأبو الهول». ولكن السؤال:

من المستفيد من هذه الجريمة التى أدت إلى تصفية الرجلين اللذين كانا يتحملان- بعد اغتيال اسرائيل «لأبوجهاد» فى ابريل ١٩٨٨- مسؤولية تأمين منظمة التحرير ويشكلان همزة الوصل بين الشعب الفلسطينى من الداخل وعنوانه السياسى فى الخارج ممثلا فى منظمة التحرير؟

الوقائع تفيد بأن حمزه أبو زيد دخل فجأة الحجرة التى كان مجتمعاً فيها أبو اياد وأبو الهول وأحد معاونيهما فى منزل «أبو الهول» بقرطاج متذرعاً برغبته فى الإبلاغ عن مكالمة هاتفية. ولكنه بمجرد أن وجد نفسه أمام الرجال الثلاثة أفرغ فيهم رصاصات مدفعه الرشاش قبل أن يحتجز «أبو الهول» وزوجته ليطالب بتسليمه إلى السلطات التونسية وليس لمنظمة التحرير كشرط للإفراج عنهما أحياء.

ورغم معرفة هوية القاتل فإن منظمة التحرير اتهمت اسرائيل بتدبير هذه الجريمة. وهو اتهام يعززه فى واقع الامر تاريخ حمزه أبو زيد الذى استطاع «أبو إياد» قبل بضع سنوات أن يلتقطه من منظمة «أبو نضال» ليضمه إلى صفوف المنظمة فى إطار المهام الموكلة إليه كقائد لجهاز أمن منظمة التحرير، وضمن خطة كان قد أعدها لشق حركة «فتح المجلس الثورى» التى كانت من وجهة نظر «أبو إياد» التى عبر عنها أكثر من مرة- تقوم فى أحيان كثيرة بدور الحليف الموضوعى لاسرائيل من خلال عمليات غير مدروسة، أبرزها محاولة الاغتيال الفاشلة للسفير الاسرائيلى فى لندن فى يونيو ١٩٨٢ التى اتخذت منها اسرائيل الذريعة الرسمية لغزو لبنان.

غير أن تاريخ القاتل الذى يشير إلى أنه شخص يسهل «شراؤه» ليس هو الأصل فى اتهام اسرائيل بتدبير اغتيال الزعيمين الفلسطينيين، وإنما الاصل هو الفائدة التى تعود عليها من اختفاء «أبو إياد وأبو الهول» من على الساحة الفلسطينية بعد تصفيتها «لأبو جهاد» من قبلهما.

فلم يكن «أبو إياد» أحد القادة التاريخيين لمنظمة التحرير الفلسطينية والرجل الثانى فيها بعد ياسر عرفات وحسب ولم يكن صمام أمن المنظمة فقط، ولكنه كان كذلك شخصية سياسية مسموعة على نطاق واسع فى الصفوف الفلسطينية فى الداخل والخارج معاً.. وبالتالى كان ضابط الاتصال الأهم بين القيادة والقاعدة، وكان بحكم مواقعه القوية الواضحة قادراً على تمرير أصعب القرارات السياسية ، ووفق مصادر فلسطينية فإن صلاح خلف لعب دوراً كبيراً وألقى بكل ثقله من أجل تحقيق اجماع داخل المجلس الوطنى حول الاعتراف المتبادل بين اسرائيل منظمة التحرير من خلال الاعتراف المشروط بقرار مجلس الأمن رقم ١٨١ عام ١٩٨٨. وعلى عكس ماتردد عقب اغتيال «أبو إياد» عن خلافات بين عرفات و«أبو إياد» فإن غيابه عن الساحة الفلسطينية خسارة كبيرة لعرفات ،لاسيما أنه وفقاً لبعض المصادر الفلسطينية فإن التباين فى الآراء الذى كان يتم التعبير عنه فى العلن أحيانا لايدخل فى باب التنافس على الزعامة.

أما «أبو الهول» فكان- إضافة إلى مهامه فى جهاز أمن المنظمة- المسئول عن العمليات السرية داخل الأراضى المحتلة، وهى مهمة أوكلت إليه بعد اغتيال أبو جهاد وإن كان لم يتم الإعلان عن ذلك رسمياً لأسباب داخلية تتعلق بالحفاظ على وحدة المنظمة.

وهكذا فإن كل المؤشرات تفيد إلى أن الخاسر الأكبر هو المنظمة والشعب الفلسطينى تحت الاحتلال، وأما المستفيد الاول فهو اسرائيل، لاسيما أن توقيت تنفيذ عملية الاغتيال لم يكن خالياً من المغزى والدلالة

فقد تمت فى وقت كانت انظار العالم كله متجهة إلى الخليج تترقب اندلاع الحرب المتوقعة بعد ساعات وبذلك مرت دون ضجيج إعلامى كبير خلافاً لعملية اغتيال ابو جهاد التى وضعت الدولة الصهيونية فى موضع الاتهام وأثارت موجة من الاستياء ضدها.

وتمت فى وقت تتهيأ فيه منطقة الشرق الاوسط بأسرها لتغييرات عميقة من جراء حرب الخليج وهى تغييرات يكون من المفيد معها إضعاف منظمة التحرير وقطع قنوات اتصالها بقواعدها داخل الأرض المحتلة الذى لابد أن ينعكس بالضعف أيضا- من وجهة النظر الاسرائيلية- على الانتفاضة فى الداخل.



الشهيد القائد الرمز
هايل عبد الحميد
(أبو الهول)

أوهام البشير وحقائق المعارضة

أمينة النقاش

فى خطابه بمناسبة عيد استقلال السودان الخامس والثلاثين، دعا الفريق عمر البشير رئيس المجلس العسكرى الحاكم فى الخرطوم، جميع السودانيين والمعارضين والمغتربين إلى «التكاتف والعودة لبناء الوطن».

وتأتى هذه الدعوة إلى المصالحة الوطنية، بعد عام ونصف من الانقلاب العسكرى الذى أطاح بالنظام الديمقراطى لتيثر تساؤلات مشروعة حول مغزاها ومدى جديتها.

وفيما يبدو أن الفريق عمر البشير، قد طرح الفكرة وفى ظنه أن حكمه يحظى ببعض إستقرار قد يجعل دعوته للمصالحة الوطنية، تأتى من مركز القوة. ويقوم هذا الظن على إعتقاد بأن الموقف السودانى فى أزمة الخليج، قد أظهر نظام الحكم السودانى، وكأنه جزء من الجبهة العربية المعادية للولايات المتحدة الأمريكية والمعارضة وللوجود الغربى فى الخليج. وبرغم أن هذا الموقف ينتمى بشكل عام إلى موقف تيار الإسلام السياسى فى معظم أنحاء الوطن العربى، فقد ساهم مع ظروف أخرى عديدة، فى تحسن علاقات نظام البشير بعدد من الدول الافريقية والعربية غير المحافظة.

كما يستند هذا الظن أيضا إلى التطور الذى طرأ على العلاقات الليبية السودانية، والذى انتهى بتوقيع ميثاق للتكامل بينهما، من شأنه توحيد كل المؤسسات المتشابهة فى البلدين تمهيدا لإعلان الوحدة. وكان من بين أبرز النقاط التى تضمنها ميثاق التكامل الليبى السودانى البنود الخاصة بالأمن، التى تقضى بتبادل المعلومات الأمنيه وتنسيق حركة الأجهزة الأمنية وتوحيد المناهج العسكرية للإمداد والدفاع المشترك. ويأتى هذا التحسن الملحوظ فى العلاقات الليبية السودانية بعد الفتور الذى ألم بها وأوصلها إلى درجة العداء بسبب دعم ليبيا السابق، للتمرد الذى يقوده فى جنوب السودان، د. جون قرنق قائد الحركة الشعبية لتحرير السودان وبسبب تباين الموقفين الليبى والسودانى من الأطراف التى كانت تتصارع فى تشاد.

ولعل من بين الأسباب التى قد تدفع الفريق البشير إلى الظن بأن نظام حكمه يحقق إستقرارا هى تحسن العلاقات التشادية السودانية فى أعقاب إنتهاء الحرب الأهلية فى تشاد بسقوط «حسين حبرى» وتولى «إدريس دبى» للحكم وسعيه لتحقيق مصالحة وطنية داخل تشاد وتوطيد علاقاته بجارتيه ليبيا والسودان.

وفى هذا السياق أعلنت الحكومة التشادية عن إغلاق مكتب للحركة الشعبية فى العاصمة انجامينا، كما قام البشير مؤخرا بزيارة لتشاد فى طريق عودته من نيجيريا، ووعد بتقديم العون لها لمساعدتها على الاستقرار، وهو ما يعد مؤشرا على أن الصراع التشادى السودانى، الذى يشكل واحدا من أهم عوامل عدم الاستقرار فى السودان سوف يتوقف.

وكما هو واضح فإن البشير يسعى إلى المراهنة على العوامل الخارجية لتعديل ميزان القوى فى الداخل لصالحه. لكن الواقع يكذب ظنونه ويؤكد على أنها تقوم على أسس مبالغ فيها للأسباب التالية:

* إن الفريق البشير قد أعلن فى نفس خطاب عيد الأستقلال، عن خطوتين متلازمتين من شأنهما أن تنسفا دعوته للمصالحة الوطنية هما «تطبيق مايصفه الحكم بالشريعة الإسلامية والبدء فى تنفيذ نظام الحكم الفيدرالى، الذى سيقسم السودان إلى ٧٠ محافظة تضم تسع ولايات لكل منها حاكمها وبرلمانها ووزراتها الإقليمية. وهاتان خطوتان لاتحظيان بمعارضة كافة القوى السياسية الشمالية والجنوبية فحسب، بل تفاقمان من مشكلة الحرب الأهلية فى الجنوب وتغلقان الباب أمام احتمالات التوصل لتسوية سلمية وتؤكدان إصرار نظام البشير على الخيار العسكرى، لهذه الحرب التى تعد واحدة من أهم عوامل عدم الأستقرار فى السودان، بعد أن فشلت مباحثاته المتتالية مع الحركة الشعبية، واتسع نطاق المعارك التى حقق فيها الجيش الشعبى لتحرير السودان إنتصارات على الجيش النظامى، تمكن من الاستيلاء على مناطق جديدة تتجاوز المدن الجنوبية وتمتد إلى الشمال. وقد سددت الحركة الشعبية لتحرير السودان ضربة موجعة لنظام البشير بإنضمامها هى وجناحها المسلح، إلى التجمع الوطنى الديمقراطى المعارض، وتضمينها

لميثاقه الدعوة للكفاح المسلح من أجل إسقاطه.

وفى هذا السياق لفت مصدر سياسى سودانى جنوبى رفيع المستوى، كان فى زيارة مؤخراً للقاهرة بدعوة من الحكومة المصرية، النظر إلى اللقاء الذى تم بين القائد الجنوبى د.جون قرنق وبين فتحى أحمد على القائد السابق للجيش السودانى داخل الأراضى السودانية، وقال إن هذا اللقاء يرفع من درجة التنسيق السياسى والعسكرى لإسقاط نظام الجبهة الأسلامية القائم فى السودان وإقامة النظام الديمقراطى. وأضاف السياسى السودانى الجنوبى أنه على الرغم من أن دعوة البشير للمصالحة الوطنية هى من قبيل الاستهلاك المحلى الذى يستهدف المناورة للتعمية على القلاقل التى تحيط بنظامه، فإن الحركة الشعبية لتحرير السودان على إستعداد للحوار حولها وفق عدد من الأسس بينها إطلاق سراح جميع السجناء السياسيين، ورفع الحظر عن أنشطة الأحزاب السياسية المؤمنة بالديمقراطية والاتحادات المهنية والنقابية ثم تشكيل حكومة وحدة وطنية إنتقالية من الأحزاب والمنظمات الجماهيرية والجيش لتحل محل المجلس العسكرى الحاكم، ثم تكوين جيش وطنى لاطائفى يضم كلا من الجيش النظامى والجيش الشعبى لتحرير السودان، على أن يرافق ذلك خطوتان الأولى عقد المؤتمر القومى الدستورى لحل مشاكل السودان وفقا لأعلان كوكا دام ومبادرة السلام السودانية لإقرار دستور السودان الدائم، أما الخطوة الثانية فهى إجراء انتخابات برلمانية حرة لانتخاب جمعية تأسيسية تقر الدستور وتشكل حكومة ديمقراطية.

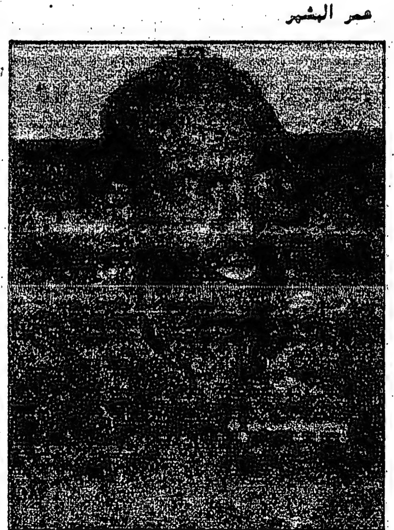
وأوضح المصدر السياسى الجنوبى أن على المجلس العسكرى الحاكم فى الخرطوم إذا كان يرغب حقا فى المصالحة الوطنية أن يسعى للحوار مع القوى الديمقراطية حول تلك الأسس، وإلا فالبديل هو الدعوة لإضراب عام وانتفاضة شعبية لإسقاط نظام البشير تشارك فيه قوى الأنتفاضة والحركة الشعبية والجيش الشعبى لتحرير السودان.

وأكد المصدر الجنوبى أن الحركة الشعبية والجيش الشعبى سيشاركان فى الانتفاضة الشعبية بتقديم إسهامهما الشعبى والعسكرى لامن مناطق العمليات الحربية فحسب بل داخل العاصمة نفسها، وسيتم كل ذلك بتنسيق كامل مع كل القوى الوطنية والديمقراطية داخل الجيش النظامى والقوات النظامية الأخرى.

* إن الفريق البشير وهو يسعى لاستثمار الحرب فى الخليج كفرصة يظن أنها نموذجية لتثبيت أركان حكمه وإحراج معارضيه بتشدده فى معارضة الوجود الأمريكى والغربى فى المنطقة، قد أخفق فيتالهيمنة على عوامل التفكك الداخلى فى السودان بل زادها تفاقما بالسياسات الفاشلة التى يخطط لها وينفذها حزب واحد هو الجبهة الإسلامية القومية فازدادت الأوضاع الأقتصادية سوءا على سوء بعد أن أذعن إنقلاب البشير لكل شروط صندوق النقد الدولى، وأنتهز فرصة حرب الخليج ليرفع أسعار السلع الأساسية مرة أخرى. وبرغم سعى البشير لتصوير الوضع فى السودان بأنه محسوم لصالحه، فقد اندلعت المظاهرات الجماهيرية فى أنحاء السودان للمطالبة بالخبز وزيادة الأجور، كما إزداد نطاق الإضرابات العمالية والنقابية المهنية والطلابية برغم ملاحقتها بسيف الفصل والاعتقال فى أحيان أخرى. كما أجرى البشير خلال عام ونصف فقط تعديلين وزاريين كبيرين فى حكومته بما يعكس عدم استقرار أوضاعه.

تدهور العلاقات المصرية السودانية بشكل خطير. وبصرف النظر عن حيثيات كل طرف لتبرير هذا التدهور فإن هذا عاملا من شأنه ألايودى إلى إستقرار الأوضاع فى السودان، ولقد لفت المراقبون النظر إلى فشل محاولة الوساطة التى بذلها العقيد القذافى، أثناء القمة الرباعية فى مصراته فى أوائل الشهر الماضى للتقريب بين الرئيس مبارك والفريق البشير. وكانت العلاقات بين الطرفين قد أخذت فى التدهور على إثر إتهام القاهرة للخرطوم بإيواء عناصر من الأصوليين المصريين وتدريبهم على حمل السلاح. كما تصاعدت حدة الخلافات بين البلدين بعد أفتراق موقفيهما من أزمة الخليج، وإعلان الرئيس مبارك فى سبتمبر الماضى أنه سيدمر خلال ٢٤ ساعة أية قواعد صواريخ تنصب فى السودان بعد أن عد ذلك خطرا يهدد الأمن القومى المصرى.

عمر البشير

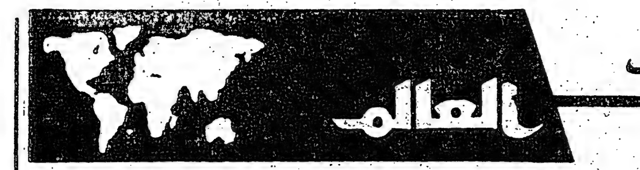


* إن نظام البشير يعد فى قائمة الدول التى تنتهك حقوق الإنسان بشكل غير مسبوق. فقد كثرت التقارير التى تصدرها منظمة العفو الدولية بشكل شبه دورى عن الاعتقالات والإعدامات وكافة أشكال الاعتداء على القانون والحريات العامة. كما أن أمريكا نفسها قد حدت من مساعدتها الأقتصادية والعسكرية للسودان امتثالا لقرار الكونجرس الأمريكى بوقف تلك المساعدات عن أى بلد يطيح فيه أنقلاب عسكرى بنظامه المنتخب وفى الفترة الأخيرة فقد طلب البرلمان الأوروبى إيفاد بعثة لتقصى الحقائق حول حقوق الانسان فى السودان، كما أوقف مساعداته الأقتصادية لحكومته.

* إعلان الحكومة الأمريكية عن وقف شحنات القمح إلى السودان، وتأكيدها على أن ٩ مليون شخص يتهددهم خطر المجاعة فى السودان بعد الجفاف الذى أصاب الموسم الزراعى، برغم صلف الحكم العسكرى ورفضه الاعتراف بخطر المجاعة وعرقلته لعمل منظمات الإغاثة الدولية والموقف الأمريكى والغربى ليس خاليا من الغرض، إذ أن التجربة الإيرانية لاتزال ماثلة فى الأذهان، فبرغم انتهاء الحرب العراقية الأيرانية بمحاصرة طموحات إيران الأقليمية، فلا تزال إيران مصدراً لخلل إقليمى فى المنطقة، بعد صعود رجال الدين إلى السلطة، وهو أمر لايريد الغرب أن يتكرر فى السودان بعد أن تبين له أن التجربة الإيرانية قد أنقلبت عليه، وهى مخاوف أكدها إعلان البشير بعد زيارة أخيرة له لإيران «إن السودان ينوى إستغلال تجربة إيران لإضفاء الطابع الإسلامى على حياة الناس.

* ويبقى قبل هذا وبعده إنتشار فصائل المعارضة السودانية فى عدد غير قليل من الدول الإفريقية والعربية والأوروبية وتوحدها حول ميثاق التجمع الوطنى الديمقراطى، وانضمام قيادات الجيش السودانى وأجهزة المخابرات إليها ومد جسورها لداخل السودان.

وإذا كان الوضع فى السودان غير محسوم حتى الآن لصالح المعارضة فإنه بالقطع ليس لصالح نظام البشير أو هى معادلة الرابح النهائى فيها هم المعارضون الذين يهزون عرش الديكتاتورية الآخذ فى التهاوى فى السودان.



المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعي الفرنسي

والاحتفال بالعيد السبعين لتأسيسه

منذ سبعين عاما تأسس الحزب الشيوعى الفرنسى فى مدينة «تور» متمايزا بهذا عن الحركة الاشتراكية الديمقراطية، ومعبرا عن دور سياسى مستقل للطبقة العاملة، الفرنسية،

ولقد جاءت مناسبة الاحتفال بهذه الذكرى مع انعقاد المؤتمر السابع والعشرين للحزب فى ١٨ ديسمبر الماضى. وكان للاحتفال بهذه الذكرى وانعقاد هذا المؤتمر دلالة كبيرة فى ظل الأزمة الحادة التى تعانيها البلاد الاشتراكية التى انفرطت منظومتها، بل أخذ بعضها يتخلى عن الاشتراكية ويتحول إلى النظام الرأسمالى.

كان هذا الاحتفال وهذا المؤتمر ،بمثابة الرد الفكرى والتنظيمى على كل الدعاوى اليائسة أو المغرضة التى تقول بنهاية الماركسية ونهاية الاشتراكية والانتصار التاريخى النهائى للرأسمالية. كان الاحتفال وكان المؤتمر تأكيدا حارا على استمرار المسيرة الثورية الانسانية للنضال ضد الاستغلال والاغتراب والقمع والاستبداد والاستعمار وتجار الحروب.

وفى التقرير الذى قدم للمؤتمر فى مايقرب من مائة صفحة، والذى تمت مناقشته مناقشة مستفيضة وتعديله طوال الأشهر السابقة على انعقاد المؤتمر، فى مختلف المستويات التنظيمية للحزب، كما تمت مناقشته كذلك وتعديل بعض بنوده فى جلسات المؤتمر العلنية، فى هذا التقرير -فى صورته النهائية- تمسك الحزب بهويته الشيوعية ذات اللون الفرنسى على حد تعبيره، وبتمثيله للطبقة العاملة وبتعبيره عن مصالحها ومصالح الشعب الفرنسى عامة، وبأممته فى الوقت نفسه، ومساندته الكاملة لكل الحركات الوطنية والديمقراطية والتقدمية فى العالم. وانتقد التقرير النموذج الاشتراكى الذى طبق فى الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الأخرى والذى أدى الى هذا الانهيار الأخير.

وعزاه إلى سيادة البيروقراطية وانعدام الديموقراطية والتخلف عن مسايرة منجزات العصر، وعدم مراعاة الخصائص القومية لمختلف البلاد. وعرض التقرير لنضاله الطويل على رأس الطبقة العاملة الفرنسية كامتداد للتراث العظيم للثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ولكوميونة باريس، ولمختلف النضالات الديمقراطية والاجتماعية للشعب الفرنسى واعترف بجمود بعض مواقفه فى الماضى نتيجة لتأثره بالنموذج السوفيتى، الذى استطاع أن يتحرر منه وخاصة فى عام ١٩٧٦ وأن يختار طريقه النضالى الخاص. وقدم التقرير تفاصيل برنامجه فى تطوير وتعميق المسار الديمقراطى والاجتماعى والثقافى فى فرنسا، وللخروج بها من أزمتها التى هى جزء من الأزمة الشاملة للرأسمالية العالمية. وحدد موقفه بحسم إلى جانب قوى النضال من أجل العدالة والحرية والسلام، ومن أجل بناء نظام اقتصادى عالمى جديد يقوم على الأمن الجماعى والمشروعية الدولية والتضامن الايجابى مع دول العالم الثالث.

وكان لأزمة الخليج صفحة بارزة فى تقرير المؤتمر وفى حواراته ولم يكن ثمة وهم حول طبيعة هذه الأزمة. إنها تعبر- فى الجوهر- عن تطلع الولايات المتحدة الأمريكية إلى فرض سيطرتها السياسية والاقتصادية والعسكرية فى العالم، مستغلة عدوان العراق على الكويت الذى لايتردد أحد فى إدانته. ولكن الولايات المتحدة الأمريكية تتذرع بهذا العدوان للسيطرة على منابع البترول، واحتكار التحدث باسم المجتمع الدولى، والإصرار على حل الأزمة الناجمة عن العدوان العراقى حلا عسكريا لتؤكد سيادتها وهيمنتها العالمية. ولهذا يوجه التقرير ويوجه المؤتمر انتقاده الأساسى إلى التدخل الأمريكى العسكرى فى منطقة الخليج. ويحرص المؤتمر فى تقريره على تأكيد أن فشل النموذج الاشتراكى البيروقراطى السوفيتى ليس فشلا للاشتراكية فالاشتراكية ماتزال هى الحل فى مواجهة الاستغلال الرأسمالى والعدوانية الامبريالية، ولكن بشرط أن تسعى التجارب الاشتراكية والفكر الاشتراكى الى التجديد والتطوير على أساس من الديمقراطية ذات الجذور الشعبية العميقة وعلى أساس استيعاب خبرات العصر وحقائقه.

وقد كان لقضية فلسطين والانتفاضة الفلسطينية المجيده اهتمام كبير فى المؤتمر. وفى الجلسة الأخيرة التى تم فيها انتخاب اللجنة المركزية والمكتب السياسى، وفى انتظار فرز الأصوات، انطلق أكثر من ألفين شخص يجمعهم المؤتمر بين مندوبين فى المؤتمر وضيوف ممثلين لأحزاب شيوعية وديمقراطية من جميع أنحاء العالم، انطلقوا جميعا فى صوت واحد يهتفون للانتفاضة لفترة تكاد تبلغ نصف ساعة متصلة قائلين: «المجد، المجد للأطفال الذين بحجارتهم يطاردون المعتدين» ليتحول هذا الهتاف فى النهاية ولفترة زمنية أخرى إلى هتاف جماعى آخر يعبر عن «التضامن.. التضامن مع نضال الشعب الفلسطينى»

وقد شهد المؤتمر صراعا بين تيارين فى الحزب، تيار يواصل السياسة السابقة للحزب ويؤكدها مع بعض تغييرات لاتمس الجوهر، وتيار آخر يسعى إلى تغيير جذرى سواء فيما يتعلق بلائحة الحزب كى تصبح أكثر ديمقراطية، وفيما يتعلق بأفكاره وتصوراته السياسية لكى أقرب إلى ما أسفرت عنه الأزمة الاشتراكية، وماتطرحه اجتهادات جورباتشوف. وكانت الأغلبية فى صف التيار الأول الذى كان يمثله السكرتير العام للحزب جورج مارشين والذى أعيد انتخابه سكرتيرا عاما للحزب فى المؤتمر، وكان التيار الثانى يمثله فيترمان الذى حرص المؤتمر- رغم اختلاف أغلبية المندوبين معه- على انتخابه عضوا فى المكتب السياسى الجديد للحزب حرصا على وحدة الحزب.

وكان المؤتمر فى الحقيقة فرصة رائعة غنية للقاء بين مختلف الأحزاب الشيوعية والتقدمية والوطنية والديمقراطية فى العالم وتبادل الخبرات، وتأكيد مواصلة النضال والتضامن المشترك من أجل التحرر الوطنى والديمقراطية والاشتراكية والسلام العالمى.

وقد انتهى المؤتمر باحتفال كبير، جسد تاريخ نضال الشعب الفرنسى، ونضال الحزب الشيوعى الفرنسى، طوال السبعين سنة الماضية فى لوحات مسرحية فنية حية بالغة

الروعة.

ولقد شارك الحزب الشيوعى المصرى فى هذا المؤتمر وقدم مداخلة جاء فيها:

الرفاق الأعزاء

اسمحوا لنا فى البداية أن نشكر لكم دعوة حزبنا الشيوعى المصرى للمشاركة فى هاتين المناسبتين التاريخيتين، مناسبة انعقاد المؤتمر السابع والعشرين لحزبكم، ومناسبة الاحتفال بالعيد السبعين لتأسيسه،

إن حزبكم هو الامتداد الخلاق للثورة الفرنسية العظيمة، وهو المعبر عن مصالح الطبقة العاملة الفرنسية، والحامل لأرقى تطلعات وقيم وتقاليد ونضالات الشعب الفرنسى من أجل الحرية والديمقراطية والعدالة والرخاء والتقدم والسلام.

إن حزبنا، إذ يحيى مؤتمركم ويهنئكم بالعيد السبعين لحزبكم، فإنه فى الحقيقة يواصل تراثا نضاليا مشتركا بين شعبينا وبين حزبينا على مختلف المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية.

لقد كان الشعب الفرنسى دائما مؤئلا لقوى المعارضة التقدمية المصرية منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم.

وفى أحضان حزبكم تربى وتعلم العديد من كوادر الحركة الشيوعية المصرية.

ولقد وقفتم دائما مع نضال شعبنا المصرى ضد الاحتلال البريطانى ، وضد العدوان الثلاثى، وضد التوسع الاسرائيلى، وضد السيطرة الأمريكية، كما وقفتم دائما مع نضال شعبنا من أجل الاستقلال والتحرر والديمقراطية والتقدم والتنمية الاقتصادية المستقلة.

هذا كان شأن حزبكم دائما مع شعبنا وحزبنا، وهذا كان شأن حزبكم كذلك مع الشعوب العربية وقضاياها عامة، والقضية الفلسطينية بوجه خاص.

إن العالم العربى يمر اليوم بأزمة حادة تتمثل فى أزمة الخليج. وإذا كانت هذه الأزمة تتمثل فى اجتياح النظام العراقى لدولة الكويت، وإلغاء وجودها وضمها إلى العراق، وما نجم عن ذلك من تدفق القوات الأمريكية والأطلسية، بوجه خاص، والتهديد بشن حرب ضد العراق، لتدمير جيشها وفرض الانسحاب عليها من الكويت، وما نجم عن ذلك كذلك من تفكك النظام العربى وانهيار التضامن العربى، على مستوى الحكومات بل وعلى مستوى الشعوب أيضا، إلا أن هذه الأزمة تعبر فى الحقيقة من ناحية عن تخلف الأوضاع العربية بشكل عام نتيجة لانعدام الديمقراطية، وسيادة أنظمة حكم دكتاتورية وعشائرية مستبدة متسلطة تابعة.

فضلا عن سوء توزيع عوائد الثروة النفطية العربية، مما يجعلها مركزة ومنهوبة فى أيدى ولمصلحة قلة من حكام وأمراء وسماسرة ورأسماليين كومبرادوريين وطفيليين، مندمجى المصالح مع الرأسمالية العالمية وتابعين لها، كما تعبر من ناحية أخرى عن تطلع الولايات المتحدة الأمريكية إلى السيطرة على منابع البترول العربى لتسعى بذلك إلى فرض إرادتها على أوروبا واليابان والاتحاد السوفيتى، وحل أزمتها الاقتصادية المتفاقمة.

إنها عودة إلى ما يشبه الشكل الكولونيالى القديم فى ظروف عالمية جديدة، تحاول فيها الولايات المتحدة الأمريكية، الاستفادة من ضعف وتفكك المنظومة الاشتراكية وإنهاء الحرب الباردة، لتفرض سيطرتها السياسية والاقتصادية على العالم وتوجيه المنظمات الدولية لمصلحتها الخاصة.

إن حزبنا إذ يدين عدوان نظام صدام حسين ويطالب بانسحابه من الكويت ، وإعادة الشرعية للشعب الكويتى ليختار نظام حكمه بحرية كاملة، فإنه فى الوقت نفسه يشدد على ضرورة انسحاب القوات الأجنبية من بلدان الخليج، على أن تترك البلدان العربية تحل قضاياها الخلافية حلا سلميا فيما بينها.

ويرفض حزبنا ويقاوم بشدة أى محاولة لشن حرب ضد الشعب العراقى أو ضد جيشه. إن هذه الحرب لو وقعت ستكون كارثة لا بالنسبة للبلاد العربية وحدها وللشعب العراقى وحده، بل للمصالح العالمية عامة وإن حزبنا يناضل من أجل أن يصبح الحل العربى السلمى لأزمة الخليج مدخلا لإعادة بناء النظام العربى كله بناء جديدا يقوم على الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والتكامل الاقتصادى واحترام المشروعية العربية والعالمية، ويتحقق بإرادة الشعوب العربية وحدهم ولمصلحتهم . وأن يكون مدخلا كذلك لفرض المشروعية الدولية على اسرائيل، لإنهاء احتلالها للأراضى العربية فى الجولان، وجنوب لبنان، والضفة الغربية، وقطاع غزة، والعمل على إتاحة الفرصة للشعب الفلسطينى لتقرير مصيره، وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى.

والى جانب هذه القضية العربية، فإن شعبنا المصرى يناضل من أجل التحرر من التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية للولايات المتحدة الأمريكية، ومن أجل الارتفاع بمستوى معيشة الشعب، وإشاعة الديمقراطية وإلغاء القوانين المقيدة للحريات، وإسقاط الديون التى تضاعف من تخلف مصر وتبعيتها، والعمل على تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية مستقلة، والمشاركة فى تنمية ودعم نظام اقتصادى دولى جديد يقوم على الاعتماد المتبادل المتكافئ.

وبرغم أن حزبنا ليس حزبا علنيا من الناحية القانونية البحتة، فإنه يناضل تحت الراية الشريفة للشيوعية (التى ارتفعت فى مصر منذ عام ١٩٢١) نضالا لاشبه علنى- فى مختلف مجالات ومؤسسات المجتمع المدنى المصرى، ويشارك حزبنا فى التحالف الاشتراكى الذى يتشكل من حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى، والحزب الناصرى الاشتراكى (تحت التأسيس). إن هذا التحالف الاشتراكى هو النواة لتحالف جماهيرى أكثر اتساعا يسعى لضم مختلف القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية عامة، من أجل إقامة سلطة وهيئة شعبية ديمقراطية جديدة ذات آفاق اشتراكية.

مرة أخرى، نحيى مؤتمركم ونحيى العيد السبعين لحزبكم ونتطلع فى هذا اللقاء الذى يضم الجانب الأكبر من القوى الثورية فى العالم، إلى إقامة شكل جديد واسع ومفتوح من التحالف بين القوى الاشتراكية والشيوعية والتقدمية والتحررية والديمقراطية فى العالم، لوقف التدهور فى حركة الثورة العالمية، وللتصدي بحسم للشكل الجديد من العدوانية والتوسعية الأمريكية للسيطرة على العالم، ومن أجل مساعدة بلدان العالم الثالث بوجه خاص، للخروج من أزمتها وتبعيتها، وإعطاء بعد جماهيرى ديمقراطى للمنظمات الدولية لوقف محاولات الولايات المتحدة الأمريكية السيطرة عليها، والمشاركة فى صياغة العالم الجديد الذى يتخلق ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين ولهذا ما أحوجنا كذلك فى النهاية إلى تعميق الحوار الفكرى وتنمية روح النقد والنقد الذاتى، وروح التفتح العقلى ، والمبادرات الجماهيرية، واحترام الاختلافات الفكرية ، والاستفادة من منجزات العلم من أجل التجديد الابداعى لفكرنا النظرى وممارساتنا النضالية

تحية للمؤتمر السابع والعشرين لحزبكم

تحية للعيد السبعين لتأسيسه

تحية لنضال الشعب الفرنسى وطبقته العاملة، ومثقفيه المبدعين

وتحية للتضامن الأممى بين شعوب العالم وقواه الاشتراكية والشيوعية والتقدمية والديمقراطية.

فكر

«نهاية التاريخ» .. أم «عــودته»؟

د. محمود عبد الفضيل

كان الفيلسوف الألماني هيجل (١٧٧٠-١٨٣٠) أول من طرح فكرة «نهاية التاريخ»، إذ إعتبر أن التاريخ قد انتهى بإنتصار نابليون في معركة «يينا» عام ١٨٠٦.. نظراً لأن هذا الانتصار كرس للإنتصار النهائي لمبادئ الثورة الفرنسية: مبادئ الحرية والمساواة والإخاء. وفي صيف عام ١٩٨٩، تم بعث الفكرة من جديد من خلال مقال تم نشره في مجلة THE NATIONAL IRTESERT بواسطة باحث أمريكي (من أصل ياباني) يدعى فرنسيس فوكوياما، ويتقلد منصب نائب رئيس هيئة التخطيط بالخارجية الأمريكية.

وقد أثار هذا المقال جدلا واسعا في ظل الظرف التاريخي الراهن الذي يتسم بتغيرات سريعة ومتوالية في بلدان أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي وبقية أجزاء العالم في جبهتي الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة. إذ يرى الأستاذ فوكوياما أن الانتصار الحاسم للأيديولوجية الليبرالية على كافة الأيديولوجيات الآخرى (وبالذات على «الأيديولوجية الشيوعية)، إنما يعني أن «التاريخ» هو الآخر ينتهي، ويصبح التقدم الإنساني محكوما بالتقدم الفني والتكنولوجي وليس بالصراع الأيديولوجي وبعبارة أخرى، يصبح الصراع والتقدم محكوما بإعتبارات التقدم الاقتصادي والتكنولوجي (GEO-ECONOMICS)، وليس بإعتبارات الجغرافيا السياسية التقليدية (GEO-POLITION) القائم على الاعتبارات السياسية والايديولوجية ومصالح «الدولة القومية».

وقد تبنى عدد من كتابنا ومثقفينا هذه الرؤية في خطوطها العريضة، فعلى سبيل المثال يقول الدكتور عبد المنعم سعيد: إن «الثورة التكنولوجية الثالثة لم تعد تعترف بالفكرة القومية. فهي لاتعرف إلا «النظام العالمي» الذي تندمج فيه الأسواق، وتهيمن فيه أسواق المال، ويسيطر على إتصالاته شركات عملاقة، ويتناول معلوماته بشكل متزايد من خارج الكرة الأرضية، حيث الأقمار الصناعية التي تدور في مداراتها بلا موانع أو حدود... ومن هنا فما نشاهده حقيقة ليس إفلاس الثورة البلشفية- فربما حدث ذلك ساعة تولي ستالين الحكم-.. ولكن مانشاهده هو إفلاس ونهاية الثورة الفرنسية وفكرتها عن الدولة القومية».

وتأسيسا على هذه الرؤية، يقسم فوكوياما العالم المعاصر إلى قسمين:

(أ) عالم «مابعد التاريخ» (POST-HISTORICAL PART)، وهو ذلك الجزء من العالم الذي تحكم المصالح والمنافع الاقتصادية «البحته».

(ب) عالم «ماقبل التاريخ» (HISTORICAL PART)، وهو ذلك الجزء من العالم الذي تحكمه قواعد «السلوك التقليدي» القائم الأيديولوجية والقبليه وصراعات السلطة.

ويرى فوكوياما أن هناك علاقة إرتباط وثيق بين التقدم في إتجاه التصنيع وبين تبلور نموذج «الديمقراطية الليبرالية» على الطريق الغربية، بإعتبارها الشكل النهائي والمعمم لنظام الحكم ويرى أن هذا المسار هو الذي سلكته بلدان أوربا الغربية وأمريكا الشمالية، تليها بلدان آسيا، ثم مناطق أخرى من العالم تصارع من أجل التحديث الاقتصادي والليبراليه والديمقراطية كما هو الحال في الاتحاد السوفيتي وبلدان أمريكا اللاتينية.

وتتأكد نزعة «المركزية- الأوربية» (EURO-CENTRISM) في تحليل فوكوياما، من خلال التأكيد على أن هذا المسار «النمطي»، القابل للتعميم في كافة أرجاء وبقاع العالم، إنما هو انتصار للغرب بإعتباره هو «مهد ومعقل فكرة الحرية الإنسانية»:

(THE TRIUMPH OF THE WEST, OF THE WESTERN IDEA, IS EVIDENT FIRST OF ALL IN THE TOTAL EXHAUSTION OF VIALLE SYSTEMATIC ALTERNATIVES TO WESTORN LILERALISM

ورويداً رويداً تتضح من ثنايا التحليل حقيقة المقصود بفكرة «التعميم» «والانتشار العالمي» (UNIVERSALIZATION)، وانتصار «المثل والأفكار الغربية» (TRIUMPH OF WESTERN IDEALS) على الصعيد العالمي، وحيث تمثل نهاية «التطور الأيديولوجي» للجنس البشري. إذ يشير فوكوياما في مقاله الشهير إلى أن حركة الإصلاح في بلدان أوربا الشرقية هي خير دليل على الانتشار الذي لامحالة فيه لنمط الاستهلاك الغربي.. والأهم من ذلك، انتشار وتغلغل «الثقافة الاستهلاكية الغربية» (CONSUMERIST WESTERN CUL-TURNE).

ويدلل فوكوياما على مايقصده بانتشار وتعميم «الثقافة الاستهلاكية الغربية»، بأن موسيقى الروك (ROCK MUSIC) يتم الرقص على أنغامها في كل من براج (تشيكوسلوفاكيا)، رانجون (بورما)، وطهران (إيران) على حد سواء ويغالي الأستاذ فوكوياما بقوله إن مساهمة اليابان الكبرى للتاريخ البشري، تمكن في اقتفائها خطى الولايات المتحدة الأمريكية لخلق «ثقافة استهلاكية» معممة على كافة أجزاء المجتمع الياباني: (JAPAN HAS MADE A GREAT CONTRIBUTION TO WORLD HISTORY BY FOLLOWING IN THE FOOTSTEPS OF THE UNITED STATES TO CREATE A TRUELY UNIVERSAL CONSUMER CULTURE).

وهكذا يتضح أن الانتصار الحقيقي (الذي يجسد «نهاية التاريخ» والايديولوجية، هو ليس إنتصار «المبادئ والمثل الليبرالية الغربية»... بل إنتصار «العقلية» و«الثقافة» الاستهلاكية الغربية.. ذلك هو الانتصار الناجز للرأسمالية الغربية.

ولكن هل يمثل هذا «نهاية التاريخ»؟ أم عودته، أم تجدد مساراته؟

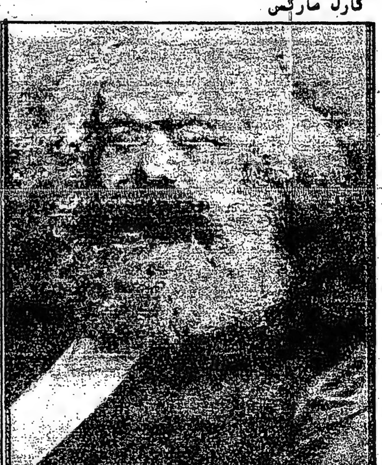
النفاق التاريخي

يعترف فوكوياما في دراسته الأولى بأن أجزاء هامة من العالم مازالت تحكمها حركات تتسم بالطابع القومي أو الديني، وبالتالي تمثل مصدراً هاماً للتحدي الذي تواجهه «الليبرالية الغربية» و«ثقافتها الاستهلاكية» ولكن هذه الحركات تمثل في تقديره نتوءات لاتقرر الإتجاه العام لحركة التاريخ، ولكنها

تضع قيوداً على قواعد وأشكال «السلوك الاقتصادى» فى تلك المجتمعات التى لم تجتز بعد «عتبة التاريخ» فالموروث الثقافية والدينية قد تعوق الحركة والتطور نحو نموذج «الديمقراطية الليبرالية» و«الثقافة الاستهلاكية الغربية» بعض الوقت، ولكن العملية سوف تنتهى بالاختيار- على سبيل المثال- بين الموروث الاسلامى والأنماط الاستهلاكية الحديثة، فى مجتمعات بلدان الشرق الأوسط

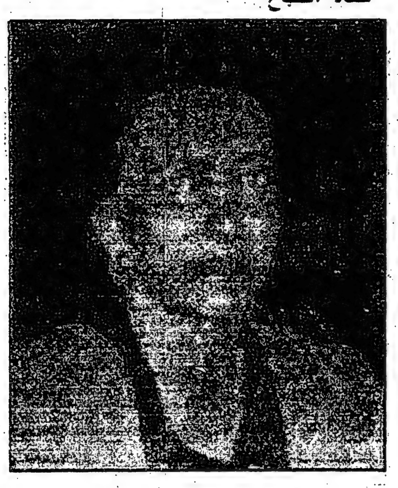
ولكن تلك النظرة الفوقية «المثالية» الواثقة- المستمدة من غرور «العقل الغربى»- سرعان ماتفصح عن «براجميتها» العميقة عندما تصطدم بممارسات الغرب فى أزمة الخليج» إذ نجد الأستاذ فوكوياما نفسه (فى مقال حديث نشرته له جريدة الجارديان بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٩٠)، يعترف بأن البلدان الغربية التى عبرت «عتبة التاريخ» (مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا) تقبل التعامل مع نظم بلدان الخليج المتخلفة «وغير الديمقراطية» (نظم «ماقبل التاريخ) للحفاظ على مصالحها الإقتصادية الواسعة، دون أدنى إهتمام بالدفاع عن مثل «الديموقراطية الليبرالية».

وهكذا فإن «أزمة الخليج» الراهن، قد أسقطت «ورقة التوت» التى تستر المصالح الاقتصادية «الفجة» التى تختفى وراء «المثل الليبرالية» الكبرى فى الغرب الرأسمالى. وأن «بوش» (زعيم عالم «مابعد التاريخ» لايختلف فى جوهر الأمر عن «صدام حسين» الذى يقدمونه للعالم على أنه رمز من أقوى رموز «عالم ماقبل التاريخ» القائم على الأيديولوجية، والمصالح القومية الضيقة، والقبلية، والمشائريه، الخ..


كارل ماركس

«الخارجون من التاريخ

وعلى نفس الإيقاع والنغمات ، كتبت الدكتورة سعاد الصباح مقالا انفعاليا بعنوان «الخارجون من التاريخ» (راجع: جريدة الحياة، العدد الصادر بتاريخ ١٢/١٢/١٩٩٠). إذ صدرت المقال بقولها: «فى حين تتجه شعوب العالم إلى العيش المشترك «داخل التاريخ»، يتجه العرب بحركة معاكسة، بإصرار لاشبيه له الى «الخروج من التاريخ» وتستطرد الدكتورة لتقول: «ميثاق باريس التاريخى، ألغى الحدود، وألغى الحروب، وألغى الأسلحة ، وألغى العدوان وانتقل من «مجتمع حربى» يتعامل بالصواريخ، والقنابل النووية، والتعصب الأيديولوجى، إلى «مجتمع حضارى» يحل مشاكله بالحوار العلمى، والرأى الحر، والمصلحة المشتركة ، والفكر البراجمانى».


سعاد الصباح


ستالين

ثم تنتقل للمنطقة العربية لتقول: «تقف» الأمة العربية الواحدة ذات الرسالة الخالده»، فى حالة موت غير معلن، فلا أحاسيسها الخمسة تشتغل، ولا «هوائياتها» تلتقط الإشارات القادمة من المستقبل، ولاعقلها قادر على أن يستوعب النبوءات التى يحملها القرن الحادى والعشرين.. الفكر القبلى، مازال بصحة جيدة، والقبائل لاتزال تتقاتل على الماء والكلأ. الجاهلية لاتزال ترفض أن تغادر خيمتها لتشاهد ما يجرى فى مجلس العموم البريطانى»

وكأن هناك «تاريخ واحد» يصنعه الغرب، ولاتملك بقية الشعوب، والأمم سوى «التقاط الإشارات الحضارية» القادمة من الخارج... والامتثال للنظام الدولى الجديد بالآته وآلياته. وكأن الغرب توصل إلى ميثاق باريس «التاريخى» فى ٢١ نوفمبر ١٩٩٠، نتيجة قرار عقلانى رشيد- لأناس إكتشفوا عبثية الحروب والنزاعات المسلحة والمطامع التاريخية والجغرافية- وليس كمحصلة لمخاض تاريخى طويل، تخللته صراعات وتوترات وحروب مدمرة ، حتى نضجت الظروف الموضوعية لتوقيع هذا الميثاق فالكل يعرف أن هؤلاء «الأوربيون المتحضرون» قد مروا مثلنا تماما بتلك المرحلة التى تسميها الدكتوره سعاد الصباح«بالمرحلة الجاهلية» (أو بمرحلة «ماقبل التاريخ» على حد تعبير الاستاذ فوكوياما).

ولماذا نذهب بعيداً... هل تصدق الدكتورة سعاد الصباح حقا أننا نعيش فى «عالم يؤمن بالحوار الحضارى»، ونبذ الحروب، وإلغاء الأسلحة والعدوان: فى الوقت الذى تكرس فيه اسرائيل إحتلال الضفة الغربية، وتمارس القمع والعدوان المسلح ليل نهار، وتحتل جنوب لبنان بقوة السلاح، وتتمتع بالفيتو الأمريكى «الحضارى» فى مجلس الأمن فى اللحظات الحرجة!

إن ميثاق باريس «التاريخى» هو وثيقة أوربية، لاتمتد كثيرا خارج «نطاقها الجغرافى».. وإن على كل منطقة من مناطق العالم أن تصنع تاريخها ، بواسطة شعوبها وقبائلها وعشائرها، من خلال مخاض تاريخى طويل.. ومن حق هذه الشعوب أن ترسل إشاراتها هى الأخرى إلى العالم المتقدم (عالم «مابعد التاريخ..») ولكن يبدو أن هوائيات تلك البلدان لاتلتقط تلك الإشارات المتخلفة القادمة من «الشرق» و«الجنوب» لأنها تقع «خارج التاريخ». فطوبى للداخلين إلى «نادى التاريخ» مع الداخلين، والويل كل الويل لمن يبقى خارج التاريخ!

حول العلاقة بين العلم والحرية

مصطفى طيبه

من المعروف تاريخياً أن إنتشار المثل الأعلى للحرية ارتبط ببداية الثورة الصناعية الأولى- وإستغلال الإنسان للطبيعة على أساس الفهم الصحيح لقوانينها. ذلك أن إنطلاق الثورة الصناعية ارتبط أشد الإرتباط بإكتشافات العلم الحديث منذ القرن السابع عشر. ومن هنا تبرز العلاقة الوثيقة بين التطور العلمى، وبين توسيع نطاق مفهوم الحرية، ليشمل علاقة الإنسان بالطبيعة من ناحية - وعلاقته بالمجتمع والدولة من ناحية أخرى- فالعلم قوة تحريرية كبرى.. تحرر الإنسان من الجهل وانحرافات، ومن التسليم بسلطة سياسية تستمد شرعيتها من الحق الإلهى بعيداً عن إرادة البشر.

لذلك فإن العلاقة بين العلم والحرية، تطرح عادة داخل نطاق مستويين متلازمين، هما أثر الحرية فى إطلاق الطاقات الإبداعية للعلماء.. وأثر نتائج هذا الإبداع العلمى على توسيع نطاق حرية الإنسان.

فمنذ بداية عصر النهضة وظهور البوادر الأولى للمنهج العلمى- برزت العلاقة الطردية بين العلم والحرية، واكتشف الفكر الانسانى أن التقدم فى أحدهما، يؤدى الى تقدم الآخر. فلم تكن الكشوف العلمية التى توصل اليها «كوبر نيكوس» و«جاليليو» و«نيوتن» تعنى بداية عصر جديد فى تاريخ العلم فقط، إنما تحمل فى طياتها تحرير الإنسان أيضا من خرافة الاعتقاد بأن الأرض هى مركز الكون- وأن هذا الأخير - الكون- يدور حولها ويخضع لسلطانها.

ولاشك أن تقدم العلم التطبيقى، أو التكنولوجيا- إرتبط بتصاعد النضال من أجل الحرية السياسية.. محركة المطالبة بتعديل قوانين الانتخابات البريطانية- حققت أعظم نجاح عام ١٨٣٢.. أى فى نفس الفترة التى إتسمت بتطور العلم والتكنولوجيا أثناء انطلاق الثورة الصناعية أو لنقل المرحلة الأولى من الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة.

***

ولم تكن الكشوف الفلكية تحدث بمعزل عن الكشوف الطبية والإجتماعية، والعديد من الميادين العلمية الأخرى. ففى نفس الوقت الذى كان «جاليليو» فى إيطاليا يصوب تلسكوبه نحو السماء، ويكتشف بعض أقمار كوكب المشترى، كان ڤان لوفينهوك فى هولندا ينظر من خلال مجهره الصغير، الى هذه الكائنات الحية المتناهية فى الصغر وهى تتحرك فى الماء، ويكون هذا أول الطريق المؤدى الى اكتشاف عالم الميكروبات.. وعلاقتها بالأمراض - وتحرير الانسان من خرافة الأرواح الشريرة المسئولة عن الامراض.

وكان الفلاسفة والمفكرون- يركزون أبحاثهم حول المجتمع، والدولة ويحاولون إنزال القوانين التى تحكم العلاقة بين أفراد المجتمع، والدولة، من السماء الى الأرض... أى باعتبارها علاقة «تعاقدية» يجب أن تحكمها أسس عقلانية مفهومة.

وذلك يعنى أن سعى العلم لمعرفة قوانين الطبيعة من حولنا، إرتبط بالبحث عن الظواهر المسئولة عن الأمراض- والبحث عن أسس جديدة تحدد علاقة الفرد بالمجتمع.

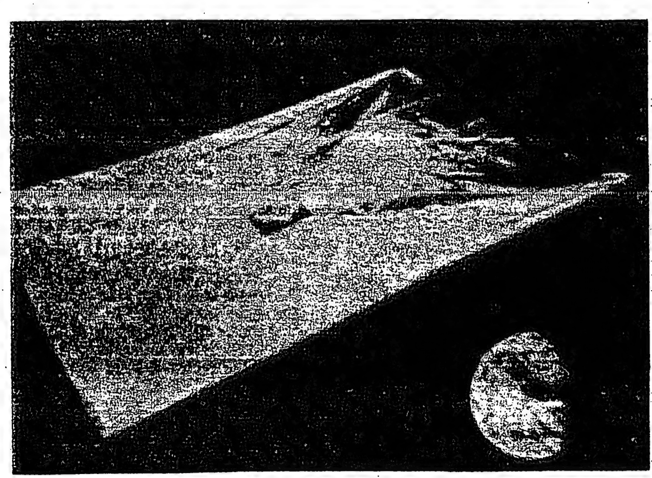
ومع كل تقدم علمى جديد، كان يصاحبه تقدم فى ميدان الحرية، كما أن هذه الحرية، كانت تزيل المزيد من القيود أمام حرية البحث العلمى بوجهيه النظرى والتطبيقى، وتطلق المزيد من الطاقات الخلاقه عند المبدعين فى شتى الميادين.

وكان لهذا الارتباط آثاره العميقة فى العلاقة بين المطالبة بالحريات الديمقراطية، وبين تقدم العلم... ذلك لأن الحرية والعلم فى أعلى صورهما ديموقراطيان.

لكن الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة، أو لنقل المرحلة الثانية أو الثالثة من الثورة الصناعية التى إنفجرت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تعيد طرح هذه القضية من جديد.. وتدفع بالكثير من العلماء والمفكرين الى طرح سؤال هام- وهو:

هل مازالت ثمار العلم والتكنولوجيا تستخدم لتحقيق المزيد من الحرية للإنسان، أم أن هذه الثمار يتجه جانب منها نحو «تهميش» هذه الحرية، لسيطرة أقلية ضئيلة من البشر، على مصير التوجهات الرئيسية للعلم والتكنولوجيا، بما فى ذلك إمكانية تهديد الجنس البشرى بالفناء الشامل؟

الإجابة على هذا السؤال، تقتضى القيام



بمقارنة موضوعية، بين الأسس التى يستند اليها المثل الأعلى للديموقراطية، وهى الحرية، والمساواة، والمشاركة، وبين مايجرى فى أكبر قلاع الديموقراطية الليبرالية، التى هى فى الوقت نفسه أكبر قلاع التقدم العلمى والتكنولوجى.

إن إستقراء تاريخ الفكر والممارسة الديموقراطية، يقودنا إلى استخلاص المبادىء الثلاثة التى أشرنا اليها.. وهى الحرية، بمعنى إحترام الحريات المدنية والسياسية للمواطنين، مثل حرية التعبير والحق فى الإجتماع والتنظيم. ثم المساواة فى بعديها السياسى والاجتماعى، المتمثل فى مساواة الجميع أمام القانون، بغض النظر عن الجنس أو الدين أو المركز العلمى أو الإجتماعى... وتوفير الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى تمكن المواطن من ممارسة حقه فى الحرية وبطريقة إيجابية فعالة. وأخيرا المشاركة، والتى تعنى بالدرجة الاولى. ديموقراطية القرار السياسى، بأن يكون محصلة لافكار ومناقشات المواطنين الذين يتأثرون بهذه القرارات.

تلك هى أهم المكونات الأساسية للنظام الديموقراطى.. فهل تتيح منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية، إمكانات تطوير وتأكيد هذه الأسس، أم أن سيطرة أقلية من البشر على تحديد إتجاهات هذه الثورة والتحكم فى مصير ثمارها، يضيق من نطاق هذه الاسس؟

يقول الكاتب الامريكى «فانس باكارد» فى كتابه «المشكلون لسلوك الشعب»: «من الممكن إستخدام معارفنا المتطورة لاستبعاد الناس بطريقة لم يحلم بها أحد من قبل- بالغاء شخصيتهم المتميزة، والسيطرة عليهم بوسائل يتم، إختيارها بعناية بحيث لايدركون أبداً أنهم فقدوا شخصيتهم»

وأول ميدان حقق نجاحا مذهلا فى هذا المجال، يتمثل فى «الإعلان» فلم يعد الإعلان مجرد قوة خطيرة، لكنه تحول إلى سلطة إجتماعية فى العالم الغربى تؤثر فى إرادة الناس، وتدفعهم الى سلوك استهلاكى لايعبر عن إحتياجاتهم الحقيقية.

فى هذه الصناعة الرهيبة، المسئولة عن «تنميط» وتشكيل الناس، يعمل الآن أعظم علماء الاجتماع، وعلم النفس، والاتصالات والكثير من التخصصات الأخرى.

***

والسيطرة الإعلانية على المستهلكين لاتنفصل عن السيطرة السياسية على عقول الناخبين، وتشكيل إتجاهاتهم السياسية وفقا «للقوالب» التى تختارها القوى المسيطرة على ثمار الثورة العلمية والتكنولوجية، وخصوصا ثورة الإعلام المعاصرة.

فالنجاح الذى حققه خبراء الاعلان، إمتد بسرعة الى عالم السياسة. بحيث أصبحت معارك انتخابات الرئاسة فى الولايات المتحدة الامريكية، تجرى بين فريقين من خبراء الدعاية والاعلان، لايعرف الجمهور عنها أى شئ وكل فريق يقف مع أحد المرشحين.

وفى نظام تلعب فيه المؤسسات الصناعية والمالية الكبرى الدور الرئيسى، يصبح الحديث عن المساواة فى الحقوق السياسية، وخصوصا حق التقدم لخوض معركة الرئاسة فى أمريكا، أسطورة تثير السخرية. فلاحظ لأى مرشح أن ينتخب اذا كان مغضوبا عليه من جانب القوى المسيطرة على الاقتصاد ووسائل الاعلام. فالدعم المالى أصبح العنصر الرئيس فى المعارك الانتخابية.

يقول العالم الامريكى «نيقولاى جونسون»: أن معركة الرئاسة فى الواقع تجرى بين فريقين من كبار خبراء التليفزيون

مثلا: انتخاب الرئيس ريجان عام ١٩٨٤ إحتاج الى ٥٠ مليون دولار.. خصص منها ٣٠ مليون دولار للدعاية فى التليفزيون فقط

فى عام ١٩٣٢، استطاع روزفلت تقديم رؤية إقتصادية جديدة... حملها برنامجه الاقتصادى وسط القتامة الشديدة الناتجة عن أزمة بداية الثلاثينيات الشهيرة. كان يتبنى فلسفة سياسية، تعد بتوفير الرخاء، وفقا لبرنامج محدد دافع عنه بحرارة حتى حقق النصر فى الانتخابات.

وبعد أكثر من ٤٥ عاماً فان الممثل الفاشل رونالد ريجان إستطاع إحراز الإنتصار ليس بسبب برنامجه أو فلسفته، ولكن بفضل منجزات عصره «التليفزيونى» و«الكومبيوترتى» فبرنامج ريجان كان يحمل فى طياته خفض الخدمات الإجتماعية، وتأجيل مطالب الفقراء والعاطلين ومضاعفة نفقات التسلح.. باسم إعادة عظمة الولايات المتحدة، وقوتها، وهيبتها.. الى حد جعل خبراء الاعلان والدعاية يصفونه بالمنقذ الذى أرسلته «العناية الإلهية» لإعادة مجد وعظمة أمريكا



***

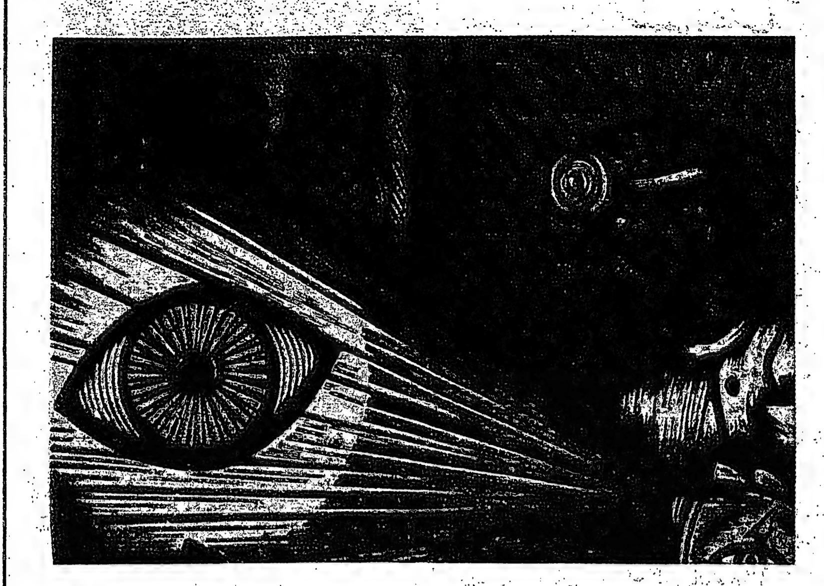
وإذا كان التليفزيون يؤدى هذه الوظيفة الخطيرة فى اللعبة الديمقراطية الزائفة المستندة إلى تشكيل إتجاهات الناخبين وفقا للقوالب المطلوبة فان تطور تكنولوجيا الصحافة- يضيف بعدا جديدا إلى هذه القضية.

فى كتاب «بيع وشراء الصحف الأمريكية» يكشف الكاتب «لوران جيلون» عن حقائق خطيرة.

كان فى الولايات المتحدة ١٧٠٠ صحيفة، تصور وتوزع فى الولايات المتحدة والمدن الصغيرة. الصحف الفدرالية محدودة. لاتتجاوز أربع صحف أو خمسا، وفى مقدمتها «نيويورك تايمز» و«يواس توداى» و«لوس أنجلوس تايمز» و«واشنطن بوست» وأحدث قانون التحول التدريجى من المنافسة إلى الاحتكار، بعد تعاظم نحو الثورة الصناعية، تغييراً جذرياً فى الصحافة الامريكية، فمع تقدم التكنولوجيا دخل القادرون على شرائها وإمتلاكها هذا الميدان.. وتحولت الصحافة التى نشأت فى القرن الماضى كوسيلة لنشر الأخبار والأراء الحرة- إلى مشروع صناعى ضخم، أكثر إنضباطا وتوجيها، وأسرع ربحاً وانتشاراً. وشهدت الفترة من عام ١٩٧٦-١٩٨٣ بيع وشراء ٣٥٤ صحيفة يومية... ٨٨٪ منها إندمجت فى دور النشر العملاقة.

وفى عصر سيطرة أقلية ضئيلة من الناس- على مصادر الثروة والسلطة والتوجهات الأساسية للثورة العلمية والتكنولوجية، يصبح التحالف والاتحاد والاندماج بين مجموعات النشر العملاقة، وبين وسائل الاعلام الاخرى، أمراً مفهوما منطقيا اذ أن هذه المؤسسات لاتمتلك الصحف والمجلات فقط، بل تلتهم أيضا محطات الاذاعة والتليفزيون.

إن مجموعة «دونرى» مثلا- تمتلك محطة تليفزيون- و٣ وكالات محلية- و٦٠ محطات راديو، و١١ وكالة إعلان. ولكل مؤسسة مواقف سياسية واجتماعية ترتبط بمصالح مجموعات اقتصادية قومية فى



المجتمع. من يعمل مع هذه المؤسسات، لابد أن يلتزم بمواقفها، مع هامش زائف محدود للحرية يسمح بالتنوع «المرسوم» سلفا، حتى لاتضيع معالم «الديكور» أمام الجماهير.

*****

فى كتاب «دولة الكومبيوتر» يقول الكاتب الامريكى «دافيد برنهام» «أفتحوا عيونكم جيدا فان التقدم لايقدم فقط إمكانات جديدة للمستقبل.. إنما يفرض أيضا قيودا جديدة. لقد أصبحنا عبيد تقدمنا التكنولوجى، ومشكلتنا أننا نريد أن يكون العبيد أذكياء. وفى نفس الوقت نريدهم مطيعين.

ماهو الدور الذى يقوم به الكومبيوتر فى المعارك الانتخابية الكبرى؟

فى عصر تتراجع فيه المنافسة بين المرشحين حول البرامج والأهداف والفلسفات ،بل وتتراجع فيه إهتمامات المواطن العادى بالمشاكل السياسية، تبرز الى الوجود أجهزة عملاقة- تتنافس فيما بينها. تحت إشراف أعظم خبراء توجيه وتشكيل إتجاهات الناخبين «الأحرار».

ففى الجداول الانتخابية يوجد قدرا هائلا من المعلومات عن كل ناخب، يسهل تحليلها، وتشريحها- وتصنيفها. تمد القائمين على إدارة الحملات الانتخابية بما يحتاجونه عن أعمار الناخبين، وأصولهم الاجتماعية، والعرقية. وانتماءاتهم الحزبية، والمواطن السكنية ومئات المعلومات الأخرى مسجلة كلها فى «بنوك المعلومات» التى تتكون من أجهزة كمبيوتر ضخمة. وعندما تدخل هذه المعلومات أجهزة متخصصة أخرى لكومبيوتر، تضع أمام مديرى الحملات الانتخابية صورة دقيقة عن أفضل أساليب التأثير على الجماعات الإنتخابية المراد تأييدها.. باستخدام وسائل الإغراء، وتقديم الوعود. لكل فئة بما يتفق مع مصالحها.

ثم تأتى المرحلة الثانية التى تتجاوز نطاق البحث والتنقيب والتعبئة، وحسم المترددين لتصل الى تعقب المنافسين ومحاصرتهم وكشف أخطائهم وتناقضاتهم وفى هذه المرحلة تقوم أجهزة الكومبيوتر بالدور الاول أيضا حيث تقدم أكثر الأسلحة فعالية عن طريق استرجاع الشريط الكامل لحياة كل مرشح الشخصية والعامه والتصريحات التى أعلنها فى مختلف مراحل حياته. وجميع المعلومات تستخدم بعناية لتحقيق الأهداف المطلوبة.

يبرز كتاب من يحكم أمريكا الذى صدر منذ أكثر من عشر سنوات، والذى قام بدراساته وتحليلاته مجموعة من الباحثين وأساتذة الجامعات من الولايات المتحدة.. عدداً من الحقائق الخطيرة.. منها:

أن هناك نحو ٥٠٠٠ شخص، من بين أكثر من ٢٠٠ مليون أمريكى، يحتلون قمم السلطة فى القطاعات فى القطاعات الثلاثة التى يتركز فيها غالبية موارد البلاد، وهى قطاع الشركات والمؤسسات، وقطاع الحكومة، وقطاع الرأى العام.

الذين يسيطرون على قطاع المؤسسات والشركات فى الصناعة والبنوك وشركات التأمين ينحصر عددهم فى ٣٥٧٢ شخصاً فقط.. هم الذين يقررون ماذا يجرى إنتاجه وأى أنواع التكنولوجيا يجب تطبيقها وتطويرها.

والذين يسيطرون على قطاع الرأى العام، من تليفزيون وإذاعة وصحافة يبلغ عددهم ١٥٥٨ من بينهم من يسيطرون على شبكات التليفزيون الثلاث «س.بى.اس» و«إن.بى.سى» وإيه.بى .سى ويعدون من أقوى الشخصيات نفوذا فالتليفزيون هو المصدر الرئيس للمعلومات بالنسبة للأغلبية العظمى من الشعب. وفى مقدور من يسيطرون عليه التلاعب ببحر واسع من المعلومات، وتركيز الإنتباه على جانب معين من مشكلة بعينها.

***

هكذا، عندما تركز دور النشر فى أيدى عدد محدود من المجموعات شبه الإحتكارية، وسيطرة مجموعات تحمل نفس الصفة على بنوك المعلومات الكومبيوترية- وتحالف هذه المجموعات مع القوى المهيمنة على المؤسسات المالية والصناعية تصبح الصورة أشد وضوحا، فنحن أمام مجتمع يسيطر عليه عدة آلاف من عمالقة الصناعة والمال والإعلام، يملكون القدرة على توجيه ثمار الثورة العلمية والتكنولوجية لتحقيق أهدافهم، والسيطرة على عقول وتطلعات واتجاهات الغالبية العظمى من الشعب الأمريكى .. بل والتأثير المتعاظم على الشعوب الأوربية وشعوب العالم الثالث.

وهكذا انكشف إختلال العلاقة القديمة بين العلم والحرية.. نتيجة لسيطرة أقلية من الناس على أهداف وتوجهات البحث العلمى، والإنجاز التكنولوجى ،والسيطرة على أجهزة الاعلام ، والاعلان والمعلومات ومراكز الابحاث فى الجامعات وغيرها... بحيث أصبحت المؤسسات الديمقراطية مجرد هياكل خالية من المضمون الحقيقى... تنحصر مناقشاتها، وقراراتها ، واتجاهاتها فى نطاق المصالح الأساسية للمسيطرين. وبحيث يجرى الحوار والخلاف حول أفضل السبل المؤدية الى الحفاظ على مصالح المسيطرين.. وتحويل الغالبية العظمى من المواطنين «الاحرار» الى كائنات تخضع لمنطق هذه السيطرة وتؤمن بحماس غريب بأنها أعظم مخلوقات الأرض تمتعا بالحرية.



حافظ سند
اشتراكى بالمصادفة

د. رفعت السعيد

.. عندما التقيت به كان قد تجاوز الثمانين بعدة سنوات* جلباب من الدمور الرخيص لكنه نظيف نظافة ملفتة للنظر، وحذاء قديم لكنه لامع بصورة تؤكد أن صاحبه قام بتلميعه بنفسه.

..كان هادئا يتحدث بعناية وكأنه يدلى بشهاده أمام محكمة. ذاكرته قوية/ كل التفاصيل حاضرة، الاسماء، التواريخ والأحداث جاهزة فلعله قد استعادها آلاف المرات فى سريرته.

* * *

المهنه تجار..

الوظيفة: عامل تجارة بمجلس مدرية الدقهليه.

محل الميلاد: المنصورة

..«بدأت نشاطى العام، عضوا فى جمعية إسلامية اسمها جمعية الاستقامة، المصادفة وحدها قادتنى إلى الإشتراكية فى ديسمبر ١٩٢١ [تحديدا بعد نفى سعد زغلول إلى جزيرة سيشل] سافرت إلى الاسكندرية لأشترى أخشاباً لمجلس المديرية، أثناء سيرى فى الطريق تقدم إلىّ شخص وعرض علىّ «نشره»، وبعد نقاش إشتريتها منه بخمسة مليمات»

..وتسرع عينا العامل القادم من المنصورة فوق أسطر النشرة ليقرأ فيها كلمات جديدة.. الاشتراكية، الماركسية، حقوق العمال والفلاحين.

من عينه سرى الدفء إلى قلبه واستقر حتى آخر أيام حياته.

الكلمات البسيطة فتحت أمامه عالماً كاملا من التأمل والرغبة فى المعرفة. والمليمات الخمس التى إقتطعها من دخله البسيط إشترت له حياة جديدة تماماً. توقفت أنفاسه أمام العبارات الصادقة التى تحمل ترقيع «الحزب الاشتراكى المصرى» وعنوانه شارع نوبار بالاسكندرية.

وكما يقع حب النظرة الأولى، وقع حافظ سند فى هوى الاشتراكية.. وترك كل شىء ليتجه إلى شارع نوبار حيث مقر الحزب..

..«وهناك قابلت مجموعة أذكر منهم شخصا اسمه إسكندر صاده وأجريت معهم نقاشاحادا»

..العامل الشاب عضو فى جمعية الاستقامة الإسلامى كان وظل حتى النهاية عميقا فى نفسه وتطلب الأمر نقاشاً حامياً ومحتدا حتى تستقر الاشتراكية داخل قلبه جنبا إلىَ جنب مع الاسلام..

..«أخيراً أبديت اقتناعى.. كانوا بسطاء وعماليين، ونجحوا فى أن يؤثروا فىّ تأثيرا عميقا.. واتفقت معهم على أن أفتتح شعبة فى المنصورة للحزب الاشتراكى»

يقول المثل العربى «رب صدفة خير من ألف ميعاد»..

..ويسرع العامل الشاب بفكره الجديد ليبشر به بين معارفه وأصدقائه وجيرانه، وكانت شجيرات المدينة الساحرة مليئة بطيور غيره تنتظر من يبدأ الأنشودة.. فما إن بدأ حتى تجمعت عضوية كثيرة..

..«إتصلت بعدد كبير من الأشخاص منهم محمود قفه [تاجر نحاس] والشيخ أحمد الموافى والسعيد الصبرى ومحمد عبد الجليل ولحق بنا واحد من ابناء الأسر الفنية هو عبد الحميد العلوبجى (خريج جامعة اكسفورد).. وجمعنا تبرعات كانت كافية لافتتاح مقر للحزب فى ميدان الطميهى بالمنصورة.. وكان حفل الافتتاح بهيجا.. وحضره الكثيرون»

..والآن وبعد أن أصبح للاشتراكية نقطة إلتقاء بالمنصورة.. مقر، وأعضاء، ونشرات كانت الخطوة التالية هى الاقتراب من الناس..

الحزب الاشتراكى يمتلك الآن مقراً فليكن المقر ملك للعمال. وهكذا كان.

..«تحولت دار الحزب إلى نادٍ مفتوح للعمال. وفيه افتتحت فصول لمحو الأمية تطوع للتدريس فيها مجانا عدد من المدرسين من أعضاء الحزب، كذلك افتتحنا فصلا لتدريس العمال اللغة الفرنسية وتولى التدريس فيه موظف بالمحاكم المختلطة بالمعاش وكان من أصدقاء الحزب.. كذلك قمنا بتكوين فرقة موسيقية من إبناء العمال واشترينا لهم الآلات ودربناهم عليها، وكانت هذه الفرقة تحيى أفراح العمال مجاناً.. كذلك أعلنا أن الدار ملك للعمال ومن حقهم أن يقيموا مآتمهم وأفراحهم مجانا..»

وقضى الاشتراكية التى وفدت إلى المدينة على يد تجار بسيط لتصبح مثار اهتمام المدينة، ولتحمل همومها أيضا فالمنصورة ليس فيها جمعية للإسعاف.

فمن لهذه المهمة غير الاشتراكيين. وفى المدينة شاب من الأغنياء اسمه حسن عوضين كان يحمل فى قلبه مشروع جمعية الإسعاف دون أن يجد من يهتم به وأخيرا التقى مشروعه بمن يحبون المدينة ويسعون للنهوض بها.. ويمتلكون القدرة والرغبة فى التضحية من أجلها.

وتشكلت من الاشتراكيين أول مجموعة من المسعفين جرى تدريبهم سريعا.. ومرة أخرى يقدم الحزب الاشتراكى مقره لخدمة المدينة.. يصبح أيضاً مقراً مؤقتاً لجميعة الإسعاف.

..وتسرى الاشتراكية فى المنصورة مسرى الحياه.

ويمضى سند ليروى لنا كيف كان الأمر..

«إتسعت عضويتنا ووصل عددنا إلى أكثر من مائتين فى بضعة أشهر»

وأعود لأستوضحه أو بالدقة لأعرب عن شكوكى فى الرقم لكنه يؤكد «أنا متذكر تماما الرقم، وأذكر أن دفتر العضوية إمتلأ تماما وأرسلنا إلى الاسكندرية نطلب دفتراً جديداً

وتشكلت لجنة إدارية من عشرة أشخاص.. الذاكرة تحوى منهم هذه الاسماء:

*شفيق باسيور- مهندس معمارى

*احمد طرابيه- مقاول

*محمد احمد عبد الجليل- موظف بحسابات المجلس البلدى

*الشيخ احمد الموافى- مدرس لغة عربية بمدرسة العزيز

*السعيد الصبرى- عامل (جزمجى)

*حافظ سند- عامل (نجار)

*عبد الحميد الطوبجى من الأعيان

ويستلفت اسم الشيخ احمد المرافى نظرى، ويؤكد حافظ سند «انضم إلينا سبعة من رجال الدين وكانوا يلقون فى مقرنا خطبا ومواعظ تلقى استحانا»

..وتأتى انتخابات المجلس البلدى ويرشح الوفد واحداً من أقطابه هو كامل يوسف صالح، ويتصل المرشح الوفدى بالحزب [كان الحزب قد أصبح شيوعيا].. ويتفق الحزبان على التعاون معا فى المعركة الانتخابية.

وتضم القائمة الموحدة عدداً من الوفديين على رأسهم كامل يوسف صالح وأحد أعضاء الحزب الشيوعى هو سعد عثمان نور.. وتفوز القائمة ويصبح للحزب الشيوعى أول عضو منتخب فى المجلس البلدى.

لكن الناجحين جميعا من وفديين ومستقلين كانوا يحملون تقديراً عاليا لدور الحزب الشيوعى فى إنجاحهم، وينعكس هذا التقدير فى أول اجتماع للمجلس إذ يصدر قراراً فى أول جلسة له باعتبار دار الحزب الشيوعى المصرى بالمنصورة داراً ذات نشاط اجتماعى مفيد، ومن ثم تقرر اعفاءها من دفع قيمة استهلاك المياه والكهرباء..

ويبدأ الحزب إقامة دورة تثقيفية لأعضائه، وتبدأ سلسلة من المحاضرات يلقيها ثلاثة من قادة الحزب وهم الشيخ صفوان ابو الفتح ومصطفى ابو هرجه [سكرتير اتحاد نقابات العمال] واسكندر صاده والثلاثة أعضاء فى اللجنة المركزية..

ومن المنصورة ينطلق الاشعاع إلى الريف.

..«كانت هناك شعبة فى سمنود وقد زرتها أكثر من مرة، وقد ضممنا إلى صفوفنا عدداً من المهندسين الزراعيين وعن طريقهم بدأنا العمل فى الريف كذلك بدأ الأعضاء يتصلون بمعارفهم وأقاربهم فى الريف المجاور للمنصورة، وعندما وجهت إلينا الضربة البوليسية كنا على وشك تأسيس شعبة بالسنبلاوين وشعبة بالمنزلة وتأسيس هاتين الشعبتين كان كفيلا بإقامة إتصال مباشر بالريف»

ونأتى إلى الحديث عن الضربة البوليسية..

..«لم نكن مستعدين لها.. ولا مدربين على مواجهتها لقد كنا فى بداية نشاطنا، ولم تتح لنا فرصة كافيه للعمل وتربيه الاعضاء تربية حقيقية، حتى نحن الذين كنا نشغل مواقع قيادية لم نكن قد أصبحنا بعد كوادر حقيقية رغم أننا كنا نشطين جداً، وفور عملية القبض الأولى على قادة الحزب [١٧ مارس ١٩٢٣] صدرت تعليمات بحرق دفاتر العضوية حتى لايحصل عليها البوليس.ولكن نشاطنا ظل علنياً»

..والضربة البوليسية لم تكن مجرد عملية قبض على عدد من القادة بل كانت خطة مدروسة تستهدف إقتلاع هذا النبت من تربة مدينة المنصورة..

..بدأت العملية بحملة صحفية من جريدة كانت مغمورة ولم تكن تهتم بالسياسة اسمها «الدلتا» وكانت تصدر فى المنصورة ثم صدرت الأوامر باستدعاء كافة الأعضاء الموظفين بالحكومة لمقابلة مدير الدقهلية الذى كان يطلب منهم كتابة نص يستنكرون فيه الشيوعية.. فإن رفضوا ألقى القبض عليهم وفصلوا فوراً من عملهم.

..ولم تكن قيادة الحزب قد تحسبت لهذا الامر، ولم تكن تمتلك لا القرار المحدد ولا التقاليد الخاصة بموقف كهذا فمحمد عبد الجليل أكد انه اشتراكى لكنه ليس بلشفيا، ومع ذلك صدر قرار فصله من عمله، وكان قرار الفصل من الوظيفة الحكومية يعنى فى هذه الايام حكما بالتشريد، وبعد إلحاح أعيد إلى الوظيفة مع نقله إلى سوهاج.

..ويأتى الدور على حافظ سند..

النجار البسيط يتم اقتياده إلى غرفة الباشا المدير، بجلباب وشبشب وقف ليستمع إلى تهديد الباشا المدير بالفصل والتشريد، إذا لم يكتب مستنكراً الشيوعية.

هو منذ البداية كان مع إبقاء اسم الحزب «الحزب الاشتراكى المصرى» وصوت فى اجتماع اللجنة الإدارية للفرع.. ضد الرضوخ

قابلت حافظ سند واجريت حواراً مسجلا معه فى مدينة المنصورة يوم ٢٩-٥-١٩٦٩. والاقتباسات المنسوبة اليه فى هذا المقال منقوله عن هذا الحوار

لقرار الكومنترن بضرورة تغيير اسم الحزب..

ولم يكن لديه تعليمات محددة من قيادته. يقينه كان مستقرا منذ البداية على الاكتفاء باسم الحزب الاشتراكى.. حاول الباشا المدير أن يمليه لكنه رفض. أمسك ورقة وقلما وكتب..

قلت فى البداية «جلس حافظ سند أمامى.. وكأنه يدلى بشهادته أمام محكمة..» الآن كان يتحدث بخشوع كأنه يجلس أمام مسئوله القديم «الشيخ صفوان ابو الفتح» ليقدم له حسابا عما كان..

احتفى الزمن، والمسافات، وعاد الشيخ شابا وكأنه خارج لتوه من غرفة الباشا المدير.. ليقدم تقريراً عما حدث لمسئوله..

بدأ بالقسم، «اقسم بشرفى الشيوعى» ثم بالتأكيد «انا متذكر النص بالحرف ولم أنس منه حرفاً» وبعد القسم والتأكيد، كانت الشفاه العجوز تزداد إرتعاشا وهى تردد النص الذى كتبه النجار أمام الباشا المدير قبل قرابة النصف قرن.. النص يقول «بما أن العمال فى مصر بين قوات ثلاث: الاستعمار الظالم، والحكومة التى تربت فى أحضانه، والقابضون على زمام الأموال، فإن على العمال ان يكتفوا بحزب عمالى وان يبتعدوا عن الشيوعية».

النص لم يعجب الباشا المدير، ولن يعجب رؤساءه، أمسك بالورقة وألقاها فى وجهه وأمره أن يغيرها، أن يحذف الهجوم على الاستعمار وعلى الحكومة وان يدين الشيوعية..

ورفض حافظ سند أن يغير حرفا واحداً مما كتب.

وفصلوه من العمل.. فعمل نجاراً فى محل صغير، وظل البوليس يلاحقه، يحاصره يستدعى كل زبون يتصل به، كل من يتردد على محله، كل من يجلس معه على القهوة، كل من يزوره فى منزله، كل من يحييه فى الطريق العام.. ليحذره من مغبة الإتصال بهذا الشيوعى الخطر..

...كانت الشهادة تقترب من نهايتها اشفقت على المناضل العجوز من استمرارها، تلبسنى الإحساس أنه يضع نفسه موضع المحاكمة سألته سؤال غير معتاد..

س: هل لديك أقوال أخرى؟

ج: أريد أن أقول أننى لا أزال ماركسياً وسأبقى طوال حياتى ماركسياً، وأننى حزين لأننى كتبت هذه الورقة عام ١٩٢٤ تحت ضغط وإرهاب السلطة، ورغم أنها لم تعجبهم ورغم أن الباشا المدير مزقها... الا أننى أشعر أننى اخطأت بمجرد كتابتها»

وانتهى النقاش



جلاسنوست يوسف شاهين "٢"

صورة الواقع في مرآة الذات

أحمد يوسف

جلاسنوست يوسف شاهين (٢) صورة الواقع فى مرآة الذات

أحمد يوسف

بالقدر الذى كانت فيه صورة البطل فى أفلام يوسف شاهين- التى عبرت عن رؤيته الذاتية- صورة للذات النبيلة، المتسامية، المأساوية، كان الواقع على العكس تافها، ومبتذلاً، مثيراً للسخرية والرثاء معاً، يمارس- بسوقيته ولامبالاته- قمعاً وحشياً على البطل الوحيد وهو يمضى إلى الضياع، مثلما وقفت الجماهير فى المشهد الأخير من فيلم «باب الحديد» تنظر إلى قناوى، بمزيج من الشفقة والشماتة، مقيداً فى قميص المجانين بينما يصرخ: (عم مدبولى، ماتسيبنيش)، وتضيع صرخاته بلا صدى، فيهتف ملوحاً للجماهير متوعداً: (آنا ها اوريكم).

سوف يظل قناوى، كأبطال آخرين ليوسف شاهين، يبحث عن الانتقام من الجماهير، وسوف يظل يوسف شاهين نفسه يجسد هذا الانتقام فى بعض أفلامه عندما لايترك للجماهير فى الدراما السينمائية دوراً إلا أن تكون (خلفية)، تائهة، مشوشة ومرتبكة، لصراع البطل فى عالم مغلق على الذات. حتى فى «العصفور»، أكثر أفلام يوسف شاهين اقترابا وفهماً للجماهير ودورها فى صنع مصير الوطن، وفى «بونابرت»، أكثرها ابتعاداً عن هذا الاقتراب والفهم، تبدو الجماهير أقرب إلى الغوغاء الذين لايتوقفون عن الصخب والمجادلة العقيمة، ثم يعودون إلى السكون كأنه الموت. فى اللقطات الأولى من «العصفور» تصورهم الكاميرا على نحو فوتوغرافى خالص، كأنهم الطبيعة الصامتة فى لوحات فولكلورية: نساء تحملن جراراً، رجل ينخل، عمال التراحيل، فلاحات عجائز يجلسن إلى جوار حائط متداع، لتتحول صورهم على الشاشة، فى اللقطات التالية مباشرة، من خلال عينى رءوف بطل الفيلم، وباستخدام العدسات المشوهة، إلى مسوخ حقيقية، تشاهد دون أن تحرك ساكناً معركة البطل مع المجرم الخطير أبو خضر فى مغارته فى جوف الجبل- أما فى «بونابرت» فستجد الجماهير يقتسمون أدوار الدراويش السادرين فى الطقوس الغيبية، أو الرعاع الأفظاظ الذين ينطلقون كالوحوش الهائجة- بينما تظهر الحمير فى الحظيرة فى مقدمة الكادر- لينهبوا التراث العلمى للحملة الفرنسية فى وحشية حقيقية، يمزقون كتبها ويلعبون بأدواتها كالأطفال.

وبين «العصفور» و«بونابرت» سوف تتراوح صورة الجماهير فى أفلام يوسف شاهين بين التعاطف تارة والاحتقار تارة أخرى. إنها الجماهير التى تجسدها فى «حدوتة مصرية» شخصية نبقة - الأصل الواقعى لهنومة فى «باب الحديد» التى تبدو لنا كأنها تجمع رفاقها البسطاء بين الصدق والزيف، فيجد البطل يحيى سلوانه وإلهامه فى شقتها المتواضعة فى حى الحسين القاهرى، لكنها تحذره من أن (يفضح) حقيقة حياتها فى أفلامه!

المرأة، العالم، الوطن:

لم تكن نبقة تمثل فقط رؤية يوسف شاهين المتناقضة لطبقة الجماهير الفقيرة، الكادحة على أكل عيشها فى ظل ظروف صعبة، وإنما كانت أيضاً نموذجاً للمرأة فى أفلامه التى عكست- من خلال العالم الفنى الخاص- صورة أكثر صدقاً لعلاقة البطل مع واقعه. وبدءاً من «الاختيار» وحتى «اسكندرية كمان» سوف يختفى ذلك التردد ليصبح رؤية حاسمة، قاطعة، متشائمة لصورة المرأة والعالم. فإذا كانت بهية فى «الاختيار» أكثر انتماء للرمز الميتافيزيقى عند نجيب محفوظ (الذى اشترك مع يوسف شاهين فى القصة السينمائية)، فتبدو وهى البغى الفاضلة كأنها الأرض التى تمنح البشر عالماً خصباً من الخطيئة واللذة، فإنها تصبح فى «العصفور» (الذى اشترك لطفى الخولى فى رؤيته السينمائية) أقرب إلى الرمز السياسى للوطن (ولتلاحظ استخدم التيترات لأغنية أحمد فؤاد نجم الشهيرة: «مصر ياامه يابهيه»)، فهى تقضى حياتها تصنع الملابس للممثلين دون أن تنال دوراً حقيقياً واحداً. وفى الفيلمين معاً تكون بهية- «كنبقة» فى «حدوتة مصرية»- هى التى تمنح تلك (اليوتوبيا) الجميلة حين تفتح أبواب بيتها للجميع.

لكن تلك اليوتوبيا تتلاشى تماماً عندما تنقسم شخصية المرأة فى «عودة الابن الضال» إلى شخصيتين متناقضتين تجمعان بين الواقع والرمز معاً: الأم رتيبة التى تظل تفتح بيتها لجميع أفراد الأسرة رغم تناقض شخصياتهم، لكنها تمارس عليهم قمعاً شاملاً بقسوتها التى تختفى خلف قناع من الحنان الزائف، وابنة الخالة فاطمة، التى تملك كل ممتلكات الأسرة لكنها تغيب عن التأثير الفاعل حتى على مصيرها الشخصى، وتتعرض للاغتصاب على يد الابن الغاشم «طلبه»، وتحلم- فى

أحلام يتفتها الجنسية- بعودة الابن الضال الذى يعود منكسراً متمثلاً، فتضيع الأحلام، وتتحول اليوتوبيا الهشة إلى كابوس كامل.

إنه الكابوس الذى يسود عالم «حدوتة مصرية» فيما بعد، وإن تضاءل فيه الرمز السياسى ليحل محله شعور وجودى بالإنسحاق أمام الآخرين، فتمارس كل النساء تمعهن على بطل الفيلم: الأم، والأخت، والزوجة، حتى تمرد الابنة يصبح تأكيداً لهذا الانسحاق. لذلك يتهمهن البطل بأنهن تنهشن لحمه، كما يبدو فى حواره مع الأم وكأنه يحاكى مونولوج هاملت فى مخدع أمه، يتهمها بخيانتها لأبيه- سوف تدور كل المشاهد التى تم إعدادها عن هاملت فى «اسكندرية كمان» عن خيانة الأم التى تبدو- فى الفيلم داخل الفيلم- على نحو رائع من البلاغة السينمائية، حين لايبقى فى ذهنك عنها إلا ذراع وساق عاريتان، ومساحيق ثقيلة تغطى الوجه بأنوثة صارخة مبتذلة. لذلك لم يكن من الغريب أن يختفى- فى كل اقتباسات يوسف شاهين عن هاملت أى ظل لأوفيليا، المرأة الجميلة النقية، التى لاتعرف الشر وإن كانت ضحية لكل شرور الرجال من حولها، وسوف يظل يحيى الاسكندرانى- بطل «اسكندريه كمان»- ينظر إلى المرأة على أنها الخاطئة الخائنة، حتى أنه يرى وجهاً مناقضاً لمرآة شكسبير عن كليوباترا النبيلة، فيكتب مشهداً متخيلاً عن ابتذالها الجنسى مع أنطونيو، وهو الابتذال الذى كان- من وجهة نظر يحيى- السبب فى هزيمة أنطونيو، وانتحاره وهو يبكيها، بينما كانت هى تهرب لتبحث عن عاشق جديد.

الجنس، الفن، السياسة:

لقد كان ذلك الموقف من المرأة- فى جوهره- تجسيداً فنياً لعلاقة البطل- المترددة والرافضة- مع الواقع فى أفلام يوسف شاهين الذاتية، التى يتقوقع فيها البطل على ذاته، عاجزاً عن إقامة جسر طبيعى إلى العالم الذى يعيش فيه، لأنه بات عاجزاً عن فهمه، حتى أنه يستبدله بعالم جديد. وربما كان «بونابرت»، عند يوسف شاهين وبطله، معاً، أكثر أفلامه تعبيراً عن هذا الفهم الغامض، المشوش والمرتبك، لواقع العلاقة بين الاحتلال وجماهير الوطن: التعاون أم المقاطعة، التى يطرحها الفيلم فى ثنائية صارخة. إنها العلاقة التى تكتسى بعدها الدرامى من خلال العلاقة الجنسية المثلية بين الشاب المصرى على، والضابط والعالم الفرنسى كافاريللى. وبينما يعرض الفيلم حجم قادة المقاومة المصرية على أنها واهية متخلفة. يقدم على كشخصية داعية، حتى لوبدا الأمر متكلفاً مصطنعاً، فترى على يضم خلال السنوات القليلة للحملة الفرنسية كل ثقافتهم حتى أنه يصبح قادراً على مجادلة الفرنسيين حول إذا ماكان قول مأثور يعود إلى كورنى أو راسين! لكن الأكثر أهمية أن يجعله الفيلم فى النهاية ثائراً عندما يستخدم مطبعة الفرنسيين وبالوناتهم لطبع وتوزيع منشورات تدعو إلى المقاومة بشعار مفتعل ركيك: (مصرها تفضل غاليه علياً). لكن (مصر) تبقى غائبة عن الوجود الحقيقى فى الفيلم، بينما يحتل المحتل الفرنسى الجانب الأكبر من الدراما، حتى أن وجهه القمعى الوحشى يتضاءل تدريجياً أمام العرض المتعمد لوجهه التنويرى، بل المأساوى أيضاً، فيجعل الفيلم كافاريللى يعتذر عن وحشية الفرنسيين فى معاركهم: (من الفرنسيين من كان يدافع عن مخطوطات وتراث مصر ويبكى عليه من حرق المعارك). ويخلع كافاريللى ملابسه العسكرية بعد المذبحة التى قتل فيها مئات المصريين، ليبحث بين الأشلاء عن صديقيه على ويحيى. وفى المشهد الأخير يبلور الفيلم رسالته عن (حوار) الحضارات على نحو تمتزج فيه السياسة بالرمز الجنسى، عندما يرفض على- فى مشهد حوارى طويل استمرار علاقته مع كافاريللى، لكن الأخير يبدو أكثر اقناعاً، بينما يبدو على حائراً، ليخرج إلى الشارع، يضيع فى زحام المولد الذى تغيب فيه (الجماهير) عن وعيها، ليرى بطلنا عاهرة شمطاء تختار زبائنها بوقاحة مبتذلة، تشمئز منها نفسه ويرحل، ويتقيأ ما فى جوفه فى فزع رهيب.

وهكذا يبدو البطل حائراً بين علاقة (حوار) ناضج مع العالم المتحضر وإن تجسد فى علاقة جنسية مثلية، وعلاقة (انقطاع) مشوه مع واقعه المتخلف، يتجسد فى علاقة جنسية طبيعية مقززة.

ألا يبدو البطل مرة أخرى وكأنه يهرب من واقعه إلى واقع لايوجد إلا فى ذهنه؟ إنه الواقع النفسى (السياسى الجنسى) الذى قد يبدو للوهلة الأولى وكأنه ينتمى- فى قشوره- إلى مدرسة (اليسار الفرويدى) التى نادى بها رايش وماركيوزه، والتى ترى أن (الكبت الجنسى ليس إلا أحد الميكانيزمات الرئيسية للسيطرة السياسية.. الكبت الذى لم يوجد من أجل دعم بناء أخلاقى.. ولامن أجل الثقافة.. بل فقط من أجل بناء الشخصية اللازمة للابقاء على نظام اجتماعى تسلطى.. بهدف صنع أنماط متوسطة، عادية لاحرية لها فى اختيار شخصيتها).

فإذا كان يوسف شاهين، وأبطال أفلامه، يناضلون من أجل التحرر من قمع الواقع، فإن معظم أفلام يوسف شاهين تجاهلت الجوهر (الاجتماعى) للواقع فى سياقه التاريخى، ولم تحمل إلا شظايا متناثرة من السياسة والجنس والفن على نحو انتقائى، تجمع بينها فى وعى شخصيات تلك الأفلام، ومشاهديها، وتختفى وراء الشكل الفنى المركب، على نحو قد يصبح بلا وعى- صورة مشوهة عن الواقع، لايجعل المشاهد- فى التحليل النهائى- قادراً على فهم الحاضر، والمشاركة فى صنع المستقبل.





شظايا من الواقع، ومن الجسد:

فمع اللقطات الأولى من «اسكندرية ليه» تتلاحق على الشاشة خطوط درامية متشابكة تبدو على السطح عرضاً تسجيلياً لما كان المجتمع المصري يموج به من تناقضات في بداية الأربعينات: الاحتلال، أغنياء الحرب الذين يتعلق في أذيالهم الأرستقراطيون المفلسون، الحركات اليسارية الوليدة، ضباط صغار يتحمسون للنضال يتخبطون في طلب المساعدة من أطراف متناقضة، حتى من (بلطجي) عريق في الإجرام، يقول عنهم وكأنه يلقي بنبوءة: (ما انتوا اللى هاتاخدوا في الآخر كل حاجة!). لكن الفيلم يغوص بعد ذلك في العالم الخاص لبطله يحيى، الشاب المفتون بسحر سينما استروليامز وجين كيلى (الذى أهدى له يوسف شاهين فيما بعد فيلمه «اليوم السادس»). وبينما يكون أصدقاء يحيى المراهقون يعيشون مراهقتهم بالتقاط العاهرات على شاطىء الاسكندرية، فإن يحيى (يعجز) عن أن يصبح واحداً منهم، ربما تحت دعوى أنه (يريد) ألا ينتهى مثلهم إلى النمط المتوسط العادى.

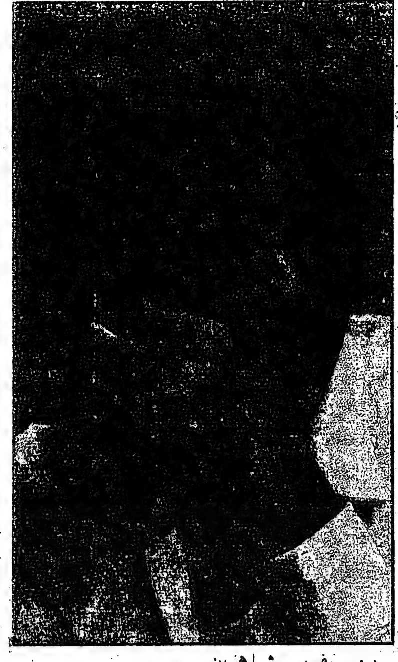
سوف ينفتح أمام يحيى عالم السياسة والجنس فى «حدوتة مصرية»، فى لحظة تبدو كأنها الاكتشاف الأول لحقائق الحياة الملغزة، عندما يشترك مع أقرانه فى مظاهرة ضد الإنجليز، يدخل فيها رفاقه بأجسادهم بينما يختارهو أن يرمى الحجارة بالمقلاع من بعيد. وحينما يصاب بجرح فى جبهته، يهرب إلى منزل صغير، ليجد نفسه بين ذراعى امرأة غنية متصابية، تمارس عليه مايشبه الاغتصاب، لكنها تصبح فيما بعد الراعية التى تقوده إلى عالم الفن والسينما. إن هذا المشهد يكتسب دلالته- من خلال أداة شكلية



متعسفة- من المشهد السابق له مباشرة، عندما تتداعى ذكريات يحيى عن (الاغتصاب) الذي يمارسه الاحتلال على مصر، ليتحول المشهد- على مستوى المضمون- إلى لحظة ذاتية تجسد اغتصاباً سياسياً وجنسياً للبطل.

وفي «اليوم السادس» ظلال من ذلك العالم المركب، في مشهد يدور في شقة ممثلة سينما شهيرة تقوم بأدوار الميلودراما الفاجعة. تلتقط المراهقين لتمارس معهم الجنس، بينما تأوي بعض أصدقائها الشبان الذين يخفون عنها عملهم بالسياسة وتوزيع المنشورات.

إلى أين ينتهي هذا الطريق الذي ينتقي من الواقع شظايا متناثرة ويتجاهل جوهره؟ سوف تجد الإجابة في «اسكندرية كمان»، كما يجدها بطله وصانعه في مكاشفتهما الصريحة مع الذات. فلأن بطلنا لايرى من الواقع إلا جانباً مبتوراً، تتحول علاقته مع العالم إلى علاقة مريضة، يجسدها يوسف شاهين فنياً في تلميحه لمرض بطله بالفيتيشية، وهو المرض النفسي الذي لايستطيع من يعاني منه أن يعشق شخصاً لذاته، وإنما يستبدله بشيء يتعلق به، أو بجزء منه. وهذا الجزء من الجسد في «اسكندرية كمان» هو: الساق الجميلة الشابة. في «باب الحديد» كان قناوي- أعرج الساق- يجد لذته في التلصص على ساق هنومة، وكان الباعث على انتقامه منها رؤيته لها وهي تهدىء من ثائرة خطيبها أبو سريع وغيرته عليها بتعرية ساقها أمامه. وفي «بونابرت» كان كافاريللي يطبع قبلة على ساق الصبي يحيى تعبيراً عن اعجابه وولهه. أما في «اسكندرية كمان» فسوف تصاب زوجة البطل في بداية الفيلم بكسر في ساقها، وكأنه الرمز المجسد لإحساسه بالنقص فيها. وسوف يمسك يحيى بساق عمرو في لحظات التوتر التي سبقت انفصالهما بعد الفشل في الحصول على جائزة مهرجان (كان). كما ينجذب يحيى لساق الممثلة الشابة نادية في المرات الأولى التي رآها في النقابة خلال الإضراب، يعلن استيائه- الذي يضمر اعجابه- بمشيها حافية على الأرض، لأن الأرض وسخة وحاجة تقرف)، فتجيبه في دلال حاسم: (بتحنى الرجل.. ويتبص ليه؟!). سوف تكون تلك اللحظة التي أعادته إلى الأرض، وإلى المرأة، فيكتب بعدها مباشرة مشهداً متخيلاً عن سوستراتيس، المهندس الاغريقي الذي شيد فنار الاسكندرية، وبحث طويلاً بين الرجال عن النموذج الجميل لتمثال الشاب الذي سوف يعتلي قمة الفنار فلم يجده هذه المرة إلا في المرأة: نادية.



يوسف شاهين

دون كيشوت يعود إلى الواقع:

سوف تكون الساق أيضاً في «اسكندرية كمان» وسيلة يوسف شاهين الفنية لاكتشاف البطل لذاته وللواقع عن طريق الرقص، الذي يبدو هنا تعبيراً جمالياً عما لايستطيع غير الرقص التعبير عنه. فالفيلم يقتبس عن «باب الحديد» مشهداً يراقب فيه قناوي الأعرج ساقي هنومة الراقصتين بين زبائنها. إنه يراها كما لو كانت ترقص له وحده، تغمز له بعينها، فينطلق سعيداً بنشوة زائفة في الرقص بساق واحدة، لكنه يدرك فيما بعد أنها كانت ترقص للجميع.

أما مشاهد الرقص الخاصة بفيلم «اسكندرية كمان»، فإنها تعكس- في تناقضها- تطور رؤية البطل للواقع. في الجزء الأول من الفيلم يرقص يحيى وعمرو في لحظة من السعادة الغامرة لفوزهما في مهرجان برلين، وفي منتصف الفيلم يفشلان في مهرجان كان، وتحين لحظة الفراق، فيستغرق الحزن الممثل ليرقص وحده مذبوحاً من الألم، بينما يراقبه المخرج العجوز واقفاً في أسى، وفي الجزء الأخير، سوف يذهب يحيى إلى المولد، ليرقص بالعصا أمام شاب ذي ملامح مصرية خالصة.

في الرقصة الأولى تجد دلالات العلاقة بين يحيى وعمرو: الاتحاد، التنافس، الحب، التسلط، الرعاية، الغيرة، إنها تدور في ساحة خالية إلا منهما، في بلد أوربية تغطي أرضها الثلوج وتكتسب الرقصة شكلها الفني من خلال تصميم كوريوجرافي محكم، وعلى موسيقى أغنية أمريكية. وفي الرقصة الأخيرة سوف تجد النقيض تماماً، عندما تدور وسط حشد الجماهير في مولد الحسين الصاخب، وعلى موسيقى شعبية تجمع بين الشجن والتعليق الساخر على رقصة العصا التلقائية المضرية بين العجوز يحيى، وشاب يتحداه أن ينازله، ويستثيره الناس عندما يقولون ليحيى: (السينما دي حيل.. حدتاني بيرقص).

ليس أمام يحيى هذه المرة إلا أن يواجه الواقع، أن ينازله، وأن يعيد علاقته مع العالم من خلال الإتصال (المادي) الحسي المباشر والمعنوي مع الواقع، وليس من خلال الصلة (المثالية) الذهنية المنعزلة الجاهزة. وفي مشهد سينمائي بليغ يلخص لنا يوسف شاهين تلك اللغة والرؤية الجديدتين اللتين سوف يدركهما بطله. إن يحيى يبدأ خائفاً من المبارزة الراقصة، يحاول أن يحاكي منافسه، لينتهي إلى اتقانه المنازلة، أو الحوار، أو الجدل، لتتقاطع عصاه وعصاه الراقص الشعبي في لقطة قريبة في توازن مشحون بالتوتر، واللذة، بالصراع، والحب، وبالاحساس الواعي بالأنا والآخر معاً، ليكتشف بطلنا أن رحلته الحقيقية تبدأ من هنا، من إدراك الجدل بين الذات والموضوع، بين الفنان والجماهير.

أخيراً عاد البطل من رحلته في «اسكندرية كمان» وهو يحمل يقيناً بعلاقة سوية ناضجة مع المرأة، ومع الجماهير اللذين اكتشف أنه لم يكن يعرفهما حقاً. وفي ضوء المكاشفة مع الذات، تستعيد المرأة والجماهير مكانهما الطبيعي في عالم يوسف شاهين وأبطال أفلامه، بعد أن ظل طويلاً يختفي وراء الإنتقام لقناوي، حتى أنه لم يلتفت في «حدوتة مصرية» لكلمات نبقة، التي جسدت المرأة والجماهير معاً، عندما صرخت في وجهه: (انت تعمل عننا روايات وبس، وكلها كدب في كدب، زي المرهم الاسود اللي كنت حاطه على وشك يوم «باب الحديد» لكن احنا الزفت بحق وحقيق).

ومع ذلك، فقد وقف يوسف شاهين- من خلال رؤيته الذاتية التي أدركتها المكاشفة أخيراً- إلى جانب الحرية، ربما كان يطالب بها لبطله أكثر من طلبها للجماهير، لكنه كان أيضاً يضع نفسه في صف الجماهير، واليسار، لذلك فإن نزعة المكاشفة تقتضي أن نقف معه- في مقال قادم- لنتأمل على مستوى الشكل والمضمون معاً حصاد رحلته في أفلامه مع اليسار.

القناة الفضائية المصرية خبطة سياسية.. أم ملاحقة أخيرة للنفوذ ؟!!

ماجدة موريس

ابتداء من شهر نوفمبر الماضى، بدأت مصر بث إرسال قناة فضائية دولية على موجة القناة الغزيرة الاشعاع فى القمر الصناعى العربى «عربسات» وبذلك انتقل الإعلام المصرى ، تاريخيا ، من الداخل إلى الخارج، أو من «المحلية» إلى «العالمية» على حد تعبير «صفوت الشريف» وزير الإعلام.

وقد سبق هذا الإرسال للقناة الفضائية الجديدة الانتهاء من إنشاء وتركيب المحطة الأرضية لاستقبال القمر الصناعى العربى، فى ضاحية المعادى، بتمويل سعودى قدره (٥) مليون جنية وكان من المفروض أن تقيم مصر هذه المحطة منذ خمسة عشر عاما عند توقيع اتفاق مشروع القمر العربى أساساً، غير أن معاهدة الصلح مع اسرائيل واتفاقية كامب دافيد كانتا السبب المباشر لإيقاف المشروع من جانب مصر، بعد عزلها من كافة المنظمات العربية، ومن هنا فقد كانت من أولويات ثمار عودة العرب لمصر، أو العكس، هو الشق الإعلامى، أى عودتها إلى القمر العربى «عربسات» التى شاركت بكل ثقلها فى إعداد مشروعه ودراساته، وكان خروجها منه سبب من أسباب تعثره وعدم استثماره بشكل كاف مما أدى فى نهاية الامر إلى تأجير قنواته القمرية للهند (تستثمرها فى خطة زراعية تنموية وترتبط بها الهنود) وإلى دول أخرى.

أزمة عربسات

عادت مصر ومعها مشروع لطموح حيث عرضت استنجار القناة الوحيدة غزيرة الاشعاع فى القمر العربى، وهى أقوى قنواته وتتيح مساحة واسعة من الانتشار الافقى وفى يوليو من العام الماضى تم توقيع العقد بالقاهرة على أن تدفع مصر (٢) مليون دولار سنويا ولمدة ثلاث سنوات تنتهى فى ١٩٩٣ وهذه القناة ذات الأهمية القصوى فى القمر العربى- ولايوجد مثيل لها فى أقمار صناعية دولية كثيرة- كانت معطلة منذ إطلاق (عربسات) عام ١٩٨٥، ولم يستخدمها أى من أعضاء دول الجامعة العربية لأنها تحتاج الى خبرات هندسية وكفاءات إنتاجية وإعلامية وكوادر متخصصة لتشغيلها، وهو مايتوفر فقط فى مصر.. كان الأمر قد أصبح معضلة وبات المشروع بأكمله- أى القمر العربى- مهددا بالفشل التام بسبب هذا الموقف السياسى الذى وضع الإعلام العربى فى مأزق.. ذلك أن تكلفة القناة غزيرة الإشعاع وحدها تبلغ خمس التكلفة الاجمالية للقمر ومن هنا جاءت ميزتها فى الانتشار أفقيا إلى كل الدول العربية والاوروبية (عدا اسكند ينافيا) والدول الإفريقية (عدا جنوب إفريقيا) وإلى دول غرب آسيا وأصبح استثمارها مرهوناً بوجود مصر القادرة على القيام بأعبائها، ومرهوناً بجو من الوفاق السياسى العربى يتيح للقناة النفاذ ببرامجها إلى المواطن العربى بلاحدود أو أجهزة رقابية، وهو مالم يحدث وإنما حدث العكس بعد عزل مصر، إذ تحولت القناة غزيرة الإشعاع من جزء مميز فى القمر العربى إلى عبء كبير ينوء بحمله المشروع والشركة التى تديره حتى أصبح الزمن يمر والطاقة الثمينة معطلة وعروض الاستئجار تتوالى من الدول الاخرى، خارج المنطقة العربية لاستئجار القنوات القمرية المحدودة وكان الحل الوحيد هو طرح هذه القناة الاستراتيجية- أى الغزيرة الإشعاع- للإيجار هى الاخرى أو تحمل خسارة كبرى مستمرة قد تقضى على مستقبل المشروع بأكمله فى الوقت الذى يتزايد إطلاق الأقمار الصناعية للاتصالات ولأغراض أخرى من جانب الدول المحيطة بالعالم العربى، خاصة دول أوروبا القريبة فرنسا وايطاليا واسبانيا، ثم من الدولة المزروعة فى قلب العالم العربى، وهى اسرائيل. من هنا ،كان العرض المصرى لاستئجار القناة غزيرة الاشعاع بميزاتها الهامة هو الانقاذ الوحيد للقمر وللمشروع من ورطة مؤكدة...

وفاق.. الخليج

واذا كانت العزلة قد فرضت هذه الأزمة فإن حالة «الوفاق» قد فرضت تسهيلات غير عادية من جانب بعض الدول العربية عند إطلاق القناة الفضائية الدولية المصرية عبر القناة غزيرة الإشعاع، فقد انطلقت إشارة البث التجريبى الأول لها من دولة البحرين- فى نوفمبر ١٩٩٠- حيث أرسلت إليها فقرات وبرامج مصرية عن أحداث الخليج تم استقبالها فى مصر بوضوح (صوت وصورة) من خلال وحدة استقبال قمرية موجودة فى مركز البحوث التابع لقطاع الهندسة الإذاعية بمنطقة الهرم بالقاهرة. وهى وحدة جاءت من الولايات المتحدة ضمن برامج المعونة. أما أول مكان عربى أتم استعداده لاستقبال القناة الفضائية المصرية فقد كان حفر الباطن بالمملكة العربية السعودية حيث ترابط

القوات المصرية المشتركة فى قوات التحالف الدولى والتى ذهبت إلى هناك وكان لابد من الاهتمام بها تليفزيونيا بما يلائمها حيث لايصل التليفزيون المصرى، عن طريق قناته الأولى، بطرق الإرسال المألوفة إلا إلى مدينة جدة وماحولها من هنا كان الإسراع بوصول إرسال القناة الفضائية المصرية إلى القوات المصرية فى السعودية أسوة بما يحدث للقوات الامريكية المشتركة فى التحالف، والتى تصلها القنوات الامريكية التليفزيونية لتسهل بقاءها على أرض الصحراء (وللسفارة الامريكية بالسعودية كابل تليفزيونى خاص من الولايات المتحدة يصل إلى أعضاء السفارة وأصدقائهم).

لكن مصر لم تدفع ٢ مليون دولار سنويا من أجل هذا فقط، وأنما من أجل جماهير عديدة فى كل البلاد العربية فبدأت بتوسيع نطاق المشاهدة للتليفزيون المصرى فى السعودية والبحرين، وقطر وبقية الدول تباعا وأيضا تم استقبالها فى باريس من قبل السفارة المصرية وبعض المصريين. وسوف يصبح فى امكان الجاليات المصرية والعربية فى مختلف دول اوروبا استقبال بث هذه القناة المصرية بواسطة أطباق صغيرة قطر الواحد منها يبلغ من ٢ إلى ثلاثة أمتار، وتكلفته تبلغ ستة الآف جنيه. ويأمل المسئولون عن هذه القناة أن تقبل الجماعات والهيئات والافراد على شراء الأطباق المستقبلة لأن هذا هوما يحقق للقناة الفضائية عائدها الاقتصادى المطلوب، بجانب العائد الإعلامى وهو مايعد حلماً الآن.

وفى مرحلة تالية سيكون الهدف هو عقد اتفاقيات بين اتحاد الاذاعة والتليفزيون المصرى وبين الدول الاوربية وشركات الكوابل فيها لمد شبكة ارسالها إلى المشاهدين فى البيوت عن طريق «الكابل» أسوة بما يحدث فى أوربا وأمريكا اليوم. وهو طموح ذكى لأنه يعتمد على رصيد المهاجرين العرب إلى اوربا والذين عادة ماتكون لديهم الرغبه فى الارتباط بالوطن الام ولكن ضغوط الحياة لاتسمح لهم بالحركة والذهاب إلى السفارات أو العودة دائما إلى الوطن ومن هنا فإن اشتراك المواطن العربى فى استقبال الوطن نفسه عبر كابل تليفزيونى هو مشروع مضمون ولعل هذا هو مادفع المسئولين عن القناة المغربية الدولية- وهى قناة خاصة أنشئت منذ عامان لبث البرامج الى اوربا- الى الحضور لمصر فى ديسمبر الماضى وعقد اتفاق يتم بمقتضاه التعاون بين القناتان الدوليتان فى مصر، والمغرب للتوجه المشترك نحو المواطن العربى فى اوربا وربما يعتقد البعض فما أن مقدرة وامكانيات القناة الفضائية المصرية، الرسمية اكبر وأهم من القناة الدولية المغربية الخاصة، وهذا صحيح ولكن الصحيح أيضا أن القناة المغربية تخاطب أربعة ملايين مغربى وجزائرى وتونسى يعيشون فى أوربا، وإنما على حد تعبير رئيسها فؤاد الفيلالى تحتاج إلى القناة المصرية مثلما تحتاج هذه لها، وبنفس الدرجة.

غير أن الامر يختلف مع المؤسسات التليفزيونية الافريقية التى تم الاتفاق على معاملتها معاملة خاصة، وذلك بقرار سياسى ينفذ من خلال د. بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية ويقتضى تركيب ١٥ طبقا لاستقبال القناة الفضائية المصرية فى افريقيا بالمجان فى المرحلة الاولى أسوة بما تفعله القناة الفرنسية الدولية الآن مع الدول الافريقية. وفى اجتماع الجزائر- ديسمبر ١٩٨٩- الذى عادت مصر فيه إلى المجموعة العربية بعد عزلها عام ١٩٧٩، وضعت الخطوات الاساسية لوصل ما انقطع فى عشر سنوات، وبعد عام فقط انعقدت الجمعية العامة لاتحاد اذاعات الدول العربية فى القاهرة- ديسمبر الماضى- ليصبح الموقف معكوسا تماما، بعيدا عن المشروعات العربية المشتركة المحدودة فى اطار تعاون اخبارى وبرامجى رسمى وممل ويعبر عن وجه السلطة فى كل بلد، فقد عرضت مصر أن تقدم إلى أجهزة الإعلام العربى كافة امكانية استقبال القناة الفضائية التى تبث القناة الاولى مطعمة ببرامج مختارة من القنوات الثانية والثالثة وبذلك «يسهم اتحاد الاذاعة والتليفزيون المصرى مساهمة فعالة فى إثراء التدفق الإخبارى والبرامجى من مصر إلى



الدول العربية مما يسهل كثيرا فى عملية التبادل ويوفر الكثير من الجهد والنفقات التى يتم انفاقها فى الوصلات الصاعدة والهابطة من الاقمار الصناعية المختلفة. كما عرضت مصر أيضا تخصيص سهرة اسبوعية فى القناة الفضائية لبث سهرة من الوطن العربى فى موعد محدد أسبوعيا ويمكن أن تشترك فيها هيئات التليفزيون فى الوطن العربى فى بعض فقراتها بشكل ثنائى».

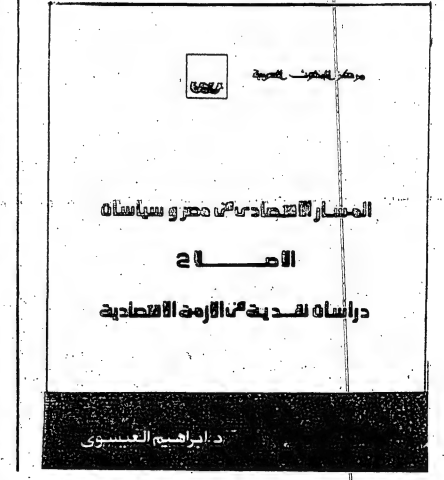
والفقرة السابقة كلها تعنى أن مصر قد قفزت - عمليا- على خطوات التعاون الإعلامى السابقة منذ أنشاء اتحاد الاذاعات العربية عام ١٩٥٧، وأن المعوقات الهائلة للإنفتاح الاعلامى بين المواطن العربى وأخيه- وهى معوقات وضعتها السلطات والحكومات ولم تزل قد تجاوزتها حكومة واحدة أو بسبيلها لتجاوزها مرتكزة على التطور العلمى ومنجزات تكنولوجيا العصر، وإذا كانت أجزاء من العالم العربى تقع تحت دوائر البث التليفزيونى الخارجى- خاصة دول شمال أفريقيا، سواء باتفاقيات أو بغيرها، فى الوقت الذى تتجه فيه بقية الدول العربية إلى عقد أنواعً من الاتفاقيات ومنها مصر التى تستقبل بث القناة الفرنسية الدولية وفى مارس تستقبل يومياً بث شبكة الاخبار الامريكية C N N فإن الموقف المصرى يصبح واضحا فى أنه سباق على مناطق النفوذ والانتشار الطبيعية مهما تكلف الامر.. وهو لاشك يتكلف كثيرا فبعد السنوات الثلاثة لاستئجار القناة الفزيرة الإشعاع سيكون العمر الافتراضى للقمر العربى قد انتهى وبالتالى فإنه على مصر أما أن تسعى لبناء القمر الثالث لعربسات (لأن الموجود هو الثامن وقد انتهى الاول) أو السعى لاستئجار قناة مماثلة من قمر صناعى يتبع منظمة الاقمار الامريكية (الانتلسات) أو الاوربية أو أية محطة بديلة، وبالتالى قد تصبح القناة الفضائية الدولية المصرية الجديدة (على كف عفريت) كما يقولون، ولكن، هل تسمح السياسة المصرية بذلك مع التصريحات المتتالية لوزير الإعلام بانتقال التليفزيون المصرى من المحلية إلى العالمية وتصريحاته عن فرض (السيادة الإعلامية المصرية)؟ إن الإجابة على كل هذا يحكمها سؤال واحد هو ماذا تقدم مصر للعالم على قناتها الفضائية الدولية هذه، وماذا تقدم للمواطن المصرى على القنوات غير الدولية.. وهما ليسا سؤالان إنما سؤال واحد، شديد الإرتباط سوف نحاول مناقشته فى العدد القادم.

المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الإصلاح

دراسات نقدية فى الأزمة الاقتصادية

«المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الإصلاح: دراسات نقدية فى الأزمة الاقتصادية» تأليف الدكتور/ ابراهيم العيسوى، هو ثانى كتاب يتناول قضايا الإصلاح الاقتصادى فى مصر يصدر عن مركز البحوث العربية الذى أصدر قبله كتاب «مصير القطاع العام فى مصر: دراسة فى اخضاع رأسمالية الدولة لرأس المال المحلى والأجنبى» من تأليف الراحل العظيم الدكتور/ فؤاد مرسى.

والكتاب الذى نحن بصدد عرضه هو حصاد لمسيرة عمل علمى طويلة متصلة تجسد اصرار المؤلف على السعى حثيثا ودأب إلى بلورة نهج أو إطار لتحقيق تنمية وطنية مستقلة معتمدة على الذات، تقضى على ماهو قائم من أسباب ومظاهر التخلف والتبعية، وتقطع الطريق على وقوع أسباب



جديدة لمزيد من التخلف والتبعية فى المستقبل القريب والبعيد معا فالكتاب كما ورد فى مقدمته تجميع لبحوث ومقالات سبق للمؤلف نشرها، ثم أدخل عليها من التعديلات الموضوعية والشكلية ماتقتضيه أغراض الكتاب، كما أنه واحد من أعمال عديدة للمؤلف تتناول على نحو أو آخر قضايا التنمية والإصلاح الاقتصادى فى مصر ، كما يتبين من قائمة أعماله فى آخر الكتاب.

واتساقا مع تطلعه إلى تحقيق التنمية الوطنية المستقلة لمصر، كهدف يعتقد بإمكانية تحقيقه ويدلل عليها فى أكثر من موضع، يجئ رفض المؤلف للتصحيح على طريقه صندوق النقد الدولى. وهو يبرر رفضه للتصحيح على هذه الطريقة بأنه يعمل «على زيادة إدماج مصر فى النظام الرأسمالى العالمى وتوظيفها كطرف تابع فى خدمة أغراض المراكز الرأسمالية » مع مايترتب على ذلك من تعميق للتخلف وإعاقة الإنطلاق المستمر لتحقيق تنمية حقيقية ومستقلة بالإعتماد على الذات». ناهيك عن أنه يلقى «بعبء تصحيح الإختلالات القائمة على الفقراء ومحدودى الدخل» ويؤدى إلى «استمرار البلاد فى دوامة المديونية الخارجية»، إلى جانب ماقد يستلزمه تطبيقه بحذافيره- على نحو مايريده الصندوق- من إجراءات لاديمقراطية.

ولاينطلق المؤلف فى رفضه للتصحيح على طريقة الصندوق من موقف فلسفى فحسب ولا من تخمينات تفتقر إلى الدليل وإنما ينطلق فيه أيضا من حصاد مر لخبرات تطبيق برامج الصندوق التصحيحية فى البلدان النامية التى خضعت لها، وكذا من الآثار السلبية للتطبيق الجزئى لبرنامجه فى مصر.

وفى مواجهة التصحيح على طريقة صندوق النقد الدولى يقدم المؤلف برنامجاً متكاملاً بديلاً لتصحيح مسار الاقتصاد المصرى- ويقوم هذا البرنامج فى شقه العاجل على محورين هما:

- زيادة الإنتاج بالإعتماد على الذات.
- التقشف فى الإنفاق وتنمية الإيرادات من المصادر المحلية والأجنبية.

وفى مجال زيادة الإنتاج بالإعتماد على الذات يركز البرنامج على أمور من بينها:

١- السعى لزيادة إنتاج مصر من الحبوب الغذائية وبصفة خاصة القمح والذرة.

٢- اعادة تخطيط الإنتاج الصناعى بما يمكن من الوفاء بالحاجات الأساسية للسكان وتوفير حاجة المنتجين من الخامات والسلع الوسيطة.

٣- زيادة الإنتاج فى القطاع العام ورفع مستوى الأداء فيه من خلال تغيير السياسات الإقتصادية العامة والمناخ الذى تعمل فيه وحداته.

٤- مراجعة السياسات الاستثمارية وتهيئة المناخ النقدى والائتمان لزيادة الاستثمار المنتج.

٥- اصلاح نظم الأجور والمرتبات

٦- تحجيم النشاط غير المنتج للقطاع الخاص وحفزه على توجيه أقصى اهتمام لزيادة الانتاج والإنتاجية فى قطاعى الزراعة والصناعة.

٧- دعم أجهزة التخطيط وتوفير ظروف أفضل للممارسة التخطيطية واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتوسيع الدائرة التى يمكن إعمال مبادئ التخطيط فيها.

أما فى مجال التقشف فى الإنفاق وتنمية الإيرادات من المصادر المحلية والأجنبية فيركز البرنامج الذى يقدمه مؤلفنا بديلا لبرنامج الصندوق على:

١- ضغط الواردات غير الضرورية ضغطا شديدا والرقابة على الصرف الأجنبى.

٢- العمل من أجل زيادة الصادرات

٣- وقف الإقتراض الخارجى إلا فى أضيق الحدود التى تفرضها ضرورات التنمية.

٤- محاصرة الإنفاق العام وترشيده بما لايمس مخصصات الدعم والإنفاق الاجتماعى الذى تستفيد منه الطبقات الشعبية.

٥- تنمية الإيرادات العامة من خلال تطوير النظام الضريبى وترشيد الإعفاءات الضريبية والجمركية.

إن البرنامج الذى يطرحه الدكتور العيسوى بديلا لبرنامج صندوق النقد الدولى يجسد رؤيته للإصلاح الاقتصادى باعتباره حربا ضد الأزمة ، ومن ثم ينبغى أن يعلو ويتقدم كل ماعداه، وأن تعبأ وتحشد له كافة الطاقات والإمكانات الوطنية، وأن يعتمد فى المقام الأول على هذه الإمكانات ، وأن يتحمل المواطنون نصيبا من التضحيات التى يفرضها يتناسب مع نصيبهم فى الثروة والدخل القوميين.

يبقى بعد ذلك أن الكتاب الذى نعرضه غنى بأفكار وآراء هامة يدعمها كم هائل من البيانات والمعلومات على نحو يعجز المرء معه عن تقديم عرض واف وملائم له فى هذه المساحة.

د. احمد حسن ابراهيم

فخرى لبيب :
الشيوعيون وعبد الناصر



هذا الكتاب أقرب إلى «السيرة الشعبيه» منه إلى التأريخ العلمى الموثق. فهو يروى تغريبة الشيوعيين فى منافى حليفهم الموضوعى عبد الناصر. وعلى الرغم من تعدد أصوات الذين يقدمون الشهادة- (ترى على أى أساس من مواصلة المعركة أو ما هى مبررات الاختيار أصلا لهذا الخليط المتنافر؟)- فى حيوية تفصيلية ذات مذاق وملمس فإن وترا واحدا للربابة يترنم بتقاسيم «الراوى» المؤلف، ليفرض انسجاما فكريا. والمؤلف شديد الأمانة الأخلاقية حمل مسئولية ضخمة فى الكفاح من أجل التماسك تحت وطأة الضربات طوال هذه الفترة.

والنغمة السائدة للمعزوفة هى تصوير معركة الوجود الفكرى والتنظيمى للشيوعيين فى مواجهة خطة التصفية التى تنفذها فى وحشية دموية أجهزة حليف وطنى - لم يكن هناك اجماع على ذلك- يرفع شعارات الاشتراكية. ويفند الكتاب مزاعم الذين اعتبروا المطالبة بالديموقراطية وحق الطبقات الوطنية فى تكوين أحزابها إثما عظيما وتغليبا للتناقض الثانوى على الرئيسى وتمزيقا للجبهة الوطنية.

فتلك المزاعم كانت بحق امتدادا لخطة التصفية الرسمية داخل صفوف الشيوعيين. والنهاية معروفة مقدما. لقد اعترف مناضلون أشداء بعضوية الحزب الشيوعى فى المحكمة العسكرية مع ابراز قضية التحالف ابراز شديدا، ومالبث معظمهم أن اعتبر السلطة ممثلة للاحتكار وشبه الاحتكار، ومتحالفة مع الاستعمار، ثم اعتبروها بعد قليل تسير فى طريق النمو اللارأسمالى، وحلوا الحزب الذى لم تعد له عندهم ضرورة تاريخية. فهل نعنى البطولة والصلابة عن خط سياسى صحيح؟. ولايقدم المؤلف- وهو للحقيقة برىء القلب واليد واللسان من هذه التأرجحات جميعا- إجابة فى هذا الجزء الأول عن أسباب هرولة أبطال الاعتراف بعضوية الحزب ومسابقتهم «لليمين» فى مضمار الحل الذى جاء متواقتا عند «تصفوية» اليمين واليسار.

وتبدو الحركة الشيوعية فى هذا الجزء حركة «محبوسة» مقطوعة الصلة بأى معارك للشيوعيين فى مجالات النضال السياسى والفكرى والاقتصادى على الساحة الجماهيرية فى الخارج فلوكانت الشيوعية المصرية مما يمكن أن «تحله» فى الواقع الحى الضربات البوليسية وتجهز عليه لكانت ملحمة المنافى مآثر شخصية بطولية يغنيها الرواى على الربابهفحسب.

ولكن الحقيقة أن الحركة الشيوعية النابضة براعمها بالحياة فى تلك الفترة على مستوى معارك المثقفين شعراء وباحثين ومنظرين والمعارك الطلابية والنقابية كانت أكبر من لافته حزب ٨ يناير ١٩٥٨ وأوسع من السجون. فهل تجد «شهادات» مناضليها مكانا غير الصمت فى التأريخ؟ ومهما يكن من شىء فالكتاب يقدم خيطا هاديا للمستقبل عن الاستقلال الايدلوجى والتنظيمى لحزب الاشتراكية، وهو خيط يبرز ناصعا على الرغم من ثقوب الذاكرة وعدم الدقة فى «الشهادات» ومنهج الذكريات. وأقدم «شهادتى» عن السطر الوحيد الذى جاء فيه اسمى ص ٤٣١ فقد ضم خطأين عن مدة حكم المجلس العسكرى على «على الشوباشى» فهى ٨ سنوات، وليست عشرة، وعلى أحمد فرج المحامى فهى ٥ سنوات أشغال وليست البراءة، ويضم خطأ بالحذف.. فلا ذكر للحكم على المؤلف الشهير باسم محمود حسين (عادل رفعت شريك بالنصف فى هذا الاسم) مؤلف صراع الطبقات فى مصر والعرب اليوم.. الخ والمحكوم عليه بست سنوات على الرغم من أن السياق كان يشير إلى الحصر لا المثال فى الأحكام

ابراهيم فتحى

من شبرا الى دير ياسين ذهابًا وإيابًا .. العدوان الإسرائيلي على العرب عند فتحي غانم

ابراهيم فتحي

تختلف روايات فتحي غانم في مذاقها عن روايات نجيب محفوظ الكثيرة وروايات يوسف إدريس القليلة. فلها طعم فاكهة غريبة، وليس ذلك مدحا ولا قدحا وقد نألف في روايات محفوظ وادريس صورة نماذج انسانية تكشف ملامحها النفسية والفكرية تيارات طبقية محدودة وتحيا داخل صراع اجتماعي هي جزء مباشر منه. أما روايات فتحي غانم فتسترعي أنظارنا بالسمات الفردية المتميزة لشخصياتها في تنوع هائل، ولا تنشأ التناقضات المحركة للأحداث عن صراع بين فئات اجتماعية أو مذاهب سياسية فكل ذلك يأخذ مكانه في الخلفية. بل نجد في اتجاهه الأخير إلى تصوير مباشر «لموضوعات» الحياة الاقتصادية (الانفتاح في قليل من الحب كثير من العنف») والتطرف المختبئ وراء الدين (بنت من شبرا) والقضية الفلسطينية (أحمد وداود) نفس المطر الشخصي. التميز سائدا.

فاشست في شبرا

فمشكلة العنف باسم اختلاف الدين أو العنصر، لا تقفز إلى الصدارة إلا باعتبارها جزءا من موقف نقدي يتناول نوعية الحياة الانسانية للأفراد في عالم اليوم. وتظل وجهة النظر ذات مضمون أخلاقي شامل في الحكم على الفوارق الفردية. فلكل شخصية ذاتية جوهرية، وهوية قاطعة لاتستمدها من بيئتها، وإن لعبت هذه البيئة دورا في تلوينها والدفع بإمكاناتها إلى التحقق أو الضمور. إن شخصياته تشبه الأشجار والكائنات الحية الطبيعية، كما تشبه بيئتها الاجتماعية جبالا وبحاراوغابات.

ولنأخذ الفاشست الايطاليين في شوارع شبرا وحاراتها قبل الحرب العالمية الثانية لقد ازدهرت بينهم «ماريا» بطلة الرواية : زهرة يانعة طاهرة على الرغم من الوحل.

ولايخفي فتحي غانم نظرته الفنية وراء أكداس من الرموز بل (يقدمها واضحة منذ البداية. «ماريا» انسانة عادية جدا لها عالمها العادي والخاص بها ولها أسرارها الشخصية ولكنها «تشترك معنا جميعا في أعماقها بتلك «الفطرة» الانسانية رغم تميزها الفردي.. ماريا الكاثوليكية ابنة الفاشستي حلاق الملك الذي يلعب دور قواد ابنته إلى القصر من أجل الصعود والتسلق، والذي دفع ابنه إلى القتل في مجزرة احتلال موسوليني لبلد افريقي بحثا عن «المجد»، يكمن داخلها جوهر انساني ثابت راسخ وهذا الجوهر الانساني الثابت يشبه أعماق «سارة» الفتاة التي أصبحت صهيونية متوحشة في «أحمد وداود» أيام براءتها الفطرية الأولى، في قرية فلسطينية. إن سارة في طفولتها وصباها الغض عطوفة ناعمة ذات جسد دافئ لين الأعطاف. والبنتان تشبهان في «الأعماق» «الرجل الذي فقد ظله» حينما كان طفلا خجولا في حضن أمه يلعب ويلهو ويتمنى المتع الصغيرة. فكل البشر مصنوعون من مادة نقية واحدة ولهم جميعا بداية واحدة خارج العلاقات الاجتماعية وخارج التاريخ ويتغير المسار الفردي بعد ذلك عند ارتطام الحياة الفطرية بالغابة البشرية وضواريها، ماريا أخذت قرارة «النفس، وما في أعمق أعماقها من نزوع إلى الاتصال بالله لتجتاز غابة البشر (ص٨) وهنا يدخل الشر، إلى الأعماق.

إن ماريا الكاثوليكية وصلت إلى الهداية ، إلى ايمان سمح بالإسلام يضاف إلى إيمانها المسيحي ولايتناقض معه على حين أن حفيدها وصل وهو مايزال صبيا إلى العكس إلى ايمان لايتزعزع ، ولايشك في صحة تفسيره وتفسير جماعته للدين، ويتوهم أن هذا التفسير نهائي حاسم وأن أحكامه هي أحكام الله وهو لايتردد في أن يقتل أو يحرق أو يدمر كل مايصادفه من عقبات يحكم عليها بأنها عقبات في مجتمعه ضد منهج الله. وهو لايدري شيئا عن عقبات تكمن في أعماق النفس. فالفرق بين اهتداء الجدة وضلال الحفيد ناشئ عن أن الجدة كانت بركانا يفور بالمشاعر الانسانية المتناقضة تتصارع في أعماقها الأهواء، وأسباب الضعف والغواية، والطموح المجنون الجشع، وما أكثر ماسقطت واقتربت من الدعارة في رحلة التسلق الفردي والتدهور الخلقي ولكنها أقرضت جسدها للشيطان على أقساط واحتفظت برأسمالها الروحي كاملا عن طريق الخجل والذنب والندم. وحققت خلاصها بالزواج من رجل مسلم فاضل ذو مركز محترم احتضنها محافظا على عقيدتها رافضا استغلال ضعفها رغم مااعترفت به من اقتراف الآثام (ص ١٠٥)

ونعرف من القصة أن الحفيد «الإرهابي» لايعلم غير حقيقة واحدة تلح عليه ليل نهار وهي أن أباه مات في الحرب برصاص صهيوني اسرائيلي يهودي، وأنه عربي مصري مسلم لابد أن ينتقم لأبيه من الذين يريدون قتل المسلمين وإبادتهم.

وتنتهي «فتاة من شبرا» بالأسى لنشوب معارك بين يهود ومسلمين ومسيحيين، فلماذا يصفي البشر حساباتهم الدنيوية تحت ستار حب السماء ولماذا يسفكون دماء بعضهم بعضا

باسم إله واحد يزعم الجميع أنهم مؤمنون به؟

وربما لم تكن «بنت من شبرا» بين أفضل أعمال فتحى غانم، فهى لاتخلو من تبسيط يبتعد عن الجذور الاجتماعية العميقة للتعصب والتطرف كما يعتمد معنى التجربة الانسانية لبطلتها على تراكم مصادفات وعلى قليل من الدراما وكثير من الشرح والتعليق. ولكن هذه الرواية تقدم مع ذلك واحدا من المفاتيح المهمة لفهم «الانسان» عند فتحى غانم

فالجوهر الانسانى الذى يتغلغل داخل الأفراد تعيه البطلة فى اختلاط ماهو مخجل وماهو طاهر وتتساءل ألا يعرف أصدقاؤها المصريون الصراع بين الخير والشر؟ إن تصرفاتهم تبدو كما لو كان الصراع لايحتدم داخلهم والخير لايلتقى بالشر فى أعماقهم فيتقاتلان. بل وقت للشرووقت للخير كما لو كانت أجسادهم أوانى فارغة إذا امتلأت بالخير غاب عنها الشر... والعكس صحيح» (٨٣)

فالملامح الانسانية للشخصيات لاتنشأ داخل صراع قوى اجتماعية، كما أن القوى السياسية والفكرية وتناقضاتها يمكن ردها فى عجلة إلى مضامين أخلاقية عند أفراد، الخير هو الحب الفطرى الطبيعى التلقائى (الشراره الإلهية) والشر طموح اجتماعى ومذهبية جامدة وأنانية وصولية (بيع النفس للشيطان) ومن السهل أن تنزلق تلك النظرة إلى نزعة عاطفية مسرفة أو تصل تلك الفردية بطابعها النفسى وانسانيتها المجردة إلى تماثل صوفى بين الجلادين والضحايا فالإختلاف مقصور على الفوارق الفردية وتغيب التناحرات الطبقية والأيديولوجية الفائقة للفرد، ولكن فتحى غانم يواصل تلك النظرة متجاوزا المزالق فى روايته «احمد وداود».

مصرع أحمد وعجز داود:

وقبل تلك الرواية كنا نلاحظ أن اسم البطل يتكرر فى روايات كثيرة مختلفة (يوسف منصور) وأن الكثير من «الأوضاع» الخارجية والمشاعر الداخلية تتكرر لدى شخصيات شديدة التباين. فكل البشر من نسيج واحد. ولكننا هنا نلتقى بالبطل المصرى فى رواية أحمد وداود مزدوج الشخصية يتقمص شخصيته فلسطينى فى بلده المذبحة الشهيرة (د) ابريل ١٩٤٨ قبل الحرب. ولعلها «دير ياسين» التى لاتنتمى إلى ما اقتطعه قرار التقسيم من اللحم الفلسطينى وأعطاه للنازحين القادمين من بعيد، حيث أعلن الصهاينة الحرب على الفلسطينين حتى إعلان اسرائيل. وأحمد الفلسطينى يتقمص قرينه المصرى على الرغم من اختلاف الأسماء فالجسدان متصلان طول التاريخ وشقيق جده لأمه كان يعيش فى فلسطين فى تلك الأيام الخوالى عندما كانت الأرض كلها اسمها الشام والناس جميعا عربا، فالنسيج الانسانى عربى متميز متعدد. وجسد الأب المسجى على فراش الموت يراه المصرى ممتدا حتى «الشام» حيث ذهب الجد فى جيش ابراهيم باشا ليحارب العثمانيين وترك هناك زوجة وعيالا.

ويحلم المصرى بحياة ثانية عاشها بالخيال فى فلسطين باعتباره واحدا من أهلها حتى قتله الصهاينة.

ويلتقى قرب موته فى مصر بابن فلسطينى لم ينجبه من امرأة لأن حبيبته الوحيدة الصهيونية ساره يقطر السكين فى يدها دما فلسطينيا، إنما ولدته الأرض كأنها رحم الأم يوم خضب أحمد سالم أرضه بدمه، يوم قتله صهيونى عملاق الجسم.

وعند تلك النقطة يورد السياق رمزا من التوراة، فالصبى يؤكد كأنه النبى داود وهو يلتقط حجرا ليهزم المارد الصهيونى «جوليات» إن أطفال الحجارة أكفاء لهزيمة دباباتاسرائيل.

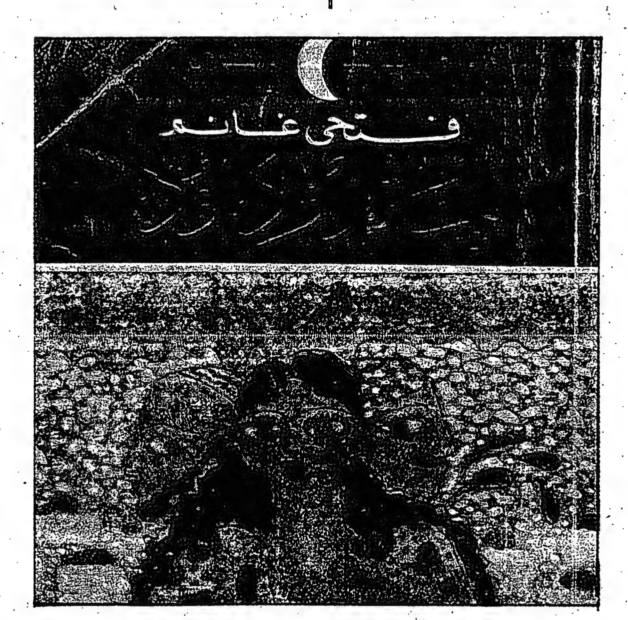
ويحمل الطفل كذلك اسم أحمد راسم.

ونحن نلتقى برمز الصبى والعملاق بدلالة معاكسة فى ذهن بطل ضائع فى «الأفيال»، فالضائع يشاهد فى التليفزيون مباراة فى كرة السلة بين اسرائيل الضئيلة والاتحاد السوفيتى الضخم وكأن داود الاسرائيلى قادر على مواجهة جوليات السوفييتى بالإصرار والتضحيات. ولكن يوسف منصور الضائع فى رحلة النهاية ومحاكمة النفس كأنه فى «الأبواب المغلقة» لسارتر يردد كلمات «ماتيو» بطل سن الرشد» لسارتر أيضا «ربما لأنه لم يحارب لتضيته، لم يحارب لأى شئ يستحق الحرب «ضاعت حياته هباء، على العكس من أحمد سالم.

ونرى البنت اليهودية فى «الأفيال» تضحى بحبها من أجل إنشاء دولة اسرائيل وتترك يوسف منصور حزينة فلا وقت للحب. الوقت لاسرائيل (وإن لم يكن يوسف عاشقا لها على أية حال)

أما «سارة» فى «أحمد وداود» فقد نشأت فى بيت أسرة يهودية يضعها السياق خارج المشروع الصهيونى، وتتألف من بشر شديدى الطيبة. أمها تريد لابنها داود اصدقاء من أولاد العرب المسلمين وهى جالسة تلحس السكر العالق فى أصابعها من أكل الملبن وحينما يسأل أحمد صديقه «داود» عن شكل المعبد اليهودى من الداخل يقول مثل «المسجد» بل حينما أصيب أحمد بحجر يجذبه داود وهو يصرخ كما لو كان هو المصاب، وكبست أم داود البن فى الجرح ليتوقف الدم، ويتساءل ضابط انجليزى من المعسكر من أنتما؟ عربى ويهودى ماالذى جمعكما؟ هل أنتما صديقان ويمد يده بعلبة مربى. ويتعاهد الصبيان على الصداقة وتقول أم أحمد أن المربى التى يصنعها الانجليز جيدة.

فالسياق يركز على نسيج انسانى متماثل يقبع داخل أفراد المعسكر الاستعمارى والمرشحين لمستوطنة اسرائيلية وأبناء الشعب الفلسطينى على السواء وهو نسيج مثالى فى طور الكمون لم تحوله المؤسسات بعد إلى



نقيضه ولم تصنع منه بعد مسوخا معادية للانسانية.

ومهما يكن من شئ فلن نجد فى تلك «الانسانية القائمة» على الرغم من سذاجتها عجزا عن رؤية «القدرة التشكيلية» لعلاقات الاستغلال والقهر، فهى تزرع داخل البراءة المفترضة بذورا سامة وتخلق سمات وجدانية تستعذب البطش والتعذيب والإغتصاب والتفرقة بين البشر.

صهاينة وفاشست ومتسلقون

إن «سارة» لاتكف عن الحديث عن جمالها النادر لحبيبها أحمد، جمالها هو الجمال الذى اختاره الله وتوجه ملكا ، فالله صنع من هذه الأنثى الشبقة -على حد قولها- جمالا كاملا يليق به (ص٥٧). فسيكولوجية الامتياز والتفوق تملؤها بقداسة مزيفة تغلف دنسها وفجورها. فكل رجل تراه تتخيله شريك فراش معترفا بمواهبها التى تزعم أنها إيثار لها من جانب الخالق، فى صيغة جنسية لإيديولوجية شعب الله المختار وطموحها مجنون تريد الكثير والكثير.

نفس «الطموح» القاتل عند شخصيات فتحى غانم، «ماريا» بنت شبرا ترى كل مافى جسمها جميلا ممتلئا بالنضارة والحيوية يطاردها طابور طويل من الرجال، ملكة وعرش وهى التى عرفت فعلا الملك الذى يجلس على العرش ولكن عرشها هو الحقيقى (ص٨١) ومع ذلك كانت ماريا عند مفترق طرق: عرش الدعارة الممتازة من ناحية وطهارة علاقة حب وأسرة وادعة من ناحية.. أخرى وجعلها فتحى غانم تختار الزواج على سنة الله ورسوله وتنبذ بوعى أحلام العظمة الجوفاء والامتياز الشيطانى المتفرد فوق قمة تجثم على أشلاء الآخرين وتأخذ الفضيلة التقليدية فى الرواية مكافأتها : شعور بسعادة أبدية هى قدوة تسر الناظرين.

وتتحرك كلمة «العرش» لتقفز إلى مركز الحياة النفسية عند الرجل الذى فقد ظله، وعند «زينب» بطلة زينب والعرش وعند الكثير من أبطال «فتحى غانم» «فالعرش» هو هدف الصراع على البقاء وعلى السلطة الشخصية

ويقول فتحى غانم «العالم لم يعد ينقسم إلى أغنياء وفقراء وإنما الى أحياء قادرين على مواجهة تحديات الحياة والبقاء أو أموات فى طريقهم للإنقراض أمام المجاعات أو الجفاف أو الجهل والتخلف (الثقافة الجديدة- اكتوبر ١٩٩٠- من ٣٥)

ونعود إلى الصراع العربى الاسرائيلى فى رواية أحمد وداود. فالأنثى الناعمة سارة يحولها طموحها إلى عجينة لينة بين يدى راشيل فى المستوطنة الصهيونية، وراشيل لاتعرف الخضوع الأنثوى ولاتخشى الرجال، فهى ليست كومة لحم وشحم فى انتظار رجل ينهشها أو يلفظها.. وتريد أن تغير ماحولها.. تغير جميلات صهيون إلى أفاع شرسة مقاتلة تحرس المزارع وتقبض على الخناجر تغمدها فى بطون النساء العربيات وتمزق الأجنة.

وتصور الرواية تلك المستوطنة أو مصنع الإرهاب استمرارا تاريخيا لضيعة «شوكت الأنصارى» وحراسه الشراكسة شديدى البطش والسطوة والجور وهذا الانصارى كان يجتمع فى فندق الملك داود بالقدس بصحبة الباشوات العرب شيوخ القبائل للغذاء مع القائد الصهيونى الدكتور وايزمان من أجل التعاون لتحسين أحوال البلاد تحت العلم البريطانى.

وكان شوكت الانصارى لايتعامل مع أهل القرية إلا بالرصاص. ويفرض تابعه على أخت أحمد الزواج غصبا سدادا لمال.

إن قرية «دير ياسين» قد أريق على أرضها الدم الفلسطينى بأيدى الشراكسة والانجليز.. وكانت المستوطنة الصهيونية أحط حلقة فى سلسلة القهر والعنف والموت لأنها حلقة الاقتلاع.

وصراع البقاء فى تلك الرواية لايأخذ جانب العنف والضراوة أو تمجيد الناب والمخلب التكنولوجين وشريعة الإفتراس بل إن مايحظى بالتعاطف هو الأفراد الملتصقون بتيار الحياة اليومية والجماعية الانسانية، والطبيعة. وهذا التعاطف يشكل وجهة النظر التى ترفض السوبرمان فى الصحافة والسياسة والمال والسرير أنثى والعنصر السيد عند الفاشست.. وقبل ذلك كله شعب الله المختار الذى وهبه رب الجنود أرض العرب من النيل إلى الفرات.

ولا ينطوى ذلك على تمجيد البدائية والخمول والغباوة أو التكيف مع الأوضاع الموروثة.

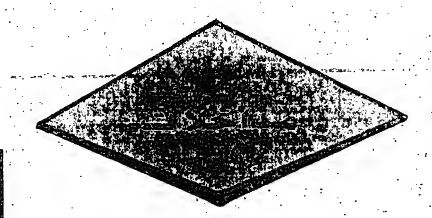
إن الجماعة الفلسطينية مثل الجماعة المصرية فى «الجبل» دوحة تنبت من أعماق الأرض بل هى تكشيف إنسانى راق لحياة الأرض وخشونتها الخصبة الصلبة تتحدى فى دهاء وإصرار ووعى فطرى ذكى كل مايفرض عليها من أشياء لاتتوافق مع إيقاع وجودها سواء أريد بهذه الأشياء نفعها (الجبل) أو ضررها (احمد وداود)

ولقد أطلنا الحديث عن أحمد.. ولكن من هو داود؟ إنه اليهودى الفلسطينى الذى صاح فى معتقل النازى أنه عربى وعاد إلى بلاده ليتعايش مع أصدقائه وأتراب طفولته فى سلام دون أن يكون جزءا من مشروع طرد العرب وقتلهم . إن صيحته لإنقاذ صديقه العربى من المجزرة تضيع هباء. فالصوت الغالب هو سوف نرهب العرب ونخرب ديارهم ونقتلهم ونسرقهم لتكون لليهود الكلمة فى فلسطين.. بل سوف نقتلك ياداود إن لم تنضم إلى صفوفنا.

فالضعف الانسانى- الحب/ الصداقة- فى العدوان الاسرائيلى على العرب لم يف بوعود السلام وإحقاق الحق.

بل إن «التطبيع» مع اسرائيل يحمل خيبة أمل حتى على أدنى المستويات فالكاتب فتحى غانم وكان مستشارا لفريق مصر الذى واجه فريق الشطرنج الإسرائيلى فى مايو ١٩٨٢ وانتصر عليه يحكى قصة حدثت فعلا تصلح جزءا يضاف إلى موقف «داود» مترجما إلى العربية فلقد طلب السفير الاسرائيلى أن يلعب الفريقان» مباراة ثانية من النوع الخاطف- مثل الحرب الخاطفة التى تشنها اسرائيل على العرب وتعودت على الإنتصار فيها ووعد بتقديم جائزة للفائز.. وفازت مصر.. وحتى الآن لم يف السفير الاسرائيلى بماوعد كما يقول فتحى غانم (روز اليوسف ١٩٩٠/١٢/٩).

وستظل صرخة داود وأمثاله على الجانبين ضائعة فى صخب النصر الاسرائيلى.



الحقيقة في موسكو..

نعم.. هناك حقائق أخرى

محمد الجندي

في العدد التاسع من «اليسار» أشادت المجلة في مقال افتتاحي بعنوان «الحقيقة في موسكو» برسائل أحمد الخميسي وقدمتها على أنها «الحقيقة» عما يجري في الاتحاد السوفيتي وتحدث من لديه حقائق أخرى أن يقدمها بدلاً من طرح «الشعارات» ونحن نتفق تماما مع افتتاحية «اليسار» بأن من حق القارئ دائما أن يعرف الحقيقة مهما بدت قاسية وصادقة».

والخميسي يعيش في موسكو منذ سنوات عديدة، وعنده القدرة على معرفة الكثير من الوقائع والتفاصيل بسبب معايشتها وهو أمر لايتوفر للكثيرين. وهو لايتوفر لي مثلا رغم انني عملت في موسكو منذ ١٩٦٩ حتى ١٩٧٤ ورغم أنني قمت بزيارات خاطفة لموسكو عدة مرات بعد ذلك كان آخرها في ابريل من العام الماضي. ولكن متابعتي المستمرة لمايجري هناك ولقاءاتي المستمرة مع مواطنين سوفييت تجعلني أقطع بأن رسائل الخميسي لاتمثل إلا جزءا من الحقيقة، وأنها إذا قدمت وحدها دون بيان أسبابها وخلفياتها التاريخية والاجتماعية والسياسية فإنها «نشوه» الحقيقة وتقدم صورة مغايرة تماما للواقع ، وبالتالي فلا تصبح صورة حقيقية.

والحقيقة الأساسية التي لاتوردها رسائل الخميسي هي الصراع الحاد والعنيف الذي يجري هناك ، والقوى والإتجاهات العديدة التي أطلقتها البريسترويكا ، ومايجري بينها من صراع لم يحسم بعد. إن مايقدمه الخميسي هو صورة فوتوغرافية جامدة لاتعطي الصورة الحقيقة.

لم يذكر الخميسي مثلا تصريحا هاما «لفلاديمير كريوتشكوف» رئيس لجنة أمن الدولة. (ك.ج.ب) في الاتحاد السوفيتي أدلى به يوم ١٩٩٠/١٠/٢٤ وجاء فيه «إن ارتباط المجموعات الإجرامية بتجار السوق السوداء قد سمح ليس فقط بتكوين رأسمال سري كبير وحسب بل إنهم- إذ استغلوا الديمقراطية قد استولوا على السلطة في بعض الأماكن. والأكثر خطورة هو ارتباط المافيا السوفييتية بزملائهم في الخارج. وكقاعدة نجد أن وكلاء المجرمين السوفييت هم مواطنون سوفييت سابقا قد سافروا إلى الخارج للإقامة الدائمة هناك ولكننا حتى الآن لانستطيع القول بأنه توجد في الاتحاد السوفيتي دولة داخل الدولة كما يحدث ذلك مع المافيا في بعض البلدان الرأسمالية، ونحن نعمل كل شيئ من أجل ألا يحدث هذا رغم أنه من العسير جدا على لجنة أمن الدولة أن تخوض مثل هذا الكفاح، إن المجرمين ينتهزون الفرصة لأننا نعيش في أزمان غير مكتملة وبقوانين غير مكتملة، وبسبب عدم كمال القوانين نجد أن المؤسسات المشتركة التي ظهرت حتى الآن في الاتحاد السوفييتي مثل الفطر هي حسب معطيات لجنة أمن الدولة تسبب الخسائر للدولة تحسب بمليارات الروبلات. والوضع يزداد صعوبة باطراد وذلك لأنه تجري في المجتمع تغييرات حادة».

ويؤكد هذا التصريح مايرويه كثير من المواطنين السوفييت الذين التقيت بهم، إذ يقولون أنه رغم أن المحلات التجارية شبه خاوية من السلع إلا أنه يمكن الحصول على أي شيئ بدفع أسعار أكبر. بل وهناك الذين يقفون داخل المحلات أو إلى جوارها ويعرضون بيع ماتخلو منه المحلات. هؤلاء يشترون كميات كبيرة من البضائع فور نزولها بالأسعار التي تحددها الدولة ويبيعونها بعد ذلك في السوق السوداء.

وهناك روايات عن البضائع التي تهلك في المخازن لعدم نقلها وتوزيعها في الأسواق. وعن إحراق واتلاف الكثير من البضائع التي تخلو منها المحلات.

هذا كله يعني أن هناك تخريباً وأن هناك مقاومة للتغيرات التي تجري حاليا في الاتحاد السوفييتي ، وأن المخربين يستفيدون من جو الحريات الحالي. ويستفيدون أيضا من أن كثيرا من الأوضاع والقوانين القديمة قد ألغيت دون أن يحل محلها أوضاع ونظم وقوانين أخرى. من ذلك مثلا إلغاء الدور القيادي للحزب الشيوعي ومنع تدخله المباشر (عن طريق الأوامر والقرارات) في أجهزة الدولة والاقتصاد والسماح بحرية تكوين الأحزاب دون أن يستقر نظام جديد للدولة والحكم.

وهناك حكم العادات القديمة (انتظار التعليمات من أعلى) والبيروقراطية التي يصعب استئصالها في يوم وليلة.

وهناك حقيقة أخرى وهو أن الازمة الاقتصادية التي تتمثل في اختفاء السلع ونقصها تتركز أساسا في موسكو ولينينجراد وعدد من المدن الكبيرة وأن الوضع في المدن والجمهوريات الأخرى يختلف كثيرا. وذلك يرجع إلى الاستقلالية التي تحرص عليها وتتمتع بها الجمهوريات المختلفة، والتي تحدد سياستها الاقتصادية وتقرر مايمكن أن ترسله للمركز. وهذه الصورة تختلف عن الوضع أيام «بريجنيف» حيث كان كل شيء متوفر في موسكو ولينينجراد والمدن المركزية الأساسية وتخلو منه الجمهوريات والمدن الأخرى، ومن المعروف أنه في انتخابات السوفييتات الأخيرة في موسكو ولينينجراد ، كانت الأغلبية لجماعة «روسيا الديمقراطية» وأن «بوبوف» رئيس بلدية موسكو ينتمي إلى هذه الجماعة. وبسبب الأوضاع الاقتصادية السيئة في هاتين المدينتين يقول البعض أن ذلك يؤثر على شعبية جماعة «روسيا الديمقراطية» وهي الجماعة التي تطالب بالإسراع في الانتقال إلى اقتصاد السوق وتطالب بمواقف أكثر راديكالية.

لا أعتقد أن هدف «اليسار» في عرض التحولات العميقة والمعقدة التي تجري في الاتحاد السوفييتي الآن هو تقديم قصص مسلية ومثيرة، ولا أن تقتصر على سرد بعض الوقائع من هنا وهناك دون شرح الأسباب والخلفيات والرد على كثير من التساؤلات التي تثور في أذهان الكثيرين نحن لانريد تزييف الحقائق أو تجميلها ، ولكن يجب عرض الواقع في عمقه وحركته ولاشك أنه إذا كان

ماجرى.. وليس ماكتب!

أحمد الخميسى

كتبت «اليسار» فى عددها التاسع بعنوان «الحقيقة فى موسكو» تعليقا على رسالتى الأخيرة وماسبقها من رسائل. وقبل الخوض فى الملاحظات التى تضمنها التعليق أحب أن أتوقف عند مارسخته المجلة من منهج هو وحده الكفيل باستنبات الحقيقة وإن خالفت أحيانا الرغبات والأمانى الخاصة، وأعنى الرؤية الديمقراطية العميقة التى تمسك بها رئيس التحرير والمستشارون حينما انتهوا إلى أنه «من حق القارئ أن يعرف الحقيقة مهما كانت، فلهذا الموقف أثر فى حياتنا الثقافية والفكرية أبعد من قصة هذه المقالة أو تلك، وهو دور اليسار الذى لايمكن النهوض به مرة بخصوص قضية ما، وتغييبه مرة بشأن قضية أخرى، سواء أكانت المجلة تناقش «الحركة النسائية فى مصر» أو «أوضاع البيرسترويكا».

أما عن «الاعتراض» فمن أسبابه أن الرسائل تمثل «رؤية أحادية الجانب»، وأيا كانت طبيعة تلك الرؤية فإنه لايسعها أن تؤلف الأسماء والمصادر والحوادث. ومن أسباب الاعتراض أن الرسائل: رغم موضوعيتها «قد

لقد وقف اليسار المصرى فى غالبيته مع البريسترويكا والجلاسنوست ومع التحولات الجديدة التى بدأت منذ خمس سنوات بهدف تجديد الاشتراكية وتطهيرها مما علق بها فى الفترة الماضية من جمود وكهنوتية وأن هذه العملية التى تجرى الآن فى الاتحاد السوفييتى تؤثر علينا وعلى العالم كله وأنا لا أطالب بأن نؤيد كل مايفعله جورباتشوف أو القيادة السوفييتية ولكنه يجب أن نعرف الحقائق بعمق وصدق حتى نقدر على تحديد الموقف السليم. وأن القوى الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى تحتاج منا إلى التضامن معها ومساعدتها فى ظروفها المأساوية وفى معركتها الصعبة وفى تصحيح أخطائها.

هناك معركة لم تنته بعد وهناك مصاعب عديدة لايجب أن نعرضها بأسلوب التشفى أو البكاء على الأطلال، وإنما بأسلوب التعاطف مع القوى الاشتراكية ومع التجديد ومع النقد أحيانا وتقديم الرأى والنصيحة بما نستطيع أن نقدمه والتضامن مع التوجه الذى نعتقد أنه سليم وثورى. السنوات الأولى من ثورة أكتوبر كانت أيضا مليئة بالصعوبات (المجاعة- الحروب- موقف معادى من المثقفين- انقسامات بين الاشتراكيين- دمار وقتل) ومع ذلك فقد تضامنت القوى الثورية فى العالم مع ثورة أكتوبر.

هناك من يقول أن مايجرى فى الاتحاد السوفييتى هو عودة للرأسمالية وتعتبر أن جورباتشوف يعمل على ذلك. وهو رأى نحترمه ويجب أن نعرضه. ولكن هناك آراء أخرى. والرسالة اتخذت الموقف الأول. وهى لاتقول شيئا عن الصراع الدائر والآراء المختلفة سواء فى معسكر «المتمسكين بالاشتراكية» المحافظين منهم والمجددين أو فى معسكر «الداعين للرأسمالية». وهذا كله موجود سواء فى السوفييتات أو فى الشارع أو فى الإعلام . وليس كل مايقال هناك يعبر عن رأى قيادة الحزب أو رأى جورباتشوف وأعتقد أن «اليسار» يجب أن نعرض ذلك كله. وأتصور أن رهاننا هو فى انتصار «الخيار الاشتراكى».

وهناك سؤال أخير هو: هل الخيار الاشتراكى يكون على أنقاض جورباتشوف؟ أنا شخصيا لا أميل إلى هذا الرأى. ولكن الأهم من الآراء هو مادورنا فى تدعيم الخيار الاشتراكى فى الصراع الدائر؟ لا أعتقد أن مقالات أحمد الخميسى تساعد على ذلك.

هناك صراع بين الاشتراكية وأعداء الاشتراكية فلسنا محايدين فى هذا الصراع. ونحن نتعاطف ونتضامن مع القوى الاشتراكية والديمقراطية فى الاتحاد السوفييتى وهم فى حاجة إلى تضامننا كما احتجنا دائما واحتاجت كل حركات التحرر الوطنى والحركات الديمقراطية فى العالم إلى تضامنهم.

ومما يخالف الحقيقة مايذكره الخميسى مثلا فى مجال عرضه لارتفاع الأسعار أن متوسط الأجر ٢٠ روبل وهذا غير صحيح فإن الحد الأدنى للأجور هو ٧٠ روبل ومتوسط الأجر حوالى ضعفى أو ثلاثة أضعاف هذا المبلغ ومن الحقائق غير المكتملة ذكر هذه الأسعار المرتفعة دون ذكر الأسباب فى ذلك. ودون ذكر أنه فى آخر انتخابات للسوفييتات حصلت «روسيا الديمقراطية» على أغلبية المقاعد. وهم الذين يطالبون بالإسراع بتطبيق اقتصاد السوق أى ترك الأسعار للعرض والطلب، أى ترك الأسعار ترتفع دون تدخل الدولة.

وهناك الكثير من الوقائع الأخرى التى يجب ذكرها لبيان الصورة الحقيقة لما يجرى فى الاتحاد السوفييتى الآن. وهناك الكثير من المسائل التى لايمكن أن نفهمها بمجرد الإطلاع على الصحف السوفييتية أو مشاهدة التليفزيون السوفييتى أو الحديث مع السوفييت. هذا كله ضرورى ولكن لايجب الإقتصار على صحف دون أخرى والرواية عن بعض السوفييت دون آخرين لأنه بذلك نغفل الصراع الحاد الذى يدور الآن، والذى لانستطيع التكهن بنتيجته ولكننا نتعاطف مع القوى الاشتراكية ومع تجديد الاشتراكية.

وأعتقد أن الكثير مما يكتب عما يجرى فى الاتحاد السوفييتى فى الصحف والمجلات الأخرى يعطينا صورة عما يجرى أكثر دقة وأكثر صدقا مما يقدمه لنا أحمد الخميسى. ومثال لذلك رسالة عبد الملك خليل للأهرام التى نشرت فى الأهرام يوم ٢٠ ديسمبر الماضى بعنوان «المجاعة السوفيتية بين الوهم والواقع» والتى تقدم صورة واضحة لما يجرى هناك.

إن استقالة شيفرنادزه الأخيرة تبين عمق الصراع الذى يجرى حاليا فى الاتحاد السوفييتى . وأجزم أن مقالات الخميسى لن تساعدنا فى فهم هذه الاستقالة ودلالتها.

تكون عامل يأس واحباط للكثيرين من المؤمنين بالاشتراكية» وكيف يمكن للموضوعية أن تصيب الاشتراكيين باليأس وهى حجر زاوية فى منهجهم؟ أم أننا نسعى وراء «أمل» بغض النظر عن الحقيقة؟ ووراء تفاؤل بغض النظر عن الموضوعية؟. ولقد ضخم هذا الاعتراض من قيمة الرسائل، وصغر قيمة الواقع، وجعل أن الخبر وليس الحدث هو سبب الإحباط، وكأن أحدا قبل تلك الرسائل لم يستشعر المرارة من تشريع الملكية الخاصة فى التجربة الاشتراكية، ومن انضمام بعض البلدان «الاشتراكية» إلى حلف شمال الأطلسى، ومن حملات الهجوم على مؤسسى الفكر الاشتراكى والعلمى.. أبدا لم يصب أحد باحباط حتى نشرت «اليسار» تلك الرسائل التسع؟!. وبذلك أصبحت المشكلة فى الصدى وليست فى الصوت، وفيما كتب وليس فيما جرى!

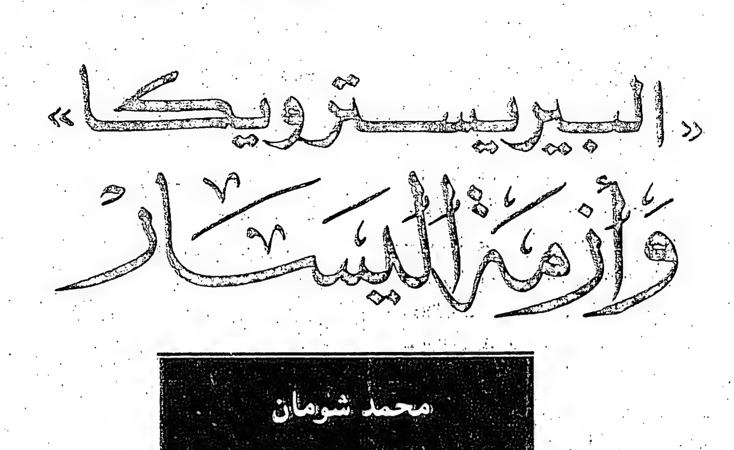
وأخيرا اود أن اشير إلى أننى منذ أن نشرت فى الاهالى مقالة عن المؤتمر ٢٧ للحزب الشيوعى السوفيتى، وتوقفت عن الكتابة فى مسألة التحولات السوفيتية لمدة أربع سنوات متصلة لإدراكى أن حجم وأهمية



يلتسين.

مايدور يلزمان بالتأنى وعدم اقتناص اللحظات الصحفية السريعة، ولم أعاود النشر إلا مع خروج اليسار للنور، وأن عمر علاقتى بالكتابة للصحافة قصير، قد لايتجاوز تلك الرسائل التسع، ولكنى أعتز إلى مالانهاية بأن ذلك العمر القصير قد عاش وتنفس على صفحات اليسار، التى لايضيق صدرها- وهى التى عرته لسهام الوضع الرسمى- بآراء الأصدقاء!.

مداخلات



«البيريسترويكا» وأزمة اليسار

محمد شومان

يشيع مصطلح الازمة فى خطاب أغلب فصائل اليسار المصرى منذ أوائل الثمانينيات، حيث كان يستخدم غالبا لتبرير بعض الإنشقاقات الداخلية أو ضعف التأثير السياسى لفصائل اليسار نتيجة تعثر الأداء التنظيمى وفشل أساليب العمل الجماهيرى. وبصفة عامة عدم قدرة اليسار على التكيف مع التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتسارعة محليا وعربيا.

لكن مع التحولات الفكرية والسياسية فى الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية تزايد الحديث عن أزمة اليسار وتداعياتها دوليا واقليميا ومحليا، كما اخذت أبعاداً جديدة فكرية وسياسية وتنظيمية . وأقرت كل فصائل اليسار العربى على اختلاف منطلقاتها الفكرية ومواقفها السياسية وحظها من الشرعية والتأثير بوجود أزمة لليسار، بل وحدد مظاهر الأزمة مجسدة:-

١- الجمود الفكرى والخلقية وضعف التأثير ومحدودية الوسائل مقارنة بالأهداف، وعدم القدرة على تدارك الفجوة بين الوسائل والأهداف من خلال التجديد الفكرى، وإعادة النظر فى الوسائل والبرامج المطروحة.

٢- ضعف التماسك الداخلى، حيث ماتزال المشكلات الداخلية دون حلول حاسمة، كما أستمرت ظاهرة التفكك والصراع بين الأحزاب والتنظيمات المختلفة.

٣- محدودية التأثير السياسى قياسا إلى تاريخ اليسار العربى وإمكانياته المتاحة، علاوة على الشعور بالعجز عن الفعل أو متابعة التطورات المحلية والدولية وتتفق أغلب مصادر اليسار على إتساع القاعدة الاجتماعية لقوى اليسار وتعاظم عضويته وانتشار كوادره، ومع ذلك فإن حركة اليسار فى الواقع دون هذه الإمكانيات بكثير، بل إنه يفقد وباستمرار الكثير من مواقعه السابقة رغم تفاقم المشكلات الاقتصادية الاجتماعية فى المجتمع والتى تخلق عادة البيئة المناسبة لانتعاش اليسار.

٤- الأنشغال بمشكلات وصراعات داخلية خاصة بإعادة البناء التنظيمى ومحاولة تطويره، وفى حالات أخرى أحتواء آثار انشقاقات أو صراعات داخلية وتصدق هذه المظاهر على أوضاع فصائل اليسار العربى مع تفاوت نصيب كل منهم فى حجم المشكلات التى يعانى منها فالملاحظ أن المشكلات الداخلية خاصة التنظيمية تتشابه إلى حد كبير فى أسبابها ومظاهرها، وربما لتشابه أساليب العمل التنظيمى وعدم ملائمتها مع الامكانيات المتاحة لليسار وأوضاع المجتمع وفشلها دون استثناء فى تأطير العضوية المفترضة لكل فصيل.

٥- تركز مجهود اليسار إلى الداخل على مستوى كل فصيل، على حساب نشاطه السياسي والجماهيرى العام. وفى هذا المجال فإن أدوات وأساليب اليسار تتسم بالضعف ومحدودية التأثير، ربما لأسباب خاصة بالقيود المفروضة على حركة المعارضة وضعف الإمكانيات المادية لليسار لقد انحصرت تلك الأدوات فى إصدار الصحف والنشرات والبيانات وعقد الندوات المغلقة، والعمل من خلال تجمعات المثقفين وبعض النقابات العمالية والمهنية، أى أنها انفصلت عملياً عن التعامل مع القوى الاجتماعية التى تدعى فصائل اليسار تمثيلها سياسيا.

٦- عدم قدره اليسار عامة على تجاوز خلافاتها الفكرية والسياسية تجاه التعاون والتنسيق فيما بينهما لفترات طويلة، أو تعثر إنجاز معظم مشروعات التحالف أو جبهات اليسار لآلية منظمة للحوار فيما بينهما حول القضايا محل الخلاف وفى هذا السياق تفرز هذه الخلافات وربما تبرز ادعاءات تتردد بين صفوف اليسار حول الراديكالية واليمينية.. الخ

٧- العجز عن استيعاب التحولات المتسارعة فى البلدان الاشتراكية بعد البريسترويكا، ومتابعة مايحدث بقدر كبير من الإرتباك والشك والشعور بالصدمة، وبالتالى عدم القدرة على بلورة قراءة مستقلة وشاملة لأزمة الفكر والتجارب الاشتراكية فى العالم وإنتاج خطاب أو خطابات تراعى خصوصية الواقع العربى وأزمة اليسار فى ضوء دروس ودلالات التحولات فى البلدان الاشتراكية والمناخ الفكرى الجديد الذى خلقته وربما يرتبط هذا التقصير بظروف تاريخية

أزمة فعل وممارسة
أم
أزمة منهج وفكر؟!!!

خاصة بنشأة وتطور وتركيب فصائل اليسار مجتمعة أو منفصلة وطرق التفكير وأساليب العمل التنظيمى والسياسى الشائك بينهما والتى تعكس تشابها كبيرا يصل أحيانا إلى حد التطابق فى كثير من القضايا والمواقف

على ان اتفاق فصائل اليسار المصرى على كل أو معظم المظاهر سابقة لأزمة اليسار، وعدم ملائمة المناخ الدولى، لم يرشح لاتفاق مماثل حول جوهر تلك الازمة وأسبابها، وأثارها على كل فصيل ومسئوليته عنها، وذلك نظرا لاختلاف مواقفها الفكرية والسياسية، ومن ثم عجز اليسار عن تجاوز هذه الأزمة أو حتى التفاعل الصحى الذى يخلو من روح التنافس والصراع وخصومات الماضى والمكاسب السياسية القريبة. فلم تظهر مراجعات جادة وصريحة لأفكار وممارسات اليسار على مستوى كل فصيل، أو على مستوى الفصائل المختلفة وربما يشهد المستقبل القريب تلك المراجعات بالنظر إلى احتمال إكتمال التحولات فى الاتحاد السوفيتى، والكتلة الشرقية أو على الأقل وضوح معالمها وآثارها.

وبشكل عام توجد تأثيرات متبادلة وأفكار شائعة فى صفوف فصائل اليسار بشأن توصيف وتفسير أزمة اليسار المصرى، وتفاعلاتها مع التحولات المتسارعة فى البلدان الاشتراكية ويمكن التمييز بين تيارين رئيسيين يرى الأول أنها أزمة حركية تفرضة ظروف ذاتية موضوعية لاتتعلق بالجوانب النظرية فى الفكر الاشتراكى، وبينما يؤكد التيار الثانى والذى يمثل الأقلية فى صفوف اليسار عامة، أنها أزمة مزدوجة تجمع عناصر حركية ونظرية تستدعى إعادة النظر فى الموروث النظرى والحركى رغم أن هذا التيار يؤكد أولوية الجوانب الحركية فى أزمة اليسار، إلا أنه لم يكن ليظهر ويجاهر بأفكارها لولا المناخ الجديد الذى خلقته رياح التغيير فى الاتحاد السوفيتى ومنظومة الدول الاشتراكية.

على أن كلا من التيارين من الإتساع والتنوع بحيث يجمع كل منهما تصورات ومواقف فرعية متباينة، لكن المقال يركز على المشتركات العامة التى تميز بينهما كما أن تناول كل منهما منفصلا عن الآخر لاينفى وجود تشابه فى بعض أفكارهما ومواقفهما تتداخل وبدرجات مختلفة من الأهمية فى خطاب كل منهما إلا أنه تبقى اعتبارات معلنة أو غير معلنة تدفع إلى التركيز على بعض العوامل دون الأخرى فى تفسير أزمة اليسار نتيجة التباين الفكرى والسياسى بين فصائل اليسار وفى هذا الإطار يتناول المقال درجات التباين كما تظهر فى صفوف الماركسيين أو من ينطلقون من مقولات ماركسية سواء كان لهم دور سياسى أم لا.

التيار الأول تركز اطروحاته على وصف أزمة اليسار بأنها أزمة فعل وممارسة لا أزمة منهج أو فكر فضعف آلية العمل التنظيمى ومحدودية أساليب العمل الجماهيرى والسياسى هى جوهر أزمه اليسار وسببها الرئيسى. كما أنها فى الوقت ذاته أهم مظاهر تلك الأزمة، ويحوز هذا التيار على الأغلبية فى التجمع والحركة الشيوعية والتيار الناصرى، كما أنه يقدم شهادات عديدة فى تحليل أزمة التنظيم والعمل. الجماهيرى والسياسى منها:-

١- تفشى الحلقية والروح الإنقسامية والصراعات الموروثة فى الحركة الشيوعية.

٢- تغير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية محليا وعربيا نتيجة الثروة النفطية، وتراجع حركة التحرر الوطنى العربى، وما صاحب ذلك من عدم استقرار للخريطة الطبقية للمجتمعات العربية.

٣- تقليدية وجمود وسائل وأساليب العمل التنظيمى والجماهيرى، وعدم تطويرها بما يناسب المستجدات التى تؤثر الرأى فى العام.

٤- ضعف الإمكانيات المادية وقصورها عن تلبية احتياجات الكوادر الحزبية وأدوات العمل الجماهيرى والسياسى.

ويلاحظ أن هذا التفسير قد انتعش مع التحولات التى تجرى فى الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية إذ أصبح التركيز على أن الاشتراكية لا تواجه أزمة فكرية وإنما أزمة الممارسة، ومن ثم فإن الماركسيين فى العالم مطالبين بمراجعة التطبيق الخاطئ والمتعسف لأسس وثوابت الفكر الماركسى، ويسعى أصحاب هذا التفسير إلى إعادة قراءة أعمال ماركس ولينين لاستنطاقها بشكل جديد يتكيف ويستوعب التحولات التى تحدث فى الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية. وبالتالى منحه شرعية الإنتماء للماركسية من جهة ودعم مصداقية قناعاتهم الفكرية وخبراتهم التاريخية من جهة ثانية.

الواقع أن هذا المنحى لايخلو من تناقض

أو مفارقات غريبة تتجسد فى موقفين:-

١- تأييد التحولات فى الاتحاد السوفيتى، والكتلة الشرقية دون الحديث عن آثار سلبية محتملة على القضايا العربية لذلك يحذر هذا التيار العريض من تراجع الدعم السوفيتى للجانب العربى فى مواجهة الكيان الصهيونى. كما وقع فى حيرة شديدة. مع تدفق اليهود السوفيت إلى اسرائيل، لم يخرج منها حتى الآن.

ب - عدم الإعتراف بمسئولية ضعف أوضاع اليسار، والدفاع عن اتهامات الجمود والسلفية الفكرية والسياسية والتبعية للنموذج السوفيتى أو تقديسه بادعاء الإجتهاد والتجديد قبل الإعلان عن البيرسترويكا وإعادة قراءة مواقف سابقة للتدليل على رفض بعض الممارسات فى التجارب الاشتراكية العالمية والدفاع الضمنى أحيانا عن بعضها فى ضوء متغيرات العصر وتحديات بناء الدولة السوفيتية والحرب الباردة.

التيار الثانى ويمثل الأقلية فى صفوف الماركسيين، ويرى أن أزمة اليسار تجمع بين عناصر فكرية وحركية.. أى أنه يعترف بأزمة التنظيم ووسائل العمل السياسى والجماهيرى.

ولاتختلف مواقفه كثيراً مع التيار الأول عندما يحلل أسباب وعوامل تلك الأزمة، إنه يتميز بالحديث عن مسئولية قيادات اليسار عن الأزمة ويطالب بتقاعدها وإعادة تقييم ذات وتجارب الحركة الشيوعية منذ نشأتها، أما على المستوى الفكرى فإن هذا التيار يؤكد إمكانية مراجعة الكثير مما اعتبر ثوابت الفكر الماركسى أو يدعو للحوار والنقاش على أسس جديدة، تراعى خصوصية الواقع العربى. وفى هذا الإطار يتمثل أفكار وتجارب بعض الأحزاب الشيوعية فى غرب اوروبا وأمريكا اللاتينية فى تقديمها لقراءات مستقلة للأدبيات الماركسية التقليدية. كما يقدم تحفظات وانتقادات حادة للنموذج السوفيتى قبل وبعد البروسترويكا، ويحذر من آثار التحولات فى البلدان الاشتراكية على قضايا العالم الثالث وحركة عدم الانحياز وتكتسب اطروحات هذا التيار قدراً من المصداقية بالنظر إلى تحفظه المعلن والثابت تاريخياً ضد بعض ممارسات النموذج السوفيتى ودول شرق أوربا،

بوادر مشجعة

مهما تكن مظاهر أزمة اليسار واختلاف فصائله حول توصيف هذه الأزمة وأسبابها، فإنها، لاتعكس كل أوضاع اليسار العربى، فثمة مستجدات فى إدراك اليسار تعكس اوضاع ومظاهر إيجابية ربما ترشح للقول بأن اليسار قد دخل فى بدايات مرحلة نوعية جديدة فى مسار تطوره يصعب توصيفها أو الحكم عليها، فهى مرحلة انتقالية تتعايش وتتصارع فيها أفكار وممارسات تقليدية، وأخرى جديدة. لكن الإقرار بالأزمة أو سيادة مشاعر عدم الرضا، تدفع باتجاه السعى نظرياً وحركياً لتجاوز مظاهر الأزمة سواء على مستوى كل فصيل أو على مستوى فصائل اليسار عامة باتجاه الحوار أو التعاون أو التنسيق. وربما وحدة بعض الفصائل، ومن، ثم يمكن القول أن استجابة اليسار لأزمته محلياً ودولياً ماتزال محدودة إلا إنها قد تتطور ويتسع تأثيرها فى المستقبل، وقد تبدو أهم مظاهر هذه الإستجابة فى:-

١- اهتزاز الثقة فى الكثير من الثوابت الفكرية والسياسية التى اتسمت بالقداسة فى مراحل سابقة وبالتالى قبول الحوار حولها، والشعور بضرورة التجديد.

٢-تنامى مظاهر وآليات الديمقراطية الداخلية والحد من الروح الحلقية، وتآكل نفوذ بعض الأحزاب الشيوعية وانفتاحها الفكرى والسياسى بحثاً عن صيغ أكثر فاعلية فى العمل التنظيمى والجماهيرى. وقد عكست القضايا والمناقشات التى دارت داخل فصائل اليسار روحاً ديمقراطية جديدة سمحت ربما لأول مره بالخروج عن وثائق تلك الفصائل والسعى لتجديدها.

روحاً ديمقراطية جديدة داخل فصائل اليسار

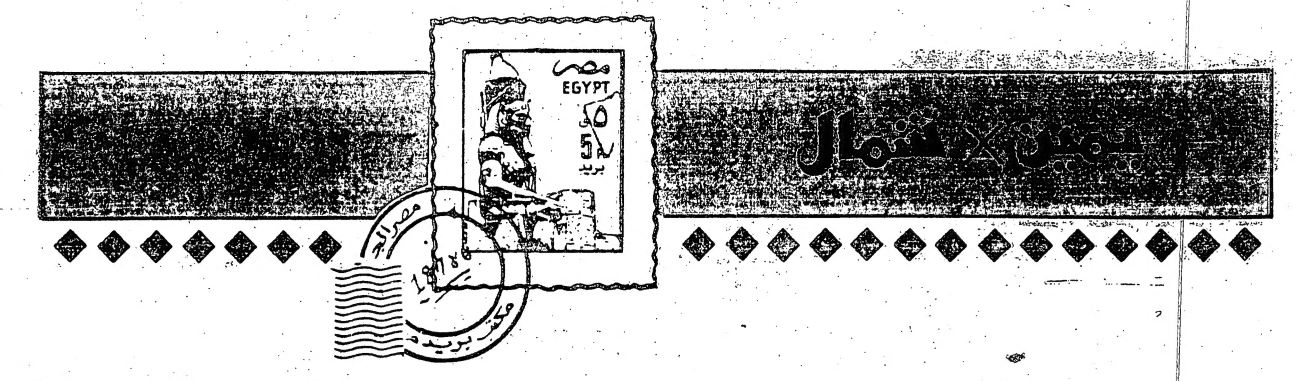
٣-رغم استمرار مظاهر التنافس والصراع بين فصائل اليسار، إلا أن ثمة مظاهر ايجابية قد برزت باتجاه ترشيد الصراع. قلت حدة الاتهامات المتبادلة، وبدأت الدعوه للتنسيق المشترك إنطلاقاً من إدراك أغلبيه فصائل ومجموعات اليسار بأن كل منها على حدة لايمكنه الخروج من أزمة اليسار وتحقيق أهدافه المعلنة، لاسيما فى ظل الظروف الدولية الجديدة والمناخ الفكرى السائد فى العالم الذى يغلب التفاهم والتعاون عن الصراع والصدام.

٤-اتساع القبول بالعمل فى إطار النظم السياسية القائمة والإلتزام بقوانينها ومؤسساتها رغم رفضها والمطالبة بتعديلها نحو مزيد من الإصلاحات الديمقراطية فى هذا الإطار تبرز نماذج لحركة اليسار فى مصر والجزائر وتونس وسوريا واليمن.

٥-تقارب واتفاق خطابات فصائل اليسار، يرشح للقول بوجود خطاب يسارى عام ركز على قضايا البناء الداخلى، وهو مايعكس وعى بأهمية تدارك أزمة اليسار، أى بالتوجه إلى الذات قبل التوجه للجماهير مع تطور الموقف فى قضايا الديمقراطية والحريات العامة والوحدة العربية.

فى الأخير يصعب استشراف مسار عناصر التجديد فى صفوف اليسار أو محاولات الخروج من أزمته، فهناك محددات كثيرة داخلية وخارجية تحدد وتؤثر فى مسارتلك الجهود، وهى إحدى سمات المرحلة الإنتقالية التى يمربها اليسار العربى، ولعل حسم أو استقرار مايجرى فى الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية يؤثر بعمق على مسار اليسار، الذى لم يعترف بأزمته ويتحرك ببطء حتى الآن لتجاوزها كتعبير عن نضج خاص به، بل لكون النموذج الذهبى لقياس الاشتراكى نظرياً وعملياً قد أهتز وأنهارت تدسيته وأصبح من المطلوب بل المفروض مراجعته وترشيده وتبنى نموذج خاص يراعى أوضاع المجتمع المصرى.

ويمكن القول أن ما يعوق جهود اليسار لتجاوز الأزمة وبناء نموذجه الخاص يرتبط بالدرجة الأولى بضعف ومحدودية خبرة تقاليد التجديد لديه، بالإضافة إلى قضية الصراعات التاريخية الموروثة، حيث أن كثير من القضايا تطرح من منظور تصفية ثارات تاريخية موضوعية أو شخصية.



«نزيهه» ولكن!!

لأننا تعودنا حين نفكر أن تكون الأشياء إما سوداء قاحلة وإما بيضاء ناصعة. لذلك تضاربت الأقوال حول إنتخابات ٩٠ والذى لايمكن إنكاره أن كمية وشكل التزوير هذه المرة أقل كثيراً عن المرات الفائتة. ولكن السؤال هو هل هذا دليل على تحول ديمقراطى فى رؤية وأداء السلطة تجاه المعارضة؟! أم ماذا؟!..

من هذه الزاوية تختلف وتفترق السبل فالبعض يرى أن السلطة تأثرت بمايحدث فى العالم وقررت أن تكون أكثر ديمقراطية. ولكن لكى يكون تحليلنا منطقيا فلنرى الظروف الخاصة التى تمت فيها تلك الإنتخابات.

إن مقاطعة الأقسام الأكبر من المعارضة لعدم توافر الضمانات كان سنداً ضاغطا لمنع التزوير وإن استفادت من القوى السياسية التى شاركت.

والنقطة الثانية إن التضخيم من حجم وجود اليسار بالمجلس وأهميته يتجاهل أن الوفد والإخوان لو كان قد نجح لهما ولو ٩٠ نائبا حسب أقل التقديرات لكان النواب الستة لليسار أقل ظهوراً عنهم الآن.

فالمسألة نسبية فلأنه لاتوجد معارضة حزبية سوى لليسار لذلك فسنرى أن حزب السلطة سيكون حريصاً على دور هؤلاء الستة مثلنا تماما.

وليس فى هذا تقليل من الأداء المشرف لمرشحى وحزب التجمع. ولكن الذى يغيب عنا أنه فى المرات السابقة كان اليسار يحصل على ذات الشعبية ويخوض المعارك بنفس القوة ولكن جو الانتخابات المختلف والنتائج المعدة سلفا كانت لاتتيح الفرصة لنا للإحتفال بأداء اليسار المميز فرغم مانقول فلم تساهم السلطة فى إعطاء أحد مرشحى اليسار صوتا واحداً ولم يكن يهمها ذلك. ولكن مانود الوصول له أن نجاح مرشحى اليسار يقدر مايعطى دلالة على عدم التدخل فى الانتخابات إلا أنه ليس دليلاً على تحول ديمقراطى فى توجهات السلطة على الإطلاق، ولكنها حالة توازن خاصة أدت لهذا الوضع والذى يجب أن ننتبه له أن يعى الجمهور دائما، إن مرشحى اليسار نجحوا بسواعدهم وأن أداءهم لدورهم مرتبط بمبدأيتهم وليس بسماح من الحزب الحاكم.

وبالتالى فليس مطلوبا من التجمع أن يبشر أو يبالغ بتحول ديمقراطى وهمى وهذا هو الخطر الذى علينا أن ننتبه له. فبقدر إحتياجنا للديمقراطية إلا أن ذلك يجب أن يكون بتحولات حقيقية مثل إلغاء الطوارئ وتعديل قوانين مباشرة الحقوق السياسية والسماح بقيام الأحزاب بدون قيود إلخ

ولكن الفائدة الحقيقية للمعركة الإنتخابية أن يستغل اليسار تلك الظروف لإستعادة حيويته وتجاوز أزماته السياسية والداخلية التنظيمية وقيادة المعارضة وبناء الحلف الاشتراكى من أجل إرساء مقدمات تحول ديمقراطى شعبى حقيقى.

ومبروك لليسار.!!

أحمد طاهر
محامى

العام الجديد

عفوا إذ كانت أحداث ١٩٩٠ مثيرة، حسرت الأضواء عن العام الجديد كل عام وأنتم بخير وأرسل تهانى كل القوى التقدمية إلى أطفال الإنتفاضة وإلى أبناء الجنوب اللبنانى الصامدين وإلى أبناء كل الشعوب العربية وإلى تراب الأرض والوطن وإنى لأحمل لكم تمنيات وأحلام شباب مصر مع العام الجديد.

١- الآلاف من شباب مصر يأملون فى انتهاء أزمة الخليج ليس حفاظا على الكرامة العربية التى أهدرت فى الأونة الأخيرة بل للعودة إلى العمل بالعراق أو الكويت أو لصرف الحوالة الصفراء من بنك الرافدين.

٢- الآلاف بل مئات الآلاف بل أرقامهم قد تتجاوز تعداد المليون يبحثون عن فرصة عمل لقد قتلت البطالة والبطالة المقنعة أحلامهم فى المهد.

٣- الآلاف من الشباب يعرضون «كلاهم» للبيع مقابل مبلغ من المال يبدأون به حياتهم التى صارت بلا معنى وبلا هدف وبلا حلم كل هدفهم بل وكل أحلامهم فرصة عمل مشروع صغير يحقق لهم الحلم الصغير والاستقرار ويساعدهم على أبسط وسائل العيش.

* فإن كانت الحكومة قد تبنت مشروع الألف (١٠٠٠) يوم لتحرير الاقتصاد المصرى فإنها أيها السادة فى حاجة إلى ١٠٠٠ عام لتعيد الإبتسامة إلى شباب مصر الذى فقد الابتسام شباب جيلى والأجيال القادمة شباب جيلى والاجيال السابقة إنها فعلا فى حاجة إلى عصا سحرية ولآذان تسمع صوت الشباب المدوى« انا فى واد ياربى وحكومتى فى واد واللهم لااعتراض اللهم لااعتراض »مع الإعتذار للاغنية

حسام حسيب
مستخلص جمركى-
الأميرية

ردة الاقتصاد

مما لاشك فيه أن عملية تحرير الاقتصاد وما واكبها من تهليل أجهزة الإعلام لها فى نهاية العام المنصرم لم تكن جملة إعتراضية أو بديلة لنظام إقتصادى جديد.. بل هى عملية تم الإعداد الجيد لها وعبر خطة طويلة المفعول منذ ردة مايو

١٩٧١م مروراً بسياسة «الانفتاح» ١٩٧٤- وبدأت خطوطها على استحياء وانتهت تقريبا بالدعوة إلى بيع القطاع العام وإلى الغاء مجانية التعليم والإرتفاع اليومي في تسعير الخدمات.. وبذا أصبح هناك تحوير كامل إلى الاقتصاد الليبرالي متناسين أن داخل المجتمعات الرأسمالية نظم اشتراكية (حق العلاج/ إعانات البطالة) وليذهب الكادحين والفقراء إلى آتون النسيان وعلينا أن نقرأ في ذاكرة الإنسانية المصرية بدلاً من أن «نتوه» عبر نتوءات إقتصادية ومتاهات لفظية وحتى لانصبح مثل. «المستعين بالرمضاء على النار»

١- لم تشعر مصر بوطأة الدين الاخلال عشرين عام خلت بداية مأساة ارتباطنا بالغرب.

٢- ارتهنت الإرادة المصرية خلال عهود ثلاث (سعيد- اسماعيل) بإنشاء صندوق الدين ١٨٧٦) وخلال حقبة (السادات) صندوق النقد الدولي كان سلوك صانع القرار المصري حينذاك ربط الاقتصاد المصري بأوروبا

٣- حتى ٥٢/٧/٢٢ كانت أحوالنا جميعا حالكة السواد (وكان ارتباطنا غربي)

٤- تجربتنا الاشتراكية والفكر التعاوني لاعلاقة له بتهاوي أنظمة لها خصوصيتها ولها أخطائها في التطبيق.

٥- إن معاناة المواطن الامريكي/ بطالة/ عجز/ تضخم- فضلا عن تزايد في أعداد الباحثين عن قوتهم في صناديق القمامة يجعل عقولنا ترفض، وهم فردوس الرأسمالية، قبل وبعد هذا ان نتقي الله في فكرنا وقرارتنا وأن نقييم أمورنا بصورة تضمن حد أدنى من الحياة لكريمة لكل مواطن عبر تنقية القوانين وإطلاق حرية الملكات الإبداعية وحسن اختيار القادة وابتكار أساليب لخلق روح التنافس وخلق القدوة الصالحة والضرب بشدة على أيدي سارقي وناهبي ومستغلي الثروة والمحاربة الجادة لمخربي الاقتصاد والقطاع العام

والله من وراء القصد

محمد حجازي
المحلة الكبرى

يمين x شمال

لقد أتى الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠، حاملا رياحا مفعمة بالقلق والحذر والتوتر، وبات جليا لكل ذي لب أن التاريخ قد توقف والجغرافيا قد إختلفت.. وبالرغم من أن الحشود العراقية على الحدود الكويتية قبل فجر ذلك اليوم قد هدأت من روع المفاجأة، إلا إن الـc.i.a والتي أكدت وأقرت على لسان وليام روبستر. مدير الوكالة- بأنها كانت تعلم بحقيقة الغزو العراقي للكويت قبل حدوثه بيومين- على حد زعمها- الأمر الذي ألقى بظلالا كثيفة من الريب حول دور الولايات المتحدة الأمريكية في سيناريو أحداث الثاني من أغسطس

ومن الثابت كذلك أن الولايات المتحدة الأن في وضع أقرب ماتكون فيه إلى نقطة التوازن المثلي- أي يمكنها تحقيق أقصى أرباح ممكنة من خلالها- تلك النقطة هي اللاسلم واللاحرب، شأنها في ذلك شأن العراق الذي وجد نفسه بين عشية وضحاها، أصبح يمتلك مايقرب من خمس بترول العالم- والنفط وما أدراك ماالنفط- ناهيك عن الثروات الأخرى المنهوبة من المحافظة التاسعة عشر، والعقل يحتم التفكير في جدوى الحرب- المزعومة- تجاه المصالح الأمريكية إنها سوف تخسر ولاريب مهما كانت نتيجة الحرب، فلقد أتاح (القدر) أو بعبارة أدق ال (c.ia) إرسال القوات الامريكية بلا أدنى قيد أو شرط وبلاحد أقصى وذلك في من الشرعية الدولية والتأثير الدولي ودفاعا عن الحق والعدل والحرية، وهي التي ماكانت لتحلم بإرسال عشر ما أرسلته إلا واتهم الحالم بأنه على الأقل أحمق.

... ولايخفى على أحد مايعنيه هذا من استنزاف للاقتصاد السعودي وإهدار لثروته التي طالما أصابت الغرب كله بالأرق والقلق، وهي في سبيلها الى هذا لايمكن أن يلحق بها ضررا متوقعا أو غير متوقع. فهي تحصل (u.s.a) على نفطها من السعودية بأسعار الأول من أغسطس ونفقات وتكاليف قواتها في الخليج، ماهي إلاحسابات- فواتيرها مسددة إن آجلا أو عاجلا من قبل دول الخليج بجانب الدول الصناعية الكبرى والتي أصبحت قوة اقتصادياتها مصدر إزعاج للإدارة الامريكية.

وبالقطع، فإن المكتب البيضاوي في البيت الأبيض كان في أمس الحاجة إلى تحسين هيئته التي أطاح بها نجم هوليود السابق (ريجان) وألقى بها في الوحل، فأتت الفرصة سانحة أمام نجم الذهب الأسود (بوش) لأن يخدع الرأي العام العالمي في محاولة (فاشلة) منه لإعادة هيبة المكتب البيضاوي.

.. وبعد أن أتمت وكالة المخابرات المركزية عملها على أحسن صورة وأتم وجه حتى ظهر الثاني من أغسطس، أصبح على البيت الأبيض والخارجية الامريكية أن تؤديا هما الأخرين دورهما المنوط بهما في حدوث الإنشقاق في الصف العربي الذي كان على أعتاب الوحدة.. وإذا أضفنا ماذكره أحد رجال ال c.i.a منذ ثلاث سنوات وهو (بوب وودوارد bobwood werd) في كتابه الشهير (النقاب- الحروب للمخابرات المركزية ١٩٨١-١٩٨٧)، لأمكن لنا أن نتم الصورة- فقد أكد مستر بوب أن القاهرة هي أكبر محطة للوكالة في العالم!!

... وكان ماحدث في قمة القاهرة الطارئة وماتبع ذلك لقاءات وتصريحات عن طريق الأبطال الأشاوس- حكام العرب- الأمر الذي أدى في النهاية إلى مانحن عليه: وحتى يكون السيناريو محكماً، يصرح المستر بوش بأن لقاءه القادم والشيخ جابر سيكون في الكويت، وذلك في الوقت الذي يصرح فيه الرئيس مبارك إلى أنه يجب إعطاء الفرصة للحصار الاقتصادي، حتى يثبت فاعلية، وقد حدد مدة تلك الفرصة من شهرين إلى ثلاثة أشهر.. ولاتعليق!

ويطلب مستر بوش من الأمم المتحدة تفريض بإتخاذ قرار الحرب، فيكون قرار ٦٧٨ بإعطاء المهلة حتى الخامس عشر من يناير ، فيعود إلى الحل الدبلوماسي والذي يعد آخر ورقة في يده أو بالأحرى يد حاكم العراق قبل تنفيذ القرار ٦٧٨ على حد زعمه.. فسرعان ماتبدء المساعي السلمية بالفشل. ومن هنا لاتدري إلى أين نحن سائرون ولا إلى أين نحن مسيرون،فالأمر برمته في يد الـc.i.a والمكتب البيضاوي!

أسامة البارودي

مشاغبات

جيشنا فى حرب الخليج

فى الخطاب الذى وجهه الرئيس مبارك للاجتماع المشترك لمجلسى الشعب والشورى، يوم الخميس الماضى، إشارة لفت بها الرئيس نظر ما وصفه بأنه «سطور قليله نشرت هنا وهناك» إلى أن صدق الوطنية، يتطلب ألا ينسى أحد أن لمصر قوات عسكرية تنشد المساندة المعنوية من الشعب وهى تؤدى المهمة التى أوفدت بشأنها، وهى اشارة تجمع بين العتاب والتحذير، لهؤلاء الذين طالبوا بسحب القوات المصرية من السعودية، حتى لاتشارك فى مخطط لتدمير القوة أو الثروة العراقية..

وقد اختار الرئيس أن يدعم اشارته،بتذكير هؤلاء بأن الخلاف فى الرأى حول صواب إرسال قوات عسكرية الى منطقة الخليج، قد نشب فى معظم دول العالم التى أصبح لها قوات عسكرية هناك، كمظهر من مظاهر الديمقراطية، وواحد من ضروراتها، ولكن حسم المناقشة لصالح الاتجاه الداعى لارسال تلك القوات، أنهى الخلاف، ليقف الجميع، صفاً واحداً وراء قواتهم

وتأتى الاشارة والمثال، فى سياق يكشف عن إدراك الرئيس بأن وجودهذه القوات بعد أن بدأت الحرب بالفعل، أصبح من الأمور التى تقلق الرأى العام المصرى، الذى كان الاتجاه الغالب فيه، مع معارضته للغزو العراقى للكويت، يتمنى ألا تنشب الحرب، وأما قد نشبت فقد تزايدت مخاوفه من أن تنتهى بأن تكسب الأمة العربية «الكويت» وتخسر «العراق». هذا، إذا لم تنتهى بخسارة الاثنين، أو خسارة ماهو اكثر، وهو أمر لاشك أن المصريين لايحبون أن تشارك فيه قواتهم المسلحة، وإن رحبوا بالقطع بأن تقوم بأى دور آخر، ضمن الترتيبات الأمنية التى لابد وأنها ستعقب الانسحاب العراقى من الكويت.

والمثال الذى ضربه الرئيس ،ليس له صفة العمومية، إذ لايوجد فى تقاليد الدول الديمقراطية، مايمنع أية قوى سياسية من الاعتراض على قرار مشاركة جيوش بلادها فى حرب خارج حدودها، حتى وهى مشتبكه فى القتال، بدليل المظاهرات الضخمة التى سارت فى شوارع معظم الدول المتحالفة مطالبة بوقف الحرب فى الخليج فور نشوبها.. وهذا المثال يتجاهل أن قرارات ارسال قوات معظم الدول المتحالفة إلى منطقة الأزمة، قد صدرت طبقا للنظم الدستورية، المعمول بها فى تلك الدول، وأن كل الخطوات التى اتبعت فى هذا الصدد، لم تخضع فحسب للحوار الديمقراطى، وللتشاور بين الفرق والاتجاهات السياسية المعنية، التى كان رائدها جميعاً تفحص وجه المصلحة الوطنية فى ارسال تلك القوات، وحساب مدى مصلحة طرفى الأزمة ذاتها فى التصعيد العسكرى لها..

والذين يعاتبهم الرئيس اليوم، ويطالبهم بصدق الوطنية، هم أنفسهم الذين سبق لهم ا أن لفتوا النظر الى أن قرار إرسال القوات المسلحة المصرية لم يصدر طبقا للتقاليد الدستورية إذ لم يعرض على مجلس الشعب السابق، مع أن قرار حله لم يكن قد صدر بعد، ولم يعرض على المجلس الجديد« لاقراره»، بل إن الرئيس اكتفى «باخطاره» بما حدث فى الخطاب الافتتاحى للدورة البرلمانية،

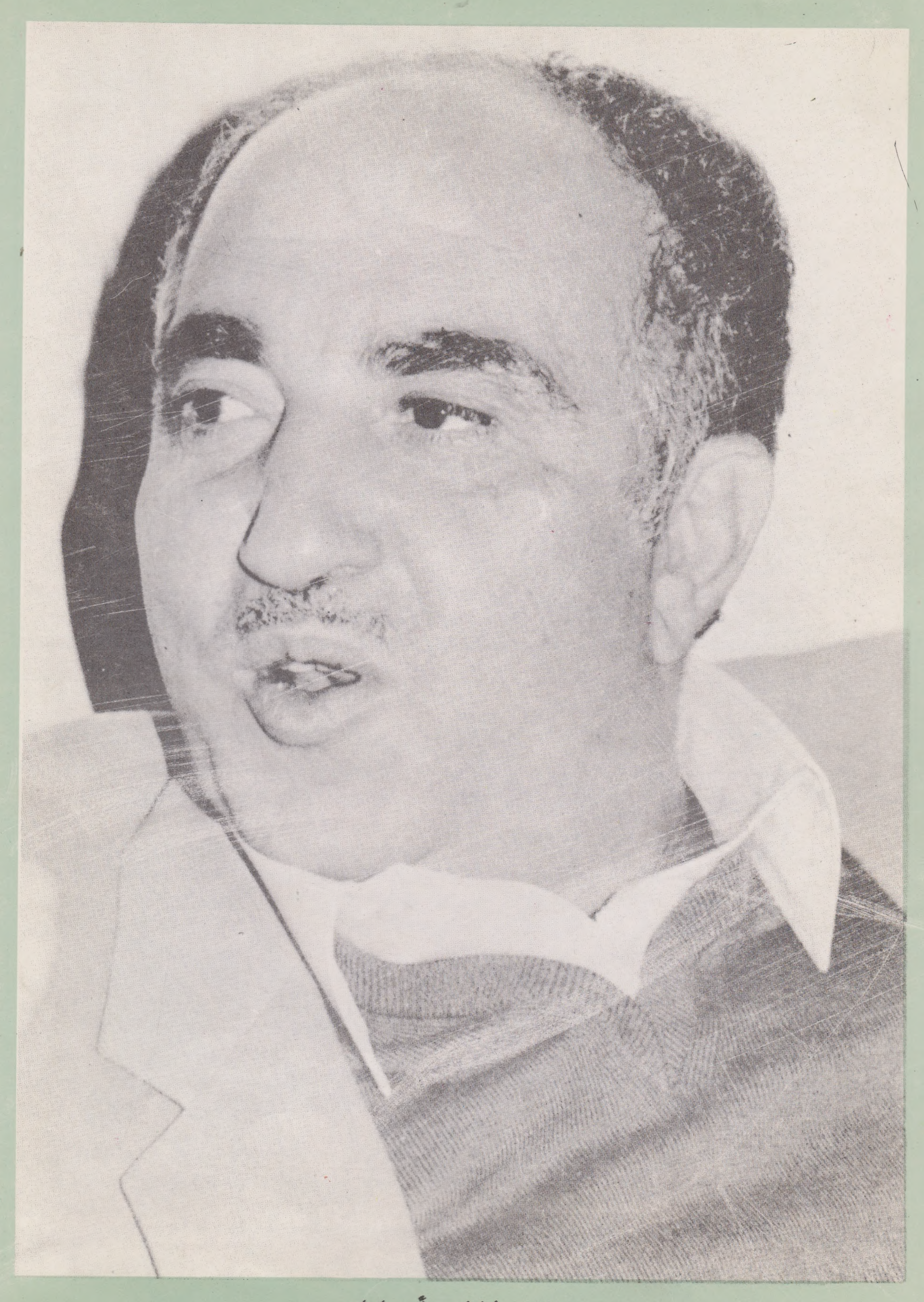
ولايجوز التملل، بأن موافقة المجلس على قرار ارسال القوات، ليست مطلوبة، بزعم أن الدستور المصرى لاينص على ضرورة استئذان المجلس،إلا فى حالة إعلان الحرب (المادة ١٥٠ من الدستور)، إذ الواقع أن التصريحات الرسمية قد توقت أن توضح بجلاء الدور المنوط بالقوات المسلحة المصرية بشكل خلق اللبس حول مهمتها، هل هى دفاعية.. أم هجومية.. فضلاً عن خلو الدستور نفسه من نص صريح، يعطى رئيس الجمهورية الحق المنفرد فى إصدار قرار المشاركة فى حرب دفاعيه- وخاصة إذا كانت تدور خارج الأرض المصرية- دون العودة إلى مجلس الشعب.

ولعل حرص الرئيس على التأكيد الواضح بأن قرار إرسال القوات، يستند من ناحية الأساس القانونى على اتفاقية الدفاع العربى المشترك المعقودة عام ١٩٥١، ويستهدف فقط الدفاع عن المملكة العربية السعودية ودولة الامارات، إذا تعرضتا لعدوان عراقى، هو أول تحديد لمهمة القوات المسلحة المصرية فى الخليج، يضع كثيرا من النقط، فوق كثير من الحروف، ويقلل من مساحة الخلاف حول وجود ومهمة تلك القوات..

ومع ذلك، فما زال هذا التأكيد فى حاجة إلى التزام قاطع كنا نتمنى أن يعلنه الرئيس، أو أن يطالبه مجلس الشعب بالالتزام به، هو إلا تتجاوز قواتنا ذلك الى أى دور آخر،- قد تفرضه التداعيات المتتالية لحرب معقدة مثل حرب الخليج،- دون العودة لمجلس الشعب!

إن القوات المسلحة هى جزء من الشعب، وواحدة من مؤسساته القومية، التى يحدد الدستور الجهات التى لها حق إصدار الأوامر لها، والشروط التى تصدر بها هذه الأوامر، واحترامها وتبجيلها، يكون فى احترام الدستور وتبجيل نصوصه الخاصة بها.

صلاح عيسى



صلاح خلف أبو إياد

شهيد العدوان الأمريكي - الاسرائيلي